

أسرار الصندوق الأسود


وديع حداد


كارلوس


جورج حبش


أنيس النقاش



أسرار الصندوق الأسود

غسان شربل

وديع حداد - كارلوس
أنيس النقاش - جورج حبش

أسرار الصندوق الأسود



Ghassan Charbel

Wadih Haddad - Carlos
Anis Naqqash - George Habash
Secrets Of The Black Box

First Published in July 2008

BEIRUT - LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb - www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953 - 21- 376 - 3

الطبعة الأولى: تموز (يوليو) ٢٠٠٨

لشراء النسخة الالكترونية:
www.arabicebook.com

تصميم الغلاف: دينا خليفة
(محترف بيروت غرافيكس)

المحتويات

مقدمة

حاورت كارلوس فرن الهاتف وجاءني صوت مجهول قال: «أنت تنشغل بكارلوس وتنسى من جعله نجماً. كان مهماً حين كان يستمع إلى توجيهات معلمه وديع حداد الذي أحاله إلى التقاعد بعد عملية فيينا. القصة الفعلية موجودة لدى رفاق وديع، فلماذا لا تبحث عنها؟ لديهم خزنة أسرار تتعدى قصة كارلوس». سألته عن اسمه ورقم هاتفه فاكتفى بالقول إنه مجرد قارئ. لم يتصل الرجل مرة أخرى لكن نصيحته كلفتني آلاف ساعات العمل وأنا مدين له.

لي في هذا العالم أصدقاء قساة. خطفوا طائرات. احتجزوا رهائن. زرعوا عبوات. زوّروا باسبورات وتحايلوا على المطارات. اختاروا أسماء مستعارة وعاشوا في ظلها. تمردوا على الظلم وطاردوا «العدو في كل مكان». وعادوا من

الرحلة. هذا أصيب في روحه وقهرته الأيام. وذاك أصيب في جسده ويعيش مع الأدوية والذكريات. وثالث دفن على بعد آلاف الأميال من التراب الذي كان يناديه.

إنهم رفاق الدكتور وديع حداد مسؤول «المجال الخارجي» في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» التي ارتبط اسمها طويلاً باسم قائدها الراحل الدكتور جورج حبش. طالبان فلسطينيان التقيا على مقاعد الجامعة الأميركية في بيروت. أغرقتهما النكبة في أسئلة عن حال الأمة ومستقبلها. أسئلة كانت تراود أيضاً محسن إبراهيم وهاني الهندي وأحمد الخطيب وغيرهم. وسيلتقي كل هؤلاء في المؤتمر التأسيسي لـ «حركة القوميين العرب» في عمان في ١٩٥٦. ومن رحم الفرع الفلسطيني للحركة ستولد «الجبهة الشعبية» في ١٩٦٨.

قبل عقود من طائرات أسامة بن لادن انهمكت مجموعة في قيادة «الجبهة الشعبية» في البحث عن وسيلة لهز ضمير العالم وتذكيره بالظلم اللاحق بالفلسطينيين. كان الغرض أيضاً توسيع دائرة المعركة مع إسرائيل إلى كل مكان. هكذا أقر مبدأ خطف الطائرات. وسيقع على عاتق وديع حداد مسؤول المجال العسكري الخارجي عبء التخطيط والتنفيذ واستقطاب «الرفاق» الأجانب المعادين للإمبريالية إلى حد الاستعداد لمقاتلتها على مسارح قريبة وبعيدة.

في هذا السياق ستولد قصة «مريم» اليابانية و«مجاهد» الأرمني و«سالم» الفنزويلي والذي لم يكن غير كارلوس الذي كان أشهر مطلوب في العالم قبل أن يسقط في يد الفرنسيين وينتقل اللقب في بداية القرن الجاري إلى أسامة بن لادن.

لم يسمح لي القضاء الفرنسي بزيارة كارلوس في سجنه.

الزيارات ممنوعة. حاورته عبر محاميته فلم تطفئ أجوبته عطشي. راح يكشف ويخفي. أحسست أنه يتشاطر وقررت سلوك دروب أخرى. تذكرت أن مساعده في عملية احتجاز وزراء «أوبك» في فيينا كان شاباً عربياً. رحت أسأل عنه. واكتشفت أن ذلك الشاب لم يكن سوى أنيس النقاش الذي سيلتحق باكراً بالثورة الإيرانية وسيتردد اسمه في العالم حين حاول اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق شهبور بختيار في باريس. وقع النقاش في قبضة الفرنسيين وأمضى عقداً في السجن. والغريب أن المحققين لم يسألوه عن دوره في «أوبك».

اتصلت بالنقاش المقيم في طهران وتواعدنا على اللقاء في بيروت. طلبت منه أن يعترف للمرة الأولى بمشاركته في عملية «أوبك» وأن يروي قصته كاملة. وعدني بدرس الموضوع وانعكاساته الأمنية والقانونية. وحين وافق التقينا مجدداً وكانت الثمرة حلقات نشرت في «الوسط» في الشهر الأخير من العام ٢٠٠٠.

استفز بعض كلام النقاش مشاعر كارلوس. قرر أن يوضح فحاورته في الشهر التالي. وهنا اتصل القارئ المجهول.

كان الوصول إلى رفاق حداد شاقاً ومنهكاً. رجال أدمنوا العمل السري واختاروا العيش في الظل. يعيشون في أماكن متباعدة ولم يعد يربط بينهم غير خيط الذكريات والوفاء لحداد. نفذوا بعد غياب «أبو هاني» عمليات لا تزال تمنعهم من كشف وجوههم وأسمائهم. حلقة ضيقة جداً تعرف أرقام هواتفهم وعناوين أماكن إقامتهم. رجال تدربوا على الحذر والشك والاحتراز. كلما اتصلت بواحد منهم كان يسألني كيف حصلت على رقمه وبواسطة من؟

كان لا بد من إقناعهم. والفوز بثقتهم. وتدريبهم على التحدث أمام آلة التسجيل المفتوحة. وطمأنتهم إلى أن الأشرطة لن تسقط في يد أحد آخر. وحين وافقوا على التحدث احتفظوا بشرط وحيد هو عدم ذكر الأسماء التي كانت لا تزال مدرجة في لوائح «الإرهاب».

هكذا عثرت على «الصندوق الأسود». التقيت الرجل الذي كان إلى جانب سرير حداد لدى وفاته وسألته إن كان مات مسموماً. والتقيت الرجل الذي تولى القيادة بعده. والرجل الذي شارك في خطف حبش من سجنه في سورية. والرجل الذي تسلم من ألماني غربي هبط في مطار بيروت حقيبة تحوي خمسة ملايين دولار مقابل الإفراج عن طائرة «لوفتهانزا». كما التقيت من شارك في عملية «مطار الثورة» في الأردن وفي عملية عنتيبي التي تحولت مأساة، ومن شارك في التخطيط لعملية اللد التي نفذها اليابانيون. والتقيت الرجل الذي أشرف على تدريب كارلوس في معسكر جعار في اليمن الجنوبي. وحكى هؤلاء عن علاقة «المجال الخارجي» بالعراق وليبيا والجزائر.

وعثرت في «الصندوق الأسود» على ما لم أكن أتوقعه. قال المتحدث: «بعد ساعات من قصف الموساد منزل وديع بالصواريخ في بيروت ذهبت إليه صباحاً. وجدت شاباً يجمع كسر الزجاج لكن ليس من المناسب كشف اسمه». أغلقت آلة التسجيل وسألت عن الاسم وجاءني الجواب: رفيق الحريري.

وفي قريطم سألت الحريري لاحقاً عن القصة فردّ بابتسامة معترفاً ومسارعاً إلى القول: «لماذا تحب نبش الماضي دعنا نفكر في المستقبل».

وقال المتحدث إن حداد «نجح في تجنيد شباب يساريين من جنسيات مختلفة وأرسلهم في مهمات في أوروبا وبينهم شاب كردي عراقي يساري يلعب حالياً دوراً قيادياً». أغلقت آلة التسجيل وسألت فجاءني الجواب: جلال طالباني. وبعد أعوام سألت الرئيس طالباني عن القصة وفاجأني باعترافه بصحتها ونشرت حديثه في «الحياة».

في الأسبوع الأول من أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ نزلت «الوسط» إلى الأسواق وكان غلافها صورة لوديع حداد مهندس خطف الطائرات. لم يكن أحد يومها يتوقع أن يكون العالم بعد أيام على موعد مع طائرات أسامة بن لادن.

قرأ كارلوس ما نقلته وكالات الأنباء وصحف أجنبية عن «غابة أسرار المجال الخارجي». نجح في معرفة أسماء بعض المتحدثين، خصوصاً «الرجل الثالث» الذي كان حاضراً في اللقاء الأخير بينه وبين حداد. لم يعد التشاطر ممكناً. كتب القصة الكاملة لعملية فيينا وأرسلها إلي.

ولا بد لي من الإشارة إلى أن رفاق وديع الذين التقيتهم يمثلون نموذجاً لم يعد شائعاً. إنهم أنقياء في هذا العالم الملوث. حاولت أن أشتري دواء للرجل الذي أقعدته رصاصات «الموساد» فرفض وقال: «تحدثت إنصافاً لوديع. إذا قبلت ثمن الدواء فسأشعر أنني بعت الأسرار». إن هذا الرجل الذي يعيش في ظروف مالية بالغة الصعوبة هو الرجل الذي تسلم حقيبة الخمسة ملايين دولار.

* * *

أعدّت هذه المواضيع لتنشر في «الوسط» و«الحياة». لهذا تحمل مواصفات العمل الصحافي إذ إن فكرة جمعها في

كتاب لم تكن تراودني خلال إعدادها. اقترح عليّ الكاتب والناشر والصديق رياض نجيب الريس أن نضعها في تصرف القارئ. والناشر كما القارئ ديكتاتور لا بد من الانصياع إلى قراره. لم تخضع المواضيع لجراحات تجميل أو تشذيب. إنها عمل صحافي لا يتطلع إلى أكثر من وضع معطيات ووقائع في خدمة من يعمل على تأريخ تلك المرحلة وقراءة أحداثها المدوية.

استلزم إعداد هذه المواضيع آلاف ساعات العمل وأسفاراً في اتجاهات مختلفة. وما كان ذلك ليتيسر لي لولا تشجيع ناشر «الحياة» الأمير خالد بن سلطان بن عبد العزيز وأسلوبه اللطيف اللافت في تحريض صحافيي «الحياة» على الانخراط في تحدٍّ دائم للارتقاء بالعمل الصحافي العربي. ولهذا أوجه إليه شكري كعامل في «الحياة» ورئيس لتحريرها. ويهمني أيضاً أن أشكر زملائي في «الحياة» وقبلها في «الوسط» فقد أفدت دائماً من إسهاماتهم ونصائحهم والانتقادات.

وفي الختام أشكر رفاق وديع حداد على رحابة صدرهم وتحمّلهم حشريتي المفرطة وإزعاجاتي المتكررة. والحقيقة أن لي في هذا العالم أصدقاء قساة وأنقياء. أحببت بعضهم. وليسامحني الله.

غسان شربل



وديع حداد

توطئة

الزمان: ٢٨ آذار/مارس ١٩٧٨.

المكان: مستشفى الشرطة في برلين الشرقية.

يئس الأطباء وأعلنوا عجزهم. يئس القلب من المقاومة وخان. استراح الرجل الذي لا يرتاح. لم يكن الطبيب ــ المريض غافلاً عن خطورة حالته. عبثاً حاول أن يعاند. أن يقنع الوقت بمنحه بعض الوقت. حسرة القائد يلدغه القدر في أوج معركته. خيبة الملاكم يتنكر له النبض قبل استكمال تسديد الضربات. بكى رفيقه في الأخطار والأهوال. بكّر الموت... قال. خطفه في الخمسين. ظَلَم القدرُ من أفنى أيامه في مطاردة الظلم الذي لحق بشعبه.

لم يكن يخشى الموت. كان يعرف أن جائزة من يسلك ذاك الطريق الزنزانة أو القبر. لكنه كان يحلم بإرجاء الرقاد المديد.

التوقيت غير مناسب فعلاً. لا يزال الأطفال يولدون في المخيمات ويسمّون لاجئين. لا تزال تلك البلاد أسيرة. ولا يزال المحتل يستكمل جراحاته لتغيير ملامحها وتزوير وثائق تاريخها ومستقبلها.

بكى رفيقه في الأخطار. هجم عليه شريط الذكريات. الدوريات الأولى إلى الأراضي المحتلة. أول الرصاص وأول الشهداء. حق الضحية في اختيار أسلوب مقاومة جلادها. الطائرات إلى «مطار الثورة» وعملية اللد وعملية «أوبك» وعملية عنتيبي وعملية مقديشو. ومطاردة طائرة «العال» في كل مطار. و«وراء العدو في كل مكان».

هجم شريط الذكريات. التجوال الدائم بين المقار السرية في بيروت. والمواعيد المتنقلة بين بغداد وعدن والجزائر ومقديشو. الاستطلاع واختيار الأهداف وإعداد المنفذين والوثائق والساعة الصفر. في ذلك اليوم وفي المستشفى البعيد بكت زوجته وحفنة الخلّص الذين شهدوا الإغماضة الأخيرة. وفي أماكن كثيرة بكى كثيرون. رفاقه في «المجال الخارجي» خسروا قائداً كان «مدرسة في نكران الذات». وحزن رفاقه في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وتذكره رفاقه في «حركة القوميين العرب». حزن عليه شباب المخيمات. وبكى ثوار من أصقاع كثيرة وفدوا إليه. تعلموا وتدربوا وتركوا في العواصم دوياً وسع دائرة المعركة. صاروا يتامى. كارلوس الذي كان اسمه «سالم» يقيم اليوم في السجن. و«مريم» اليابانية في السجن أيضاً. تبدد الشمل وتغيّر العالم.

لم يكن وارداً أن يرتاح ابن صفد في تراب صفد. فلا هو ينام تحت علم الاحتلال ولا الأخير يطمئن إلى ساكن القبر. كان يبحث عن وطنه والآن يبحثون له عن أشبار في الغربة. العمر في

المنفى، والقبر كما العمر. وفي ٣١ آذار/مارس ووري في بغداد.

عندما اختار وديع حداد العمل السري، لاعتقاده أنه الأنجع في إيذاء العدو، ألزم نفسه ورفاقه القواعد الصارمة لهذا العمل. لا احتفالات ولا صور ولا استعراضات ولا عناوين معروفة أو دائمة. المشارك في عملية يعرف دوره فيها ولا يعرف ما يمكن أن يهدد العمل. والتعاون مع أي فصيل تحكمه حدود واضحة. كانت الفاعلية هي الهاجس. ومن أجلها أسقط الرجل من حسابه لعبة الصفوف الأمامية وبريق المواكب والصالونات ومتعة الابتسام أمام العدسات. لم يُدل بحديث صحافي ولم يترك مذكرات. وحين غاب اصطحب معه غابة أسراره. وشاءت الأقدار أن يمتد عالم الأسرار إلى موته نفسه، فحتى الساعة لا يزال الجميع يعتقدون بأنه مات مسموماً.

أخذ وديع أسراره معه. وحفظت النواة الصلبة من رفاقه السر، فقد تشربت روحية القائد وأسلوبه. ضاعف صمت العارفين الغموض. لم يتسلل أحد إلى قلعة الأسرار فجاءت كل الروايات ناقصة أو خاطئة أو معادية مقتصرة على جانب وحيد من شخصية الرجل الذي تتخطى تجربته خطف الطائرات ورعاية كارلوس والفصائل الثورية، فقصته جزء من قصة شعبه وقصة المنطقة.

بعد ثلاثة وعشرين عاماً على غيابه بقيت أسئلة كثيرة بلا أجوبة. لماذا سلك الطريق الذي سلكه؟ ما قصة إقامته في سجن الجفر الأردني وماذا فعل هناك! لماذا بكّر في الرهان على العمل المسلح؟ وكيف نجح في «خطف» جورج حبش الذي كان معتقلاً في سورية، وما قصة العلاقة بين الرجلين ومتى وقع الافتراق؟ لماذا خطف الطائرات ولماذا «أوبك» واللد وعنتيبي ومقديشو؟ ما هي علاقته بكارلوس وماذا دار في اللقاء الأخير بينهما وما سبب

الطلاق؟ لماذا خانه سياد بري؟ وهل التقى فعلاً يوري أندروبوف وماذا دار بينهما، وماذا طلب كل منهما من الآخر؟ ما قصة مصنع الوثائق؟ وكيف كان يعيش؟ من دون أن ننسى السؤال: هل مات مسموماً؟

في العام ١٩٩٥ قصدت منزل الدكتور جورج حبش الأمين العام السابق لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وأجريت معه حواراً طويلاً. كان حبش على عادته جريئاً ونبيلاً وينتزع تقدير من يتفق معه واحترام من يختلف معه. ثمة حادثة استوقفتني خلال الحوار. سألت الدكتور حبش عن وديع حداد وعلاقته به وذكراه. صمت الرجل قليلاً وطفا الحزن على وجهه ثم أجهش في البكاء المشحون بألم ظاهر. ودفع الأمر مرافق حبش إلى الحضور من الغرفة المجاورة وتمنى عليه مغادرة الصالون ففعل ليعود إلي بعد دقائق موضحاً: «إن وديع حاضر في عقلي وقلبي». أشرت يومها إلى الدموع وحفظت الإجابة في الأدراج.

ارتبكت في البداية وشعرت أنني أثقلت على الرجل، لكنّ ما جرى بقي عالقاً في ذهني. كنت أعرف أن علاقة حميمة واستثنائية جمعت بين الرجلين وأن أسلوب العمل أدى إلى التباعد بينهما. وسيظهر هذا التحقيق عمق هذه العلاقة ثم تباين وجهات النظر في أواسط السبعينيات وصولاً إلى العتاب المرير الذي اختلط بالدموع في فندق ببغداد في ١٩٧٦. كان ذلك اللقاء الأخير بينهما ففي اللقاء التالي في ١٩٧٨ سيقف حبش لرثاء رفيق كفاحه ودربه.

قبل عامين وفي ذكرى عملية «أوبك» التي حصلت في ١٢/٢١/ ١٩٧٥ تساءلت إلى متى تبقى هذه العملية غامضة وعرضة لتضارب الروايات الناقصة ولماذا لا نحاول الوصول إلى اللاعبين

الأساسيين فيها. لكنّ كارلوس كان في السجن وزيارته ممنوعة على الصحافيين. لذا قررت البحث عن مساعده الذي تولى إدارة المفاوضات في بعض المحطات العربية للعملية ولم تكشف الأيام هويته. بعد شهور تبين أن ذلك الشاب هو أنيس نقاش الذي أخفى سر مشاركته في عملية «أوبك» ربع قرن أمضى عشر سنوات منه في سجن فرنسي لمحاولته اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق شهبور بختيار. وبعد محاولات عدة وافق نقاش على البوح بالسر وكشف جوانب غير معروفة من عملية «أوبك». ومرة جديدة ساهمت روايته في إثارة اهتمامي بموضوع وديع حداد.

في سجنه قرأ كارلوس رواية نقاش وكانت له عليها ملاحظات. اغتنمت المناسبة وأجريت معه حديثاً. ولكن بعد روايتي نقاش وكارلوس شعرت أن قصة «أوبك» وقصصاً كثيرة أخرى ستبقى ناقصة ما لم نحاول كتابة قصة وديع حداد. عدت إلى الأرشيف فلم أعثر إلاّ على عناوين وردود فعل على عملياته التي هزت العالم. وعدت إلى عدد من الكتب التي تحدثت عن تلك الحقبة وأحداثها الكبرى فوجدت القليل من المعلومات والكثير من الشائعات والتكهنات والسيناريوهات. بعضهم اختصر قصة الرجل وقصرها على تلك المرحلة التي كان يدير فيها كارلوس. البعض الآخر صوَّره رجلاً إرهابياً قاسياً يعمل في الظلام مشغوفاً بخطف الطائرات. وثمة من نسب إليه أعمالاً لا علاقة له بها من قريب ولا من بعيد وتعمّد تجاهل كونه صاحب قضية أولاً وأخيراً سواء اتفقت مع أسلوبه أم اختلفت.

وساعة نشر الحوار مع نقاش، كما مع كارلوس، سعينا إلى الحصول على صورة جديدة لوديع حداد غير تلك الصورة

الوحيدة التي تتكرر منذ عقود، فتبين أن وكالات الأنباء والصحف لا تملك غير تلك الصورة اليتيمة.

هل يجوز أن تبقى تجربة وديع حداد محاطة بالغموض أو الكتمان ومتروكة للكتب الإسرائيلية أو الغربية التي تتحدث عن «مايسترو الإرهاب والإرهابيين»؟ أوليس من حق جيل الانتفاضة، وهو وريث التجارب المتراكمة، أن يعرف تلك التجربة؟ أوليس من حق الشباب العرب الذين ولدوا بعد غياب حداد أو عشية ذلك الغياب أن يقرأوا قصته وبغض النظر عن الاتفاق مع الأسلوب أو الاختلاف معه وهو ابن مرحلة بعينها في أي حال؟ لكل هذه الأسباب ومعها دائماً الهمّ الصحافي، قررت البحث عن وديع حداد في ذاكرة من عرفوه عن قرب.

توقعت أن يكون الموضوع صعباً لكنني لم أتوقع أن يكون منهكاً. الذين يعرفون القصة بشموليتها حفنة أشخاص تفصل بينهم اليوم آلاف الكيلومترات. ولم يكن الوصول سهلاً. فهؤلاء يعيشون وفق الأسلوب السابق نفسه: بعيداً عن الأضواء وبعيداً عن البوح. كان لا بد من الحصول على أرقام الهواتف وكسر الحذر التقليدي لديهم. وكان لا بد من حوارات متكررة خصوصاً أنه لم يسبق لهم أن جلسوا أمام آلة تسجيل.

استلزم الأمر شهوراً ورحلات. وحين وافقوا على التحدث ظهرت عقبة جديدة: لا صور ولا أسماء. دار نقاش طويل اقتنعت في نهايته بعدما تبين أن «ورثة» وديع لم يتقاعدوا غداة وفاته وأن الخوض في الصور والأسماء يرتب تبعات قانونية على رغم توقف كل نشاط لهم منذ ١٩٩٠. وتقضي الأمانة تسجيل أن هؤلاء الذين يعيشون في ظروف بالغة الصعوبة قاوموا بعد غياب وديع كل أنواع الإغراءات ورفضوا التحول باعة أسرار أو وضع خبرتهم

في تصرف دول أو أجهزة. أستطيع القول وبصورة قاطعة، إن هذا التحقيق كتب استناداً إلى روايات أقرب الناس إلى وديع حداد وسأستخدم لهم صفة «المتحدث» كلما عدت إليهم.

في الأشهر الأخيرة من العام ١٩٧٧ بدأت متاعب حداد الصحية خلال وجوده في بغداد. لم يتوقع الأطباء أن يكون المرض عضالاً ورجح التشخيص في البداية شكلاً من أشكال القرحة. وكانت العوارض تصب في هذا الاتجاه. نوبات من الألم المعوي الشديد. وعدم القدرة على تقبل الطعام بكل أشكاله. التقيؤ واستفراغ الدم أحياناً. تشنجات في الجهاز الهضمي. عاينه أخصائيون في الجهاز الهضمي في بغداد ورجحوا أنها القرحة وأخضعوه لحمية. عرضوا عليه مجموعة من الأدوية فوافق على تناول بعضها. كان يدقق في الأدوية التي ينصح بتناولها فقد كان طبيباً.

في كانون الثاني/يناير غادر إلى الجزائر واهتم الأطباء بمعالجته وأجروا له كل الفحوص اللازمة. لكن نجله الوحيد هاني، ولم يكن قد أتم الخامسة عشرة، لاحظ حين زاره هناك أن التدهور في صحته كان كبيراً. تغيير رهيب في مظهره وقوته. استولى الوهن والضعف على جسمه لكن وعيه بقي كاملاً وكذلك قدرته على التركيز. كان مهتماً بعدم إظهار الضعف لكن صلابة الإرادة لا تكفي لإخفاء التدهور. غالب الظن أنه أدرك، كطبيب، تفاقم حالته لكنه لم يكن يرغب في إظهار ذلك. تمسك بروتينه اليومي ومتابعة العمل، وكان يسأل رفاقه الزائرين عن بعض المسائل موحياً أن العمل يجب أن يستمر طبيعياً. كرر له رفاقه اعتقادهم أنه يتأخر في الذهاب إلى مرحلة علاج أكثر تطوراً مما يُقدَّم له في الجزائر، ولعله أدرك أن العلاج الأفضل لن يوقف التدهور. انتهت فرصة هاني وعاد إلى مدرسته في بغداد.

في آخر شباط/فبراير تزايد التدهور وقال الأطباء الجزائريون إنهم غير قادرين على القيام بأكثر مما قاموا به.

لم يكن من الوارد أبداً نقل وديع حداد إلى عاصمة غربية أو أي مكان غير آمن بالكامل. ففي تلك الفترة كان المطلوب الرقم واحد على لائحة «الموساد» وأجهزة أمن غربية. لهذا اتجهت الأنظار إلى أوروبا الشرقية. وعلى رغم الجفاء الذي كان قائماً بين قيادة «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» وحدّاد، رتبت القيادة عملية سفره إلى ألمانيا الديموقراطية. في بداية آذار/مارس ١٩٧٧ نقل إلى برلين الشرقية وتوفي في ٢٨ منه.

لدى تأكيد الوفاة ظهر أكثر من رأي. كان رأي رفاقه في «الجبهة الشعبية» ورأي رفاقه أيضاً أن يدفن في لبنان. فهو يحمل الجنسية اللبنانية وفي لبنان ثقل فلسطيني كبير. رأى أهله أن تشييعه في لبنان قد يوفر ذريعة لإسرائيل لافتعال مشاكل خصوصاً أن الوضع كان غير مستقر. من هنا ظهرت فكرة دفنه خارج لبنان. كان الخيار بين الجزائر والعراق بحكم العلاقة التي كانت تربطه بالبلدين. أبدى العراقيون استعداداً كاملاً لدفنه في بغداد وسط مراسم تليق بمكانته، واعتمد هذا الخيار.

خلال وجود حداد في المستشفى في برلين الشرقية كان نجله هاني يعيش في بغداد مع خالته نصرة التي حضرت للإقامة معه بسبب وجود والدته إلى جانب زوجها. كان الأقرباء قد انقطعوا عن زيارة منزل وديع في العاصمة العراقية بسبب صعوبات الانتقال. فجأة فتح الباب ودخل الأقارب وبينهم قيصر شقيق وديع. كان هاني قد عرف قبل ذلك أن جده لوالده مريض ومتعب وشاءت الصدف أن يموت قبل أسبوع من نجله. كان قيصر مربياً ويحب الكتب وكان هاني مولعاً بها. قال قيصر لهاني لنذهب إلى

مكتبتك ونر ما فيها. وحين دخلا قال للفتى سأخبرك نبأ غير مفرح. فأجابه هاني: «أنا أتوقع ذلك وهذا مؤسف» مشيراً إلى غياب جده وتبادلا التعازي وعادا إلى غرفة الجلوس. أدرك قيصر أن الأقارب الذين جاؤوا معه لم يخبروا خالة هاني بوفاة وديع. بعد قليل طلب قيصر من هاني العودة إلى المكتبة. وقال له هناك: «سأبلغك خبراً صعباً وأريدك أن تكون قوياً وأن لا أرى دموعك». وأبلغه بوفاة والده. ويقول هاني: «الغريب، حين أعود بالذاكرة، أننا كنا مؤهلين لتحمل الصدمات. حزنت ولم أبكِ على رغم الصدمة الكبيرة، ثم بدأت التعازي ومراسم التشييع».

رافق جثمان وديع إلى بغداد وفد ضم زوجته ورفاقاً له. ولدى وصول الجثمان إلى مطار العاصمة العراقية انتحى مسؤول فلسطيني بارز بأحد رفاقه جانباً وقال له إن وديع مات مسموماً وأشار إلى مسؤولية دولة عربية كانت تربطها بالمتحدث علاقة سيئة.

شارك في مراسم الدفن كثير من المسؤولين العراقيين وغالبية أعضاء القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث ما عدا الرئيس أحمد حسن البكر ونائبه صدام حسين. كذلك شاركت قيادات فلسطينية وممثلون لدول صديقة مثل الجزائر وليبيا واليمن الجنوبي.

وفي ذكرى الأربعين أقيم في بيروت حفل تأبيني لحداد شارك فيه قادة الفصائل وقادة أحزاب «الحركة الوطنية». كان صلاح خلف (أبو أياد) عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» أحد الخطباء الرئيسيين. قال إن مسؤولاً في دولة اشتراكية سأله كيف تذهب للمشاركة في تأبين «إرهابي». وردّ «أبو إياد» في كلمته قائلاً: «أتمنى أن يكون لدينا أكثر من وديع حداد في الحركة الفلسطينية».

منذ وفاة وديع حداد حتى اليوم ساد الانطباع أنه قضى مسموماً. لم يكن الأمر مجرد شائعة عابرة. إنها قناعة عدد من المسؤولين الفلسطينيين ومسؤولين في أجهزة أمنية عربية وغربية. وعلى مدار السنوات كانت الروايات تتكرر. قالت إحدى الروايات إن حداد كان يمتنع عن تناول الطعام وحتى الشاي والقهوة خارج الأماكن الآمنة لأنه كان يعرف أنه مستهدف من أجهزة كثيرة. وأضافت أن حداد زار يوماً مسؤولاً عراقياً ونزولاً عند إلحاح الأخير تناول كوباً من الشاي كان كافياً لإصابته بتسمم بطيء ثم تسارع التدهور.

وقالت رواية أخرى إن حداد أصيب بوعكة صحية عادية اضطر خلالها إلى الخضوع لفحوص وعلاجات، وإن طبيباً تولى تسميمه وإن ذلك ربما حصل في «المحطة الجزائرية» من رحلته الأخيرة.

وذكرت رواية ثالثة أن حداد تعرض لإشعاعات مركزة في غرفة الانتظار المجاورة لمكتب مسؤول كان يلتقيه وأن تلك الإشعاعات كانت كافية لقتله ومن دون ترك آثار تثبت ما تعرض له.

وذهبت رواية رابعة إلى أن «الموساد» الإسرائيلي فشل في العثور على عنوان لحداد لاغتياله بالرصاص لكنه نجح في اختراق جهاز أمني عربي ورتب عملية التسميم من خلاله.

ومن سجنه قال كارلوس لـ «الوسط» إن حداد قضى مسموماً.

تكاثرت الروايات وراجت ومال كثيرون إلى تصديقها، وكانت لبعض ناشريها مصلحة في الترويج، مرة لتصفية الحساب مع الجهة «المتهمة» بقتل القائد الفلسطيني وأخرى لادعاء معرفة أسرار لا يعرفها الآخرون. ومع مرور السنوات رسخ في الأذهان أن حداد

مات مسموماً خصوصاً أن عائلته التزمت منذ غيابه صمتاً كاملاً وأن رفاقه الأقرب امتنعوا، حتى الآن، عن التحدث إلى وسائل الإعلام.

سألت هاني وديع حداد عن الروايات حول وفاة والده مسموماً وما رواه كارلوس من أن الذين قتلوا وديع حداد هم أنفسهم الذين قتلوا هواري بومدين فأجاب: «لا أستطيع أن أجزم. الافتراضات كثيرة وتدخل فيها محاولات الاتهام وإلقاء المسؤولية على هذا الطرف أو ذاك. ليس هناك دليل قاطع. لا أستطيع أن أؤكد أو أنفي». وعما قاله الأطباء في ألمانيا الشرقية قال: «وفق ما أذكر لم يكن هناك تأكيد لحصول عملية تسميم. شكّوا في مادة معيّنة يشاع أنها تستخدم بكثرة في عمليات التسميم، أعتقد أنها «الثاليوم». لم يعثروا على مخلفات واضحة لهذه المادة في دمه أو في الأنسجة. يجب ألاّ ننسى أنه كان قد تناول مجموعة كبيرة من الأدوية. لا أدلة قاطعة على حصول عملية تسميم. لكن هناك كلام كثير بما في ذلك القول أنه تعرض للأسلوب نفسه الذي استخدم في تسميم بومدين. وهذا الكلام لا يقدم دليلاً قاطعاً. هناك روايات تقول إنه سُمم بطريقة الإشعاع أي أنه كان يطلب منه عقد لقاءات معينة ويتم تعريضه في قاعة الانتظار لإشعاع مركّز جداً وإن هذا الإشعاع هو الذي حفّز السرطان في جسمه. إحدى أبرز عمليات التشخيص لوفاته تقول إن سرطان الدم الذي أدى إلى نزيف داخلي بلغ الدماغ وقتله. سمعت روايات كثيرة وقرأت بعض ما نشر في المجلات والكتب. الكاتب الأميركي ديفيد إيغناتيوس كتب أن أبو حسن سلامة (مسؤول أمني كان مقرباً من عرفات واغتالته إسرائيل لاحقاً) كان على اتصال بمصدر في الـ«سي أي ايه». وجاء في الكتاب أن أبو حسن سلامة أبلغ المصدر أن والدي تعرض خلال وجوده في العراق لإشعاعات

مركزة. لم أرد الدخول في لعبة التكهنات والاتهامات خصوصاً أن الأدلة القاطعة غائبة».

طرحنا السؤال نفسه على «رفيق» كان مقرباً جداً من حداد وعلى اتصال بالأطباء الألمان الشرقيين إبان العلاج فأجاب: «التحاليل الطبية قالت إنه أصيب بنوع من سرطان الدم «اللوكيميا». انتشر خبر تسميمه وشاع لفترة. الحقيقة أنه لم يثبت لدينا أن وديع مات مسموماً. أجريت الفحوصات الممكنة وتمت التحريات الممكنة في حدود ما هو متاح ولم يظهر ما يشير إلى مسألة التسميم أو يؤكدها». وعما إذا كان الأطباء في برلين الشرقية تحدثوا عن عملية تسميم قال: «بصراحة لم يكن تقريرهم واضحاً. سألهم أحد رفاق وديع، هل كان يمكن إنقاذه لو جاء باكراً، فلم يكن الجواب واضحاً. لوحظ أن الأطباء الألمان طرحوا أسئلة عدة أبرزها هل كان وديع يتعاطى أعمالاً تدخل فيها مواد مشعة؟ وهل كان يتعاطى صناعة المتفجرات. الواقع أنه لم تكن له علاقة بمواد مشعة أو صناعة متفجرات. كان يشدد على أهمية تطوير بعض الأسلحة لكنه شخصياً لم يمارس صناعة المتفجرات».

سألناه إذا كنا نستطيع القول إنّ لدى رفاق وديع قناعة بأنه لم يمت مسموماً فأجاب: «نعم، أقول في ضوء ما توافر لنا من معلومات. سألنا عن هذا الموضوع وأجرينا عملية تقاطع للمعلومات الموجودة بما في ذلك مع بعض أجهزة الاستخبارات. في حدود ما تمكنّا أن نفعله لم يظهر أي دليل يثبت أن وديع مات مسموماً».

رفيق آخر كان إلى جانب حداد في العقدين اللذين سبقا وفاته وربطته به علاقة حميمة قال: «إن سؤالك يعيد فتح جرح قديم. لا أبالغ إن قلت إن هذا السؤال طاردنا طويلاً. ما انتهى إليه الأطباء هو أن وديع أصيب بنوع من سرطان الدم. لكن أسئلتهم أوحت

أحياناً أن شكوكاً تراودهم حول عملية تسميم. لم يظهر ما يؤكد حصول ذلك ولا يمكن الأخذ بالروايات التي انطلقت من هنا وهناك. وإذا شئت الصراحة أقول لكم اليوم إنه أصيب بسرطان في الدم ولكن لا تزال لدي بعض الشكوك».

قبل ثمانية أعوام من اقتراب الموت منه لكنه أخطأه. كان وديع حداد مكبّاً في ساعة متأخرة من الليل في غرفة الطعام في منزله العائلي في منطقة الملاّ في بيروت على عدد من الأوراق. كان يحضّر في تلك الليلة لعملية خطف الطائرات إلى «مطار الثورة» في الأردن. وبسبب سهر الأب نام نجله هاني الذي كان في السابعة إلى جانب والدته سامية. كان في البيت ضيف واحد هو ليلى خالد التي ستشارك في عملية «مطار الثورة». يتذكر هاني تلك الليلة ويقول: «في ١٩٧٠ تعرض منزلنا لأربع قذائف خارقة ــ حارقة أدت إلى إصابتنا، والدتي ووالدي وأنا. إصابة والدي كانت الأخف أما والدتي فقد أصيبت لأنها غطتني بجسمها بعد أول انفجار فأصيبت بشظايا الانفجار الثاني. كنا نياماً والدتي وأنا فيما كان والدي يعمل في غرفة أخرى. كنت في السابعة. أنا أصبت بشظية في أسفل قدمي من الانفجار الأول وأخضعت لجراحة. صودف وجود ليلى خالد ليلتها في منزلنا. منذ ذلك الحادث تنقلنا في أماكن كثيرة في المزرعة والحمراء وفردان ومناطق أخرى. كان المفهوم الأمني من ذلك أن لا تَثبت في مكان واحد لفترة طويلة وأن تتنقل بأسرع ما يمكن. أي أن لا تفسح المجال لمن يريد أن يتعقبك ليعثر عليك».

في تلك الليلة لعب الحظ دوره في إنقاذ العائلة. نجا وديع لأنه لم يكن في غرفة نومه. ونجا هاني لأنه لم يكن في سريره الذي ذاب بفعل القذيفة. وبرباطة جأش توجه وديع إلى غرفة زوجته وطفله

وساعدهما على تجاوز حاجز النار التي اندلعت ونُقلا إلى المستشفى. ومنذ تلك الليلة سيكون على العائلة أن تقيم في شقق كثيرة وفي مناطق مختلفة من لبنان قبل أن يقرر وديع نقلها في ١٩٧٢ إلى بغداد. بعد ذلك اليوم لن تعثر الأجهزة الإسرائيلية على مقر وديع الذي كان يبدل مقار إقامته باستمرار في لبنان وينام أحياناً في الأحراج.

لم تكن سامية نعمة الله حداد المدرسة في معهد فلسطين في دمشق تتوقع حياة مفروشة بالورود. فالشاب الذي يبادلها الإعجاب والحب منغمس في نشاطات «حركة القوميين العرب» التي شارك في تأسيسها ومصاب حتى النخاع بهاجس تحرير فلسطين. ولم تكن غريبة عن هذه الأجواء. جاءت من بيئة وطنية وكان اسم زميلها في التدريس غسان كنفاني. كانت تعرف أن وديع الذي تخرج طبيباً في الجامعة الأميركية لن يوفر لها العيش الهادئ والهانئ والرفاهية وما يطمح أن يوفره لزوجته في تلك الأيام طبيب تخرّج من الجامعة. ولا غرابة في الممانعة لدى أهالي الاثنين. أهل وديع تمنوا لو تفرغ للطب وركز أوضاعه المعيشية والمالية. وأهل سامية من حقهم أن يفكروا في مستقبل ابنتهم. وفي النهاية انتصرت مشاعر الحب.

في ٩ نيسان/أبريل ١٩٦١ كان الزواج في دمشق حيث تقيم عائلة سامية. وكان بين الحضور من سيكون لأعمالهم أو مواقفهم دوي يتردد في العالم مثيراً قلق فريق وإعجاب فريق آخر. في شقة صغيرة بحجم غرفة كبيرة أقام الزوجان. وبعد أقل من شهر من وقوع الانفصال بين سورية ومصر طلب من وديع أن ينتقل إلى لبنان ففعل. وبعد أشهر تبعته زوجته وأقاما في المنزل الذي لا تزال تقيم فيه في بيروت.

ومنذ العرس إلى اليوم ثمة قصة ــ طُرفة تتردد. فخلال المخاض الذي أدى إلى تأسيس «حركة القوميين العرب» اتفق أفراد الحلقة الصغيرة المؤسسة على أن لا يتصرف أي منهم في مسألة مصيرية، كالسفر أو الزواج، قبل التشاور مع الآخرين. وثمة من يقول إنهم اتفقوا على عدم الزواج قبل تحرير فلسطين على رغم اقتناعهم بأن تحريرها لا ينفصل عن معركة قيام الوحدة العربية. لدى قيام الوحدة المصرية ــ السورية في ١٩٥٨ شعر أفراد هذه المجموعة أن الوحدة اقتربت ومعها التحرير، فاستجاب بعضهم لنداء القلب وتزوج. في تلك الأيام كان وديع حداد في سجن الجفر الأردني حيث أمضى ثلاث سنوات. حين خرج من السجن رأى رفاقه، وبينهم حبش، قد تزوجوا أو يستعدون... فتزوج.

لم تكن لوديع حداد حياة خاصة. طغى الجانب العام على حياته ووقته. كان يعتقد بأن تمكين الشعب الفلسطيني من استعادة حقه في الحياة الطبيعية التي ألغاها الاحتلال هدف يستحق أن يضحّى من أجله بالحياة الطبيعية لمجموعة من الأفراد. على رغم ذلك كانت الحياة العائلية تعني له الكثير «وحين كان يأتي إلى البيت كان يتصرف كأي أب. يضحك ويمزح ويتابع بعض الأفلام ويسأل عن نتائج الامتحانات والعلامات. لم يكن منقطعاً عن الحياة لكنه كان منغمساً في عمله (...) لم يكن متسلطاً ولم يكن منقبضاً. كان الجانب العام طاغياً في حياته. لكن حياتنا كانت بسيطة وكنا فرحين. كانت لديه قدرة على إشاعة السعادة من حوله. لم يكن إنساناً صعباً. كان سعيداً لأن أسلوب عيشه يصب في خدمة الهدف الذي رسمه لنفسه».

كان وديع حداد قاسياً على نفسه. ذهب في الزهد بعيداً. لا يعنيه المال إلاّ بقدر ما هو عصب ضروري للعمل. لا تعنيه المظاهر. لا

احتفالات ولا إطلالات اجتماعية واستعراضية. بساطة في العيش وتقشف في المأكل والملبس. ينطبق عليه ما ينطبق على رفاقه. والأمر نفسه بالنسبة إلى عائلته. لا امتيازات لأحد. ويوم مات لم يترك لعائلته شيئاً «باستثناء الإرث المعنوي الهائل الذي نعتز به». مات ولم يتملك شقة واحدة. أما المبلغ الزهيد الذي كان في خزنة «المجال الخارجي» يوم غاب فقد انتقل إلى «التنظيم». وهنا تلتقي روايات من يعرفون الحقائق والأرقام.

الفصل الأول

الابن يتكلم عن أبيه

■ **سألت هاني حداد ماذا يعني له أن يكون نجل وديع حداد؟ فأجاب:**

ـ لا يمكنني عزل هذا الموضوع عن الجانب الشخصي والحميم فيه على رغم معرفتي بأن الجانب العام كان الأساس في حياة وديع حداد وتجربته. هناك علاقة مركبة وخاصة جداً في الوقت نفسه، لا سيما أن حديثنا هذا يأتي بعد فترة غياب طويلة. لا أعرف إذا كان استخدام تعبير إرث وديع حداد دقيقاً لكن هناك بلا شك إرث معنوي هائل خلفه كوالد وكشخصية عامة. لم يكن يرغب في إغفال الجانب الخاص في حياته لكنه كان حريصاً على ألّا يتغلب على الجانب العام الذي أعطاه حياته بكليتها. كان يؤكد دائماً على أهمية الجانب العام انطلاقاً من قناعته الراسخة بالحالة النضالية التي كان يعيشها. كانت العلاقة العائلية تعني له الكثير، والأمر نفسه بالنسبة إلى الأبوة، غير أن الأساس في حياته وحياتنا كان القضية

فهي كانت الهم الأول. هناك تعبير أخلاقي جداً كان يستخدمه كتعبير عملي وهو جزء أساسي من القدرة على الأداء في المحيط النضالي الذي كان يتصور أننا يجب أن نعيش فيه، ينطلق من أخلاقية نكران الذات. لعل هذه المسألة بالذات من أول المفاتيح لفهم شخصيته. كان يعيش حالة نكران الذات هذه ويسعى إلى إشاعتها في نفوس من هم حوله، بالممارسة لا بالكلام. أعتقد بأنه نجح تماماً. لقد تبين أن من عملوا معه تشربوا هذه الروحية التي ربما أصيبت بشيء من الضمور بعد غياب النموذج الذي كانت تشع منه.

■ **وعما يشعر به حين يقرأ مقالاً أو كتاباً يصف والده بأنه كان «عراب الإرهابيين» قال:**

ـ بالنسبة إلى الإرهاب، واضح أنه كان موجوداً في كل التجارب التي يوجد فيها طرف قوي مسيطر على طرف أضعف. في مثل هذه الحال يضطر الأضعف إلى استخدام أساليب غير تقليدية في الرد لأن الآخر يسحقه ولا يترك له أي خيار. في أدبيات الثورة الروسية تحدث لينين عن الإرهاب واستخدامه ولماذا وأين. خلال الحرب العالمية الثانية ألم تستخدم المقاومة الأوروبية ضد النازيين أساليب يمكن نعتها بالإرهاب. وضعوا عبوات في محطات القطار والمطاعم التي يرتادها الألمان. الحركة الصهيونية كان الإرهاب من بديهيات وجودها. كان الإرهاب الأكبر التحالف غير المعلن بينهم وبين الحركة النازية. وُضعت كتب حول هذا الموضوع لا أعرف لماذا تم التعتيم عليها. تهمة الإرهاب بالنسبة إلينا صناعة إعلامية.

■ **هل تجزم أن الدكتور وديع لم يترك شيئاً لعائلته؟**

ـ ترك لنا ذكراه وعبره وتجربته، وهي عندي أثمن من أي شيء ولا

تقدر بمال. إننا نعيش في ضوء تجربته ودروسها. حين ألتقي بمن عايشوه أشعر أنه كان من الرجال الذين يصنعون الآمال ويعملون لتحقيقها. أنا لا أعتقد أن التجربة الفلسطينية في العقود الماضية كانت فاشلة. ما يجري اليوم في الأراضي المحتلة يشير إلى أنها أصابت قدراً من النجاح. علينا أن نلتفت إلى حجم التحدي المقابل. التحدي الصهيوني ليس بسيطاً.

▪ هل تعتقد بأن والدك ظُلم؟

ـ كل حياته كانت بمثابة رد فعل على ظلم. تقصد هل ظُلم من جانب «الجبهة الشعبية» بفعل بعض التجاذبات أو الاتهامات؟ كل هذه الأمور لم تكن تعني شيئاً لوالدي. والدليل أنه حتى وفاته لم يكن يرى نفسه خارج الجبهة.

▪ هل كانت لدى والدك مشاعر مرارة؟

ـ كانت لدى والدي مرارة من تجربة الأردن. الأردن يعني له الكثير. أمضى ثلاث سنوات في السجن وكانت له تجربة إنسانية غنية مع السجناء والسكان المحيطين بالسجن، وقد حفر مع رفاقه نفقاً للهروب لكن الحراس اكتشفوه. مصدر المرارة التجاوزات التي حصلت بحق السكان. كان يقول إن جزءاً من العدو الذي واجهنا في الأردن هو نحن. وحتى بالنسبة إلى لبنان كان يعتقد أن نجاح حزب الكتائب في الاستقطاب ورفع درجة الشراسة يعود في جزء منه إلى ممارسات المقاومة. رأى والدي أن تجربة المقاومة في لبنان تضمنت أخطاء بعضها قاتل. كان معارضاً لفكرة التجييش أي تحويل المقاومة إلى ما يشبه الجيوش النظامية.

■ **هل كانت لديه مرارة من عمليات خطط لها ولم تنجح؟**

ـ سمعته مرة يقول إنه بمجرد أن نظهر لهم (الأعداء) أننا لا نزال نمتلك القدرة على الوصول وتخطي الحواجز الأمنية نعتبر أننا حققنا نجاحاً. وطبعاً النجاح بدرجات.

■ **هل ترك وصية؟**

ـ لا. لم أسمع بشيء من هذا النوع.

■ **هل تلقيت مثلاً ذات يوم رسالة من كارلوس؟**

ـ لا. كان عمل والدي مفصولاً عن عائلته.

■ **هل كان وديع حداد يكره اليهود؟**

ـ لا. لم يكن يكره اليهود كيهود أي بسبب انتمائهم الديني. لكن عليك أن تأخذ في الحساب أن ما يسمى النضال التحرري الفلسطيني والعربي مر في مراحل عدة في وعيه لما يسمى «التحدي الصهيوني». في إحدى الفترات كان الصهيوني مرادفاً لليهودي. في فلسطين كان تشكل الوعي بالخطر الصهيوني بدائياً لكن ليس لدى الكل. كنت تجد في تلاوين الحركة الوطنية الفلسطينية قبل النكبة من كان يسمي الغزو الصهيوني بالصهاينة تمييزاً لهم عن اليهود. صفد كانت مجتمعاً متعدداً وكذلك حيفا. كان هناك يهود يحملون جوازاً بريطانياً مكتوب عليه: حكومة فلسطين. لم تكن المشكلة مع هؤلاء. المشكلة اتسعت حين أرغمت الصهيونية هؤلاء على التوحد معها أو اجتذبتهم إليها. الحركة الصهيونية تزعم أنها حركة قومية ولهذا تعتمد كثيراً على ظاهرة التجييش وترى أن معسكرها يشمل جميع اليهود. كان

والدي يستخدم أحياناً كلمة يهود للإشارة إلى الصهيونية لكنه لم يكن عنصرياً ولا معادياً لليهود كيهود.

■ عمل والدك في الظل خصوصاً بعد قيام «الجبهة الشعبية» وتردد أنه لم يحب منذ البداية التنظير والجدالات الفكرية والسياسية الطويلة، فما صحة ذلك؟

ـ كثيراً ما قيل عن والدي أنه يغلّب الجانب العملاني والممارساتي على الجانب الفكري والإعلامي. أحب أن أوضح أنه كان يؤكد دائماً على الوعي السياسي والمنطلقات الفكرية التي تحكم التطبيق. كان يستخدم تعبير الجغرافيا السياسية التي على المناضل أن يعرفها ليصوّب إلى الهدف.

كان يدرك أهمية الإعلام. مشروع «الهدف» كمجلة مركزية ناطقة باسم «الجبهة الشعبية» وقبلها مجلة «الحرية» كناطقة باسم حركة القوميين العرب كان له دور كبير في قيامهما لكونه عمل مسؤولاً مالياً في الحركة والجبهة. تعرف أن علاقة خاصة قامت بينه وبين الشهيد غسان كنفاني.

لا يمكن أن أنسى يوم استشهد غسان كنفاني. كنا في منزل في الجبل. ظهرت كل عدوانية والدي. اعتبر أنه أصيب في الصميم. رد فعله الأول كان القول: «لشو عايشين». كان غسان بالنسبة إليه قيمة هائلة وقدرة لا يمكن تعويضها. فقد كان إعلامياً متميزاً وكان مبدعاً. وفي اعتقادي أننا نشكو من قلة المبدعين. والدي كان لديه الشعور نفسه، لهذا كان يلتقط من يلمع في دورته ويتعهده ويهتم به.

كان والدي يحب العلم. كان يقول إنه لو لم يكن طبيباً لكان عالماً

في الطبيعيات. كان مهتماً بسيكولوجية الحيوان ونفسيته ويتابع ما يصدر في هذا الموضوع.

أعود إلى غسان كنفاني. كان والدي يعتقد أن غسان قادر على المساهمة في إيجاد إعلام بديل من الإعلام السائد المعادي للمشروع الذي كان والدي جزءاً منه. لهذا ظهرت «الهدف».

■ من هي الشخصيات التي أثرت في وديع حداد؟

ـ هناك لائحة لا نهاية لها. في المقدمة أضع الدكتور جورج حبش الذي كان قوة روحية ونضالية بما يجعل منه نموذجاً. إنها حالة الالتزام من دون مساومة أو حسابات.

■ من كان والدك يحب من الشعراء والكتّاب؟

ـ كان قارئاً نهماً. وبفعل تربيته كان يحب الشعر العربي.

في الشعر الإنكليزي كان يحب اللورد بايرون كثيراً ويحفظ له الكثير من نتاجه. ثم في الدرجة الثانية شكسبير. المرة الأولى التي سمعت فيها شيئاً من نصوص شكسبير كانت حين سمعت والدي يردده ويلقيه. كان والدي يحب قصائد المتنبي كثيراً. كذلك أحب بشكل خاص أبو القاسم الشابي وكان يردد قصيدته التي يقول فيها:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء

كان يحب قصائد أحمد شوقي وابراهيم طوقان. كان يرى أن بيتاً من الشعر قادر أحياناً على تصوير حالة معينة أو اختصار وضع. كان الشعر يعنيه أكثر من الشاعر. كان يحب عنترة والفروسية

الحقيقية لديه لا الفروسية الكاريكاتورية. كان يحب أيضاً أبا فراس الحمداني. كان يقرأ تشارلز ديكنز وخصوصاً «قصة مدينتين» وما فيها من التضحية بالنفس والإيثار، ومارك توين. كان يشجعني على القراءة ولا يلزمني بشيء محدد لاعتقاده بأن على المرء أن يقرأ كثيراً ثم يختار بعد تكوين شخصيته.

■ هل حزن لأنه أرسل أناساً وقتلوا خلال العمليات؟

ـ نعم، في بعض الحالات رأيت الدموع في عينيه.

الفصل الثاني

العمليات الأولى
«مطار الثورة» في عمّان

كان وديع حداد طالباً في كلية الطب في الجامعة الأميركية في بيروت حين حلّت النكبة بشعبه. سارع إلى التطوع لاستقبال النازحين الوافدين إلى مخيمات لبنان وعاين عن قرب عذابات من صاروا بلا وطن. لم يعد في استطاعتهم العودة إلى حقولهم وبيوتهم، ولم يعد في استطاعته العودة إلى صفد. لن ينسى تلك المشاهد وسيكرس حياته لرفع الظلم عن شعبه. وفي «حركة القوميين العرب» التي شارك في تأسيسها في مطلع الخمسينيات رداً على النكبة، كما في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» التي شارك في تأسيسها في الشهر الأخير من عام ١٩٦٧ رداً على الهزيمة و«النكسة» كان يستعجل إطلاق العمل العسكري والذهاب به بعيداً. في أواخر ١٩٦٣ تأسس إقليم فلسطيني في الحركة وعهد إلى حداد بقيادته. وفي ١٩٦٨ بدأت اللجنة المسؤولة عن العمل الخاص في «الجبهة الشعبية» عملها، وأسندت قيادتها إلى حداد. هكذا ولد «المجال الخارجي» الذي سيوسع دائرة الحرب

على المحتل الإسرائيلي آخذاً المعركة إلى عواصم بعيدة وقارات أخرى مطارداً العدو «في كل مكان».

في ٦ أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ يحبس العالم أنفاسه. ذعر في الأجواء وذعر في المطارات. وسيتردد اسم فلسطين في الرسائل المتلاحقة التي تبثها وكالات الأنباء والإذاعات والتلفزيونات. ومنذ ذلك اليوم يعتبر حداد، إلى وفاته في ١٩٧٨، الرجل الأخطر في الشرق الأوسط وتبدأ أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية والغربية حملة مطاردة طويلة بحثاً عنه. لكن وجبة الطائرات التي اقتادها حداد إلى «مطار الثورة» في محلة «قيعان خنا» في الأردن لن تحقق غرضها المباشر وهو مبادلة الإسرائيليين المحتجزين بالفلسطينيين المعتقلين في السجون الإسرائيلية لأن اشتباكات أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ بين الجيش الأردني والفدائيين الفلسطينيين اندلعت بعد أيام فقط.

محطة أخرى في هذا السياق. في ٢٢ شباط/فبراير ١٩٧٢ خطفت عناصر تابعة لـ «المجال الخارجي» من نيودلهي طائرة تابعة لشركة «لوفتهانزا» الألمانية الغربية واقتادتها إلى عدن. بعد وقت قصير من تأكيد نجاح عملية الخطف اقترب شاب عربي من علبة البريد في مقر الشركة في فرانكفورت ووضع رسالة لن تتأخر في الوصول إلى مكتب المدير. كانت العملية مالية وغرضها حل المشكلة المالية التي كانت تواجهها «الجبهة الشعبية». ووقع الخيار على ألمانيا الغربية لمعاقبتها على التعويضات التي تقدمها لإسرائيل وتستخدمها الأخيرة في ترسيخ احتلالها.

وفي استطاعتنا أن نؤكد أن الرواية التي ننقلها عن هذه العملية المالية هي أول رواية كاملة لهذا الحدث وعلى لسان من كانوا في موقع القرار والتنفيذ معاً. طبقت «لوفتهانزا» حرفياً ما جاءها في

الرسالة ــ الإنذار. وصل مبعوث ألماني إلى مطار بيروت الدولي حاملاً في حقيبته خمسة ملايين دولار وانطلق بسيارة قادها بنفسه، وفقاً للتعليمات، وسلم الحقيبة في مدينة صيدا في جنوب لبنان.

هنا حوار مع اثنين من مساعدي حداد المباشرين طلبا عدم ذكر اسميهما.

■ من تقصد حين تستخدم كلمة «التنظيم»؟

ـ التنظيم كان في الأساس لجنة مسؤولة عن العمل الخاص داخل «الجبهة الشعبية». هذه اللجنة عرفت باسم «المجال الخارجي العسكري». لم تكن مهمة اللجنة فقط العمليات الخارجية، لكن لأن معظم العمليات تم خارج الساحة العربية عرفت بالعمليات الخارجية. وبدأت اللجنة عملها في ١٩٦٨.

■ لماذا شُكلت هذه اللجنة وكيف؟

ـ في ١٩٦٨ وفي ضوء الاستراتيجية العسكرية لـ «الشعبية» ظهر تحليل يقول إن العدو الصهيوني يقوم على ثلاث ركائز: الركيزة الاقتصادية والعنصر البشري والمؤسسة العسكرية. واعتبر يومها أن ضرب هذه الركائز الثلاث أو أي واحدة منها يساهم في استنزاف العدو مقدمة للانتصار عليه. العمليات الخاصة كانت تستهدف ضرب أهداف لا يستطيع المقاتل العادي في الداخل أو الخارج الوصول إليها بالطرق العادية. هناك أهداف داخل الكيان الصهيوني وهناك مصالح صهيونية خارج الأرض المحتلة. هناك شخصيات إسرائيلية يجب تصفيتها في الداخل أو الخارج وبأسلوب يختلف عن العمليات العسكرية العادية. قيادة «الجبهة الشعبية» شكلت هذه اللجنة برئاسة وديع حداد ولم يكن كل أعضاء اللجنة من الجبهة.

تُركت لوديع حرية الاستعانة بأشخاص من خارج الجبهة. كان يستعين إما برفاق قدامى من «حركة القوميين العرب» وإما بأشخاص عرب أو غير عرب يمكن أن يساهموا.

■ **ماذا كانت مهمة اللجنة بصورة أدق؟**

ـ كانت اللجنة تجمع المعلومات عن أهداف ثم تختار الهدف المنوي ضربه، وتتم عملية اختيار عناصر التنفيذ من الجهاز العسكري لكل عملية على حدة. بعد اختيار الأسماء تسحب العناصر من الوحدات العسكرية وتخضع لتدريب خاص يتناسب مع العملية. طبعاً هذه المسألة ترتب أعباء مالية. العمل السري مكلف. والعمليات تحتاج إلى استطلاع ونقل أسلحة وانتقال عناصر واستئجار أماكن إقامة.

■ **أين كان وديع يقيم في تلك المرحلة؟**

ـ الثقل الأساسي للجبهة كان في الأردن. وديع كان مقيماً في بيروت لأسباب أمنية. لا يمكن هذا النوع من العمل السري أن يكون على مرأى ومسمع من الفصائل.

■ **هل ساهم وجوده بعيداً من القيادة في إثارة حساسيات ضده؟**

ـ الحساسيات بدأت منذ مرحلة عمان. ثمة من قال إن هذا العمل مكلف. وقال آخرون لا نعرف ماذا يعمل وديع في بيروت. منهم من اتهمه بأنه غير منضبط. الحقيقة أن القيادة كانت تعرف بالعمليات سلفاً، أي قبل حدوثها. لا أقول كل القيادة لكنّ جزءاً منها كان على معرفة بالتفاصيل. ارتفعت أصوات تطالب بأن يكون

وديع في عمان لتتمكن القيادة من ضبطه. أضيف عنصر آخر. في هذه المرحلة ظهر التوجه الماركسي في الجبهة. وكانت دول المعسكر الاشتراكي لا تقر هذا النوع من العمليات. ظهر من يطالب بالتخفيف من هذه العمليات وكان غرض الداعين الفعلي وقفها. كل هذا في وقت بدا أن هذه العمليات أثبتت جدواها لجهة إيذاء العدو أو إزعاجه ولجهة الإعلام أيضاً.

▪ لماذا خطفت أول طائرة؟

ـ خطفت طائرة «العال» الإسرائيلية التي كانت متجهة من روما إلى تل أبيب وأجبرت على التوجه إلى الجزائر في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٦٨. كانت «الجبهة الشعبية» محاصرة إعلامياً. في شباط/فبراير ١٩٦٨ أعدت الجبهة تقريرها السياسي وتحدثت عن النظام المصري كنظام بورجوازي صغير يحكم العلاقة معه تحالف وصراع، وكان هناك انشقاق داخل الجبهة. العملية ساهمت في كسر الحصار الإعلامي وفي إطلاق عدد من المعتقلين. معيار صحة العملية هو مدى تقبل الجماهير لها. والواقع أن الجماهير الفلسطينية كانت مؤيدة.

▪ من اتخذ قرار العملية؟

ـ تمت تنفيذاً لاستراتيجية الجبهة بضرب الركائز الاقتصادية والعسكرية والبشرية للعدو الصهيوني. كان أحد الأهداف المطالبة بإطلاق السجناء الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية وبينهم سجين أسر في ١٩٦٤. وقد تم إطلاق الأسير ومعه نحو ٣٧ أسيراً.

▪ في مثل هذه العملية هل كان وديع حداد المخطط؟

ـ كان وديع على رأس اللجنة وهو صاحب القرار الأول. كان

يشاركه في التخطيط آخرون أصحاب خبرات مختلفة. في البداية لم يكن أعضاء اللجنة يعرفون جداول عمليات الطيران والخطوط التي تسلكها الطائرات. كان لا بد من الاستعانة بخبراء. هكذا تمت الاستعانة بطيار فلسطيني. أحاط وديع نفسه بمجموعة من الكفاءات الفكرية والسياسية والعسكرية والفنية من الفلسطينيين والعرب. تلك كانت العملية الأولى وحظيت بإجماع كامل داخل الجبهة. حصلت ملابسات. الجزائر اعتقدت أن توجه الطائرة إليها هو عملية موجهة ضدها واتهمت ضمناً مصر بالتشجيع على ذلك. طبعاً لم يكن هذا صحيحاً. مصر أيضاً لم تكن راضية، فقد تمت العملية خلال عقد المجلس الوطني الفلسطيني في القاهرة. وفي ذكرى ثورة تموز/يوليو. رأى بعض الفصائل العملية نوعاً من المزايدة. وديع كان نائباً لرئيس المجلس الوطني وكان حاضراً في القاهرة وخرج وأعلن عن العملية. والصورة الوحيدة التي تتداولها وسائل الإعلام هي صورته يومذاك.

■ **كذلك هوجمت طائرة «العال» في أثينا في كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨؟**

ـ هاجم شبان بالرشاشات طائرة «العال» وهي جاثمة في المطار وبعد صعود الركاب إليها. وقع عدد من الإصابات. اعتقل عنصران.

■ **في شباط/فبراير ١٩٦٩ هوجمت طائرة «العال» في زوريخ؟**

ـ هوجمت طائرة «العال» وهي تستعد للإقلاع. نفذ الهجوم ثلاثة شبان وفتاة. استشهد شاب اسمه عبد المحسن وألقي القبض

على الآخرين. أدى الهجوم إلى وقوع إصابات. استمر احتجاز الشابين والفتاة في سويسرا إلى أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ حين أطلق سراحهم.

وفي ٢٩ آب/أغسطس ١٩٦٩ خطفت طائرة «بوينغ» تابعة لـ «الخطوط الجوية العالمية» إلى دمشق. وقد أطلق الركاب والملاحون قبل تدمير الطائرة. شارك في عملية الخطف ليلى خالد وسليم عيساوي وهي كانت أول عملية خطف بقيادة امرأة فلسطينية وأعادت التذكير بأول شهيدة للجبهة شادية أبو غزالة التي انفجرت بها في ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٨ قنبلة من القنابل التي كانت تصنعها للجبهة الشعبية وفق ما ورد في بيان العملية.

▪ ماذا كانت ردود الفعل داخل الجبهة؟

ـ بدأت ترتفع بعض الأصوات، خصوصاً أن أسباباً أمنية كانت تفرض عدم إطلاع كل أعضاء قيادة الجبهة على هذه العمليات قبل وقوعها. من شروط سلامة العملية عدم توسيع دائرة العارفين بقرار تنفيذها، ثم من يضمن ألا يكون هناك خطأ ما، كأن يتسرب السر عبر زوجة أحدهم أو أصدقائه؟ وكما قلت فإن بعض القياديين أرادوا الإيحاء أن وديع الموجود في بيروت يعمل على هواه.

▪ أين كان وديع يقيم في بيروت؟

ـ في أماكن عدة. كلها مقار سرية ما عدا بيت العائلة الذي لا يزال حتى اليوم.

▪ ومسألة مهاجمة خطوط شركة التابلاين؟

ـ نعم، هذا حصل في الشهر السادس من ١٩٦٩ في الجولان، وكان الغرض السياسي من هذه العملية أن هذا النفط العربي الذي يمر في أرض محتلة وبحماية إسرائيلية ويصب في مرفأ الزهراني (جنوب لبنان) وتنقله ناقلات غربية إلى البلدان الغربية يجب أن تشمله المعركة. حصلت عملية تفجير. المتضررون اتخذوا موقفاً عنيفاً وبعض الفصائل الفلسطينية اعترض على العملية.

■ كيف كان وديع حداد يعمل؟

ـ كانت المعلومات تصل من عناصر الاستطلاع. تتجمع المعلومات لدى لجنة التخطيط وعندما يتم اختيار الهدف يصبح الأمر متعلقاً بلجنة التنفيذ. بدأنا في جمع معلومات عن أهداف وشخصيات إسرائيلية. كنا نقول إنه بعد ٢٥ سنة من انتهاء الحرب العالمية الثانية كان اليهود يطاردون من سمّوهم مجرمي النازية، فلماذا لا نلاحق نحن المجرمين الصهاينة. وضعنا لائحة تشمل ديفيد بن غوريون وموشي دايان وآخرين. درسنا اغتيال دايان في أميركا وبن غوريون في السويد. أرسلنا عنصراً إلى أميركا لملاحقة دايان لكن المسألة لم تبلغ مرحلة التنفيذ، وأرسلنا اثنين إلى السويد واعتقلا. جمعنا معلومات عن سفارات ومؤسسات اقتصادية، إضافة إلى ضرب أهداف في الداخل كان متعذراً على الجهاز العسكري العادي الوصول إليها. وتفجير سينما «حين» في تل أبيب في ١٩٧٤ وعملية مطار اللد في ١٩٧٢.

■ هنا نصل إلى محطة كبيرة هي خطف الطائرات إلى «مطار الثورة» في عمان. من اتخذ القرار؟

ـ في تقديري أن القرار اتخذه الدكتور جورج حبش. كانت المنطقة

تعيش أجواء مبادرة روجرز التي قبلها الرئيس جمال عبد الناصر. كان لدى القيادة تحليل مفاده أن القبول بالتسوية السلمية يعني القضاء على المقاومة الفلسطينية. في هذه الأجواء وجه حبش رسالة إلى وديع حداد يمكن اختصارها بكلمتين هما «أشعل المنطقة». وهذا يعني أن المطلوب من وديع كان إعداد عملية تقلب الأجواء والمعادلة. وهكذا بدأ التحضير لخطف مجموعة طائرات. طائرة «العال» وطائرة سويسرية وثالثة بريطانية ورابعة أميركية. «العال» أحبطت في الجو. السويسرية والأميركية فجرتا في مطار الثورة ومعهما طائرة تابعة للخطوط البريطانية خطفها شاب فلسطيني من البحرين بمبادرة منه، أما الطائرة الأميركية الأخرى ففُجرت في مطار القاهرة.

كان من أهداف العملية أيضاً مطالبة إسرائيل بإطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين. أطلق في لندن سراح ليلى خالد وأطلق الذين اعتقلوا في زوريخ في ١٩٦٩.

■ **هل كانت لدى وديع حداد غرفة عمليات ووسائل اتصال متطورة؟**

- في تلك الفترة كان هناك حرص على عدم استخدام التكنولوجيا في الاتصالات. كانت الاتصالات شخصية. يذهب شخص ويأتي شخص. في فترة التحضير كان التخطيط في مقر وديع وكانت عناصر التنفيذ في متناوله. وكان المنفذون ينطلقون من بيروت وغيرها بحسب الهدف. كان القرار الأخير يتخذ في بيروت. الإجراءات معقدة. إرسال المنفذين وتوفير الأسلحة والتنسيق.

■ **كيف كان يتم توفير الأسلحة لعملية مثل التي جرت**

في زوريخ؟

ـ كانت هناك جملة من الإجراءات. مجموعة تقوم بالاستطلاع وتقدم معلومات تفصيلية عن الهدف. نقل الأسلحة تتولاه مجموعة ثانية لا علاقة لها بالأولى. يتسلم السلاح شخص لا علاقة له بالمجموعة ويسلمه إلى المنفذين. من يسلم السلاح يعرفه شخص من المنفذين وبعد قيامه بتسليم السلاح يغادر المكان. المنفذون لا يعرفون من قام بالاستطلاع ومن أوصل السلاح. إذا اعتقل المنفذ لا تكون لديه معلومات عن الآخرين. كانت هناك تدريبات للمنفذين حول سلوكهم في حال اعتقالهم. التدريبات تستند إلى دراسات قانونية. كان شخص يلعب دور المحقق أو القاضي ويطرح عليهم الأسئلة المحتملة ويتم تدريبهم على الإجابات التي يفترض ألا يحيدوا عنها. كان الشعار أن من يعمل في هذا العمل مصيره السجن أو الاستشهاد وعليه أن يكون مستعداً.

■ **هل ذهب وديع إلى عمّان أثناء خطف الطائرات إلى مطار الثورة؟**

ـ نعم كان هناك في استقبال الطائرات. ذهب قبل فترة لتحضير المكان الذي ستهبط فيه الطائرات. وقع الخيار على مطار عسكري قديم كان يُستخدم في الحرب العالمية الثانية. كان من غير الوارد اقتياد الطائرات إلى مطار عمان الدولي. بعد عملية بحث دقيقة والاستعانة بمهندسين وطيارين تم تحديد المكان.

■ **من كان يعرف بقصة «مطار الثورة»؟**

ـ لجنة العمليات كانت تعرف بالعملية لكنها لم تكن تعرف المكان بالتحديد. اختيار المكان كان من مسؤولية وديع ومعه المسؤول

العسكري ومسؤول الأمن في عمان. تم البحث تحت شعار التفتيش عن موقع للتدريب.

لماذا اختير الأردن؟

ـ الأسباب عدة بينها قدرتنا على السيطرة على الطائرات بسبب وجود الجهاز المقاتل. ثم إن الدولة (الأردنية) كانت غير قادرة على السيطرة على الطائرات بعد وصولها من دون المجازفة باشتباكات واسعة مع المقاتلين.

ألم تكن تلك الحادثة سبب انفجار المواجهة بين الجيش الأردني والمقاومة الفلسطينية؟

ـ يحلو لبعض الناس التركيز على هذه الناحية. الواقع أن سلسلة من الاشتباكات بين الطرفين كانت سبقت ذلك الموعد. وكنا نعتقد أن تلك الاشتباكات بمثابة اختبارات من جانب النظام لمعرفة مدى قدرته على إلحاق هزيمة بالمقاومة. ربما كان ما حصل في «مطار الثورة» من العوامل التي سرّعت الانفجار، لكن العوامل الأخرى كانت حاضرة وربما أكثر أهمية. هناك فصائل فلسطينية كانت تسعى إلى قلب النظام. «الجبهة الشعبية» لم تكن تسعى إلى قلب النظام. «فتح» كانت تفكر في ذلك وهذه نقطة يتجنب كثيرون الخوض فيها.

هنا لا يمكن إنكار الممارسات الخاطئة التي حصلت في تلك الفترة خصوصاً من جانب اليسار. هناك طروحات استفزت الناس خصوصاً الموقف من الدين والتقاليد. كانت الأجواء تتجمع ضد المقاومة لأسباب كثيرة. النظام ساهم في تحريض الأردنيين على المقاومة من خلال خلق فصائل مشبوهة لارتكاب أخطاء ضد

العسكريين. مثلاً كانت هناك مجموعات من «الكفاح المسلح» تتعمد الإساءة إلى الضباط والجنود الأردنيين. عمل الاستخبارات الأردنية كان واضحاً. لا أريد تعليق كل شيء على شماعة الأميركيين وإسرائيل. لقد ارتكبنا أخطاء لكن في المقابل كانت هناك استعدادات لضرب المقاومة.

أشرف وديع حداد على هذه العملية منذ اللحظة الأولى حتى نهايتها، أي من اختيار «المطار» إلى وصول الطائرات وإدارة العملية الإعلامية ـ السياسية ثم تفجير الطائرات. ارتفعت حرارة الأجواء مع الجيش الأردني وخرج وديع إلى عمان مع الرهائن، أي في حماية الدروع البشرية. كان وديع مستهدفاً ولا بد من إخراجه. كان مقرراً أن يغادر إلى العراق لكن في ذلك اليوم لم نجد أحداً من الإخوان العراقيين لذلك عبرنا في الصحراء إلى سورية. مررنا بالسويداء ومنها إلى دمشق وتوجهنا إلى بيروت.

خلال هذه الأحداث كان الدكتور حبش في زيارة إلى كوريا الشمالية انتقل بعدها إلى الصين وخلال وجوده هناك اندلعت الاشتباكات بين الجيش الأردني والمقاومة. لاحقاً دخل الدكتور حبش جرش ودعا إلى عقد لقاء للجنة المركزية هناك في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٠ وحضر وديع الاجتماع.

■ **كيف وصلوا إلى جرش؟**

ـ منهم من ذهب من طريق سورية ومنهم من جاء من العراق.

■ **قرار «مطار الثورة» اتخذ في بيروت؟**

ـ نعم.

■ أقام وديع في عدن وبغداد في السبعينيات؟

ـ نعم كانت لوديع علاقة بعدن. وهذه كانت من أسباب إثارة الحساسيات داخل «الجبهة الشعبية». كان للجبهة فروع في بعض الدول الصديقة. لكن وديع كان يعتمد على قنوات خاصة من خارج مكاتب الجبهة. وأقام في مناطق أخرى منها الجزائر والصومال.

■ كانت له علاقة مع سياد بري؟

ـ كانت بمثابة شهر عسل، وانتهت في عملية «اللوفتهانزا» (الشهر العاشر ١٩٧٧).

■ هل كان اجتماع اللجنة المركزية للجبهة في جرش عاصفاً، وهل وجه لوم إلى وديع بسبب «مطار الثورة»؟

ـ هنا يجب أن يكون المرء موضوعياً. كان هناك شعور بالهزيمة. وفي مناخ الهزيمة يسعى كل طرف إلى إلقاء المسؤولية على الآخرين. ما كان يسمّى عندنا اليسار المراهق أو المتطرف اعتبرناه مسؤولاً عن توتير الأجواء في الأردن بسبب ممارساته. وفريق حمّل ما كان يطلق عليه يمين الجبهة مسؤولية توريطها في أعمال «كنا في غنى عنها». كان وديع يصنف في نظر هؤلاء في يمين الجبهة. أما اليسار فمثّله شبان جدد كان يتبناهم الدكتور حبش. الواقع أن نايف حواتمه كان يصر على اتهام حبش بأنه يميني فيرد الأخير بالسعي إلى نفي ذلك وتبنّي مجموعة الشبان اليساريين. في اعتقادي أن اليسار المراهق في الجبهة شعر بأنه لا مستقبل للمقاومة فأراد أن ينسحب محمّلاً المسؤولية لمن سماه اليمين.

بعد أحداث الأردن عاشت «الجبهة الشعبية» أزمة مالية خانقة.

■ هل بدأت الحساسية بين حبش وحداد في أيام جرش؟

ـ يمكن القول إنها بدأت ولكن لم تكن ظاهرة للعيان كما حصل لاحقاً. كان المطلوب في تلك الأيام أن تسيطر القيادة على العمل الخارجي. بعد إخراج المقاومة من الأردن طرح اقتراح بدمج العمل الخارجي بالعمل العسكري. أي قيادة موحدة للعمل الخارجي والعسكري والأمن والميليشيا. طبعاً هذا الموضوع غير قابل للتحقيق بالصيغة التي كانت مطروحة فيها. عملياً قطعت موازنة العمل الخارجي. بالنسبة إلى وديع لم تكن الموازنة عائقاً خصوصاً أنه كان تاريخياً مسؤولاً عن حل الأزمات المالية. حتى في «حركة القوميين العرب» كان مسؤولاً عن الإدارة التي توفر المال والطباعة وكل ما يتعلق بالعمل اليومي.

■ ما هي قصة عملية الـ«لوفتهانزا» في شباط/فبراير ١٩٧٢؟

ـ في ١٩٧٢ حصلت هذه العملية وكانت مالية. السبب المباشر لها الأوضاع المالية الشديدة الصعوبة التي كانت تعيشها «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». الواقع أن الصعوبات كانت مالية وغير مالية. بحكم خصوصية «المجال الخارجي» وطبيعة عمله كان من مسؤولية وديع أن يضمن أمن العناصر والمعلومات. هذا يستدعي عملياً وجود ثلاث أو أربع شقق في بيروت لحماية الناس وأسرار العمل. قبل ذلك كان منزل وديع في بيروت قد تعرض لهجوم، كما أن وديع استهدف أيضاً في منطقة بشامون إذ قصفت الطائرات منزلاً كان يستخدمه هناك. لم يكن أمامه الاّ أن يقيم في أماكن مختلفة. في تلك المرحلة تكاثر الكلام. راحوا يقولون إن الأزمة المالية حادة بينما يتنقل وديع

بين عدد غير محدود من الشقق. طبعاً كان الدكتور حبش والرفيق أبو علي مصطفى يعرفان القصة لكن لم يكن في استطاعة وديع أن يشرح الأمر للجميع. تصاعد اللغط حول هذا الموضوع.

تمت الدعوة إلى مؤتمر للجبهة وبدأ إعداد الوثائق التي ستقدم إليه وغاصت الجبهة إلى أذنيها في الأخذ والرد والانتقادات والحسابات الشخصية. أدرك وديع ما سيثار في المؤتمر ولم يعجبه الاضطراب الحاصل وخاف على الجبهة من التفكك، وكانت الأزمة المالية هي العنوان. هكذا قرر وديع القيام بعملية مالية قبل عقد المؤتمر. وقع الخيار على شركة «لوفتهانزا» للأسباب المعروفة. كانت ألمانيا الغربية تقدم تعويضات لإسرائيل عما حصل إبان الحرب العالمية الثانية. نحن اعتبرنا أن هذه التعويضات تساعد إسرائيل على تصعيد سياسة العدوان ضدنا واعتبرنا أيضاً أن من حقنا تدفيع الألمان.

أين رتبت عملية الـ «لوفتهانزا»؟

- في بيروت ونفذها شبان فلسطينيون باسم «أبناء ضحايا العدوان الصهيوني». خطفوا الطائرة التي انطلقت من مطار نيودلهي إلى عدن. في مطار عدن كان لدى الشباب كلمة سر إذا تلقوها يتم الإفراج عن كل من في الطائرة ويسلّمون أنفسهم للسلطات اليمنية، ومن دون تلك الكلمة لا مجال للتفاوض. حصلت عملية الخطف وتلقت الشركة رسالة بالمطلب وهو دفع خمسة ملايين دولار موزعة على عدد محدد من العملات ومن فئات مختلفة وأن يتم تسليم المبلغ في لبنان. كانت الخطة التي أبلغت الشركة بها هي الآتية: يأتي شخص يرتدي ثياباً من لون معين ويحمل حقيبة بمواصفات معينة ويخرج من باب محدد في مطار بيروت إلى مكان توجد فيه سيارة من طراز «فولكسفاغن» مفاتيحها في

داخلها. يفتح الرجل المكان المخصص للأوراق فيعثر على خريطة ترسم له طريقاً عليه أن يتقيد به ويسير مسافة لا تزيد على أربعين كيلومتراً وحين يصل إلى النقطة المحددة يتوقف هناك. وكانت النقطة قرب فندق في صيدا.

■ وماذا حدث؟

ـ وافقت الشركة واتخذنا إجراءات تبدأ من المطار وصولاً إلى النقطة المحددة للتسليم. وفي الوقت المحدد لم يصل الرجل. كان وديع موجوداً في بيروت ويستعد للتوجه إلى النقطة المحددة لتسلم المبلغ لكن الرجل لم يأت في الوقت المحدد.

بعد نحو ساعة خطر للشخص الذي كلف أصلاً التأكد من وصول المبعوث الحامل للحقيبة أن يعود إلى المطار، ففعل وبرفقته أحد الشبان. وأمام المطار حصلت المفاجأة. المبعوث بالملابس المحددة ومعه الحقيبة خرج إلى الـ «فولكسفاغن» واطلع على الخريطة وأدار المحرك ومشى. وقع الشابان في ما يشبه الارتباك. توجها إلى المكان الذي كان يفترض أن يكون فيه وديع قرب منزله في منطقة الملا. صعد أحدهما إلى الطابق الخامس حيث كان يوجد رجل اسمه أحمد خرج ضريراً من السجون الإسرائيلية بفعل التعذيب. سأله عن أبو هاني فقال لم يأت، سأله عن شخص آخر فرد بالجواب نفسه. فقال له إذا جاء أحدهما قل له إنني سألت عنهما وغادرت. خرج المكلف وأقلع بالسيارة بسرعة مجنونة ومعه الشاب الذي رافقه إلى المطار، وكان الهدف اللحاق بحامل الحقيبة الذي أدركاه في منطقة الجية إلى أن وصل إلى مدخل صيدا. شاءت الصدف أن تكون مرابطة هناك أربع شاحنات للجيش اللبناني. اعتقد الشابان أن العملية كشفت وأن الجيش اللبناني أعدّ كميناً. فجأة نزل الرجل

الألماني أمام الفندق فاقتربا منه. كان أول ما قاله: أريد سلامتي، فأجابه أحدهما: أنت في أمان، أين الحقيبة؟

في المقهى المجاور عثرنا على المهندس الشاب الذي كان دوره أصلاً أن يبقى مع الألماني إلى حين عودتنا. هذا الشاب لم يتم إبلاغه، لحسن الحظ، بإلغاء الإجراءات.

ذهب وديع إلى المكتب في الملاّ وسأل أحمد إن كان أحد قد سأل عنه فأجابه: سأل عنك فلان وغادر مسرعاً وسمعت صوت دواليب سيارته وهو ينطلق بجنون. أدرك وديع أن المبعوث وصل فسارع، وهكذا التقى الجميع في المكان المحدد للتسليم. كان برفقة وديع رفيق له وشخص ثالث يعمل في المصارف ويستطيع أن يعد الأموال بسرعة. عد الرجل الأموال فقال: على السعر الرسمي لليوم المبلغ ناقص عشرة دولارات، فضحك وديع وقال: يجب أن يدفعوها.

المهم أعطي الألماني بعض الدولارات وأبلغ بكلمة السر التي نقلها إلى الشركة ونقلها هؤلاء إلى كابتن الطائرة الذي نقلها إلى الشبان الذين يحتجزون الطائرة في عدن وانتهت العملية. كانت كلمة السر «أبو طلعت» وهو اسم أحد شهداء الجبهة، وكان المسؤول عن عملية احتجاز الطائرة شاباً فلسطينياً من قريته وبالتالي لم يكن من الممكن حدوث خطأ، فهو يعرف القصة ومن هو أبو طلعت. وهكذا انتهت العملية.

ماذا حدث في مؤتمر الجبهة؟

ـ غيرت العملية الأجواء، والذين كانوا يخططون لإحداث متاعب فشلوا. أثبت وديع قدرته على إيجاد الحلول وإنقاذ الجبهة من أزمة

خانقة فتغيرت موازين القوى. هذه كانت عملية مالية بحتة وهي كانت الوحيدة من هذا النوع.

■ ألم يحصل ابتزاز لأشخاص معينين؟

ـ على الإطلاق. وكان وديع يمارس ضغوطاً على أقاربه وأصدقائه ليدفعوا، وكان بينهم عدد من الأثرياء الفلسطينيين. كان يقول لأقاربه وأصدقائه: «ادفعوا، هناك من يموت من أجل القضية فساهموا على الأقل ببعض أموالكم». وكانوا يدفعون. لم تحدث أي عملية ابتزاز.

الفصل الثالث

عملية مطار اللّد
العلاقة مع المنظمات الأممية

ما سماه الغرب «إمبراطورية الإرهاب» كان بالنسبة إلى الدكتور وديع حداد لقاء طبيعياً بين ثوار وهبوا أنفسهم لمعركة ضد الظلم داخل بلدانهم وعلى مستوى العالم كله. كان بدهياً أن يشعر «الموساد» الإسرائيلي بالقلق، فقد كان حداد قادراً على أن يضرب في هذه القارة أو تلك. وكان من حق الغرب أن يقلق. فحداد يخوض حرباً بلا هوادة، وكان قادراً على مفاجأة خصومه في باريس أو لندن أو روما أو نيروبي. يصعب ضبط حركاته واحتواء اندفاعته. قد يكون المهاجم ألمانياً أو يابانياً أو تركياً أو إيرانياً. جنسيات كثيرة وشبكات معقدة ووثائق مزورة وأسماء مستعارة.

بعد العمليات الأولى لـ «المجال الخارجي» توافدت مجموعات ثورية من بلدان مختلفة إلى الشرق الأوسط تطرق باب حداد. وبعد المرور بالتنظيم الطالبي لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» والإعلام

فيها كان حداد يستقبل من يتوسم الجدية في عملهم.

تبدأ العلاقة ببلورة الأرضية السياسية وحين تتأكد صلابتها يبدأ التعاون وفق برنامج محدد. تبادل معلومات وتوفير وثائق وأسلحة وتسهيلات وتدريبات وأحياناً مشاركة مباشرة في العمليات.

تحوّل حداد رمزاً وملاذاً. وتحوّل «المجال الخارجي» معهداً للثوار تخرج منه من هزّوا العالم بعنف: «سالم» الفنزويلي الذي لم يكن غير كارلوس، و«مريم» اليابانية التي لم تكن غير نوريكو شيغينوبو زعيمة «الجيش الأحمر»، و«مجاهد» الأرمني الذي لم يكن غير آغوب أغوبيان زعيم «الجيش السري الأرمني لتحرير أرمينيا». «سالم» يقيم اليوم في سجنه الفرنسي. «مريم» سجينة في بلادها و«مجاهد» جندله الرصاص. سقطوا بعد رحيله. ربما بسبب غياب المظلة وربما أيضاً لأنهم وقعوا في ما كان يحميهم منه: نسج علاقات مع دول وأجهزة فضلاً عن الوقوع في النجومية.

جاؤوا من البعيد إلى المعسكرات الصغيرة. قلة تدربت في الأردن قبل إخراج المقاومة الفلسطينية منه. قسم تدرب في لبنان. بعضهم في مقديشو. لكن المعهد الكبير كان في عدن. للمرة الأولى سيزاح ستار الكتمان عن هذا الملف. وللمرة الأولى ستروى قصة معسكر عدن وهو في الواقع معسكر أقيم في منطقة جعار. كان النظام صارماً في تلك البقعة التي استضافت وافدين من جنسيات مختلفة تدربوا على الرماية والمتفجرات وأخضعوا لعمليات تثقيف. وبين الذين أقاموا هناك شاب حار الدماء استهوته الرماية بالمسدس وكان اسمه كارلوس. كان حداد يزور المعسكر ويحاور المدربين والمتدربين ويهتم بمن أظهر براعة وصلابة وقدرات استثنائية.

وجاءت عملية مطار اللد التي كانت ضربة موجعة وجّهها «المجال

الخارجي» في «الجبهة الشعبية» إلى إسرائيل عبر «الرفاق» اليابانيين. لم تنجح الأجهزة الإسرائيلية في كشف قصة المجموعة اليابانية التي تدربت في «معسكر بعلبك» في البقاع اللبناني وفي موقع قريب من صيدا في جنوب لبنان. ولم تعرف أن الشاب الياباني الذي غرق صدفة في بحر بيروت كان أحد الذين اختارهم حداد لتنفيذ عملية مطار اللد في ٣٠ أيار/مايو ١٩٧٢.

تبقى ملاحظة لا بد منها وهي أن تكرار بعض الأسئلة الحساسة يرجع إلى أن من سمي «المتحدث» هو في الواقع مجموعة أشخاص. وقد سعينا في كل محطة إلى توجيه الأسئلة إلى من شارك في القرار أو أشرف على التنفيذ. فرواية معسكر عدن مأخوذة من داخل المعسكر نفسه. ورواية عملية اللد مأخوذة ممن شاركوا في القرار والإعداد ومتابعة التنفيذ. أما عن الأسماء، باستثناء ما شاع منها، فقد حرص المتحدثون، انطلاقاً من التزامهم الأخلاقي حيال رفاقهم وحلفائهم، على عدم كشف ما يمكن أن يلحق أذى بأي شخص شارك في تلك المرحلة. ومن جانبنا حرصنا على عدم إيراد أي اسم يمكن أن يتعرض صاحبه لملاحقات أو ضغوط، خصوصاً أن المشاركين في عمليات «المجال الخارجي» والمتعاونين معه يعيشون في بلدان متباعدة وفي ظل أنظمة مختلفة.

■ ما هي عملية مطار اللد؟

ـ أقام «المجال الخارجي» علاقات وثيقة مع تنظيمات ومجموعات كانت تعتقد أن المعركة واحدة على مستوى العالم كله وإن كانت لكل بلد أوضاعه وخصوصياته. من تلك العلاقات كانت العلاقة مع الإخوة اليابانيين. في ١٩٧٢ كانت هناك مجموعة من «الجيش الأحمر الياباني» موجودة في بيروت وتخضع لعملية تدريب وكنا نتولى نقلهم من شقة إلى أخرى للمحافظة على سرية العمل.

كان لدى أفراد المجموعة اليابانية ولع بالنقاش خصوصاً حول المائدة. وقع في تلك الفترة حادث غير متوقع. كنا نتناول الغداء مع وديع في الجبل. ولدى وصولنا إلى محلة الروشة في بيروت شاهدنا ازدحاماً غير عادي. سألنا عن السبب فقالوا إن شاباً غرق أمام صخرة الروشة مباشرة. لم يقل أحد من هو الغريق. سألني الدكتور وديع: من هو الغريق؟ لم نعرف. تابعنا طريقنا ووصلنا إلى مقرنا. وبعد نصف ساعة تلقينا النبأ وهو أن أحد الإخوة اليابانيين، وهو كان مفروزاً للمشاركة في عملية اللد، غرق في محلة الروشة. كان للخبر وقع قوي، فالعملية محاطة بقدر كامل من الكتمان والسرية. من الطبيعي أن يثير غرق شاب ياباني أسئلة حول هويته وماذا يفعل. كان لا بد من احتواء المسألة وقرر وديع التعجيل في ترتيبات تنفيذ العملية. طبعاً شعر المشاركون في العملية بالألم لفقدان رفيق كان مقرراً أن يشاركهم، لكنهم تجاوزوا الحادث وعقدوا سلسلة لقاءات مع وديع وتم التزام البرنامج وتعيين بديل للشاب الذي غرق خلال قيام عدد من أفراد المجموعة بالاستحمام قبالة الروشة.

شرح وديع لأفراد المجموعة الخطة كاملة: الصعود إلى الطائرة والأسلحة التي ستكون بحوزتهم وبينها قنابل صنّعها «المجال الخارجي» ولم تكن أجهزة المطارات قادرة على اكتشافها. بعد انتهاء قصة الياباني الغريق واستكمال الاستعدادات أعطيت تعليمات التنفيذ والتي كانت تتضمن الانطلاق إلى محطة أخرى ومنها إلى مطار اللد. كان المنفذون ثلاثة في حوزة كل واحد منهم رشاش من طراز «كلاشنيكوف» مع الذخائر والقنابل. وصلوا إلى مطار اللد وحين جاء دورهم للتفتيش فتح كل واحد منهم حقيبته وبدأ إطلاق النار.

هزت عملية اللد الكيان الصهيوني. كانت الضربة التي وجهت إليه مؤلمة ومكلفة. دخل المنفذون المطار بأسلحتهم. يابانيون ينفذون هجوماً جريئاً و«الجبهة الشعبية» تعلن مسؤوليتها. في الجانب المالي وحده أنفقت مبالغ مالية هائلة لتحسين إجراءات الأمن في مطارات إسرائيل ومطارات الدول الغربية أيضاً. راحوا يضعون أجهزة الرقابة ثم يستبدلونها بأخرى أكثر تطوراً.

■ هل رأى وديع العملية ناجحة؟

ـ كانت ناجحة.

■ هل كان وديع يطلع حبش على هذا النوع من العمليات قبل حصولها؟

ـ نعم، لكن ليس جميع أعضاء القيادة، وكانت هذه المسألة من أسباب الخلاف.

■ هل حاولتم إطلاق سراح أوكوموتو الذي أصيب واعتقل في عملية اللد؟

ـ حاولنا ولم ننجح. تمت المطالبة بإطلاق سراحه في عملية عنتيبي وسواها. نحن لم ننس أي فرد شارك معنا، لكن أحياناً لا تستطيع تحقيق ما تريد. احتفظنا بعلاقة وثيقة مع «الجيش الأحمر الياباني» لفترة طويلة. في وقت لاحق أقام «الجيش الأحمر الياباني» علاقات مع تنظيمات أخرى أو جهات أخرى.

والجدير ذكره أن إجراءات أمنية خاصة كانت تلي تنفيذ عمليات نوعية كعملية مطار اللد، حيث كان يصار إلى وضع خطة أمنية

لإقامة وتحرك الكوادر الأساسية لـ «الجبهة الشعبية» حينها مثل الدكتور جورج حبش وغيره. وفي هذه العملية بالذات طلب الدكتور وديع من الشهيد غسان كنفاني (وكان حينها الناطق الرسمي باسم الجبهة وأحد أبرز مفكريها وقد وضع تحت أضواء الإعلام بصورة خاصة) أن يغير مكان إقامته وسيارته مع تأمين التسهيلات اللازمة لذلك. إلا أن كنفاني تردد خوفاً من المزايدات التي قد تصفه بـ «البورجوازي».

■ لنتوقف عند «الجيش الأحمر الياباني». هل بادر إلى عرض التعاون معكم أم أنكم اتصلتم به؟

ـ جاءت المبادرة من «الجيش الأحمر». أعتقد أنه جاء من طريق «التنظيم الطلابي» لـ «الجبهة الشعبية» عشية السبعينيات في عمان. من «التنظيم الطلابي» حولوه إلى الإعلام ثم انطلقت العملية.

■ من هي «مريم»؟

ـ إنها المسؤولة عن المجموعة وهي معتقلة حالياً في اليابان؟

■ «مريم» التقت وديع حداد؟

ـ نعم التقاها وديع وكان معها آخرون.

■ وأوكوموتو التقى وديع؟

ـ نعم وإلاّ فكيف يمكن تحضير العملية. أذكر الأسماء بالعربية. «مريم» هذا اسم نحن اطلقناه على المناضلة اليابانية. الشاب الذي استشهد كان اسمه «باسم». قتل اثنان واعتقل أوكوموتو.

■ والمجموعات الآسيوية الأخرى؟

ـ كان هناك من إيران «مجاهدو خلق» الذين يتزعمهم مسعود رجوي و«فدائيو خلق» إضافة إلى شخصيات إيرانية بينها عدد من الملالي. كان وديع قادراً على تجنيد رجال دين مسيحيين ومسلمين. وكان هناك الأكراد. تستغرب إذا قلت لك إن زعيماً بارزاً في كردستان العراق اليوم كلف مهمات عدة بينها مهمات استطلاع في أوروبا.

كان وديع قادراً على التوفيق بين السلطة والمعارضة. العلاقة الجيدة مع العراق لم تمنعه من التعاون مع الأكراد لمصلحة القضية الفلسطينية. تصور أن وديع كان يلتقي عناصر عراقية شيوعية في بغداد على رغم صعوبة العلاقة بين حزب البعث الحاكم والشيوعيين. وفي تركيا كانت لنا علاقات مع «الجبهة الشعبية لتحرير تركيا». كنا نساعدهم في تمويل عملياتهم أو ببعض الأسلحة والجوازات. في المقابل كانوا يقدمون لنا معلومات.

■ **كيف استطاع وديع إقناع «الجيش الأحمر» بتنفيذ عملية مطار اللد؟**

ـ «الجيش الأحمر الياباني» منظمة ماركسية وهو يرى الإمبريالية والصهيونية في طليعة أعداء الحركة الثورية العالمية. ضرب الأميركيين والإسرائيليين لا يتناقض مع برنامجهم بل يتفق معه.

■ **من وضع خطة عملية اللد؟**

ـ وديع والفريق الذي كان معه.

■ **أين تدربوا؟**

ـ في البقاع اللبناني وقرب صيدا. كنا في الواقع ندرب التنظيمات الحليفة لتأهيلها من أجل تنفيذ برنامجها. أحياناً كانت تظهر فكرة عملية يمكن أن يساهموا فيها فيرشحوا لنا عناصر للتنفيذ. كنا نأخذ هذه العناصر ونجري لها تدريباً خاصاً لتنفيذ العملية.

■ هل كانت الخطة تتوقع مقتل المنفذين؟

ـ طبعاً كان الاحتمال كبيراً. فحين ينزل مسلحون إلى قاعة المسافرين ويطلقون النار هناك احتمال كبير بأن يحصل اشتباك.

■ أين كان وديع ساعة التنفيذ؟

ـ في بيروت.

■ ماذا قال بعد العملية؟

ـ لا شيء.

■ كيف كانت أعصابه خلال تنفيذ العمليات؟

ـ لا شي يدفعه إلى الاضطراب أو الانفعال. كان يعتقد أن عليك أن تفعل كل ما في وسعك لضمان نجاح العملية، لكنه كان يعرف في الوقت نفسه أن مفاجآت يمكن أن تحصل وتؤثر في التنفيذ. في ذروة فشل عملية أو استشهاد عناصر كان يحتفظ برباطة جأشه. كان يعتقد أنها معركة طويلة وتستلزم الكثير من التضحيات. عملية «الجيش الأحمر» هي عملية «اللد ١». أما عملية «اللد ٢» فقد نفذها شاب اسمه نصر. حمل نصر حقيبة مفخخة جاهزة للانفجار لدى فتحها. وصل إلى مكتب الجمارك وفتح الموظف الحقيبة فقتل نصر وقتل آخرون. إنها عملية استشهادية. وعملية سينما «حين»

كانت استشهادية أيضاً.

■ **والعلاقات مع الإيطاليين؟**

ـ لم تصل علاقتنا معهم إلى حد مشاركتهم في العمليات.

■ **ودربتم مجموعة «العمل المباشر» الفرنسي؟**

ـ نعم دربناهم لكن لم تحدث مشاركة في التنفيذ.

■ **كانت علاقات وديع وثيقة مع بادر ماينهوف؟**

ـ نعم. الألمان اتصفوا بالجدية والدقة والالتزام. طبعاً معركة الألمان كانت أقرب إلينا.

■ **أعضاء بادر ماينهوف تدربوا في لبنان؟**

ـ لا في عدن.

■ **والإيطاليون؟**

ـ في لبنان وفي عدن.

■ **ألم يكن هناك تدريب في بغداد؟**

ـ في أوائل السبعينيات كان لدينا بستان. بعد مقتل ناظم كزار لم تعد هناك تدريبات.

■ **و«العمل المباشر» أين تدربوا؟**

ـ بعد ١٩٧٣ و١٩٧٤ صار التدريب يتم أساساً في عدن. ودربنا في الصومال لفترة بسيطة جداً.

■ **والساندينيون؟**

ـ في لبنان، وكان بينهم الشخص الذي تولى وزارة الخارجية بعد الثورة.

■ **والتوباماروس؟**

ـ لم يتدربوا، لكن المسؤول عنهم في باريس كان على اتصال للتعاون في أوروبا.

■ **أكان وديع حداد يلتقي كل هؤلاء؟**

ـ كان يستقبلهم بعد التأكد من جديتهم.

■ **إلى متى بقي وديع في بيروت؟**

ـ بعد ١٩٧١ كان وديع متنقلاً. غادر بيروت نهائياً في ١٩٧٥.

■ **مرحلة عدن متى كانت؟**

ـ بدأت من ١٩٧٠.

■ **ألم تكن لدول أوروبا الشرقية علاقات مع «المجال الخارجي»؟**

ـ لا.

■ **وأجهزة الأمن العربية؟**

ـ كانت لنا بعض العلاقات المبنية على الاحترام. لكننا لم نكن نقبل أي نوع من التبعية.

■ **ألم يطلب منكم نظام عربي اغتيال معارضين له؟**

ـ لم يحدث، ولو حدث لما قبلنا. ذات يوم سأل مسؤول في بلد عربي إن كان في إمكاننا أن نجمع معلومات عن أحد مواطنيه في دولة أخرى، فقلنا له هذا ليس من عملنا.

■ **مع من كانت علاقة «المجال الخارجي» في بغداد؟**

ـ كانت علاقتنا جيدة مع سعدون شاكر وكان نعم الصديق.

■ **من هم أبرز الأشخاص الذين تدربوا في معسكر بعلبك؟**

ـ تدرب عدد من اللبنانيين والفلسطينيين.

■ **وفي بغداد؟**

ـ شباب «المجال الخارجي». عدن كانت المركز الأهم. كنا نحرص على عدم إحراج الدول التي تفتح أبوابها لنا.

■ **هل تدرب آغوب آغوبيان زعيم «الجيش الأرمني السري» في عدن؟**

ـ لم يتدرب في عدن. تدرب في لبنان وهو كان عضواً في «المجال الخارجي» واسمه الحركي «مجاهد». آغوب من أرمن العراق وهو شاب دمث. فكر لاحقاً في إنشاء تنظيم وغادر «المجال الخارجي». بقيت بيننا وبينه علاقة وكنا نساعده في حدود الممكن وفي حدود حاجاته. «مجاهد» بقي مخلصاً لـ «المجال الخارجي» لكن ظروفه تغيرت وأنشأ علاقات مع دول عربية وغير عربية مثل اليونان.

■ هل كانت له علاقة شخصية مع وديع حداد؟

ـ نعم. كل من عمل في «المجال الخارجي» كان على علاقة بوديع.

■ و«الألوية الثورية اللبنانية»؟

ـ كانت علاقتهم بـ «المجال الخارجي» (...)

■ ماذا تقول عن زعيمهم جورج ابراهيم عبد الله؟

ـ شاب مهذب وناعم ومتحمس ومجموعته كانت جيدة ومعطاءة. كان لافتاً أن هذه المجموعة، وعلى رغم الحرب الأهلية في لبنان، تنتمي إلى الطائفة المسيحية. لم نسمع أن أحداً نجح في اختراق هذه المجموعة. حاولت المجموعة استهداف تجمعات الجيش الإسرائيلي في شرق بيروت إبان الاجتياح في ١٩٨٢، لكن المسألة كانت صعبة.

■ متى تأسس معسكر عدن؟

ـ ظهرت الفكرة في ١٩٧١ وبدأت الاتصالات مع المسؤولين هناك. الحقيقة أنه في كل بلد لنا فيه نشاط عسكري كنا نحتاج إلى معسكر. المقصود وجود مكان جاهز لاستقبال وتدريب العناصر التابعة لنا أو الأصدقاء. من المعسكرات التي تذكر في شكل كامل ومتكامل معسكر عدن الذي استمر طويلاً أي من بداية السبعينيات إلى وقت قصير قبل انتهاء اليمن الديموقراطي بقيام الوحدة بين شطري اليمن.

خلال فترة التدريب مرّ في المعسكر الكثير من الإخوة أو الرفاق وفق تسمية تلك الأيام. منهم على سبيل المثال لا الحصر رفاقنا في أوروبا.

■ مَن مِن الألمان مثلاً؟

ـ تنظيمات «الجيش الاحمر» الذين يُعرفون أيضاً ببادر ـ ماينهوف أو اختصار الـ«راف RAF» و«الثاني من حزيران» و«الخلايا الثورية». المعسكر كان للتدريب والتأهيل معاً. والمقصود ليس التأهيل العسكري وحده بل أيضاً التأهيل الإيديولوجي والنفسي والسياسي وفقاً للمعركة التي يخوضها كل شعب ومتطلبات تلك المعركة. العلاقة انطلقت من قناعة بالتحالف وفي هذه العلاقات يكون التعاون في اتجاهين: تأخذ وتعطي لأن التحالف يبنى على مصلحة الطرفين. اليوم وبعد مرور كل هذه السنوات أقول إن العلاقة كانت صادقة وحميمية وقائمة على أسس ثورية حقيقية وبعيدة من اللف والدوران. كان على هذه المجموعات أن تتفهم ظروفنا وأوضاعنا، وكان علينا في المقابل أن نتفهم خصوصيات هذه المجموعات ومتطلباتها. لا بد من الإشارة إلى أن هذه المجموعات كانت مختلفة ولم تكن تجمعها وحدة فكرية واضحة، لكن القاسم المشترك بينها كان التصميم على مواجهة التجمع المالي الهائل والضغط الكبير الذي يمارسه رأس المال على هذه المجتمعات. كانوا يرون أن المستقبل سيكون مظلماً ما لم يتحركوا لرفض الظلم والعمل ضده. ما كان يجمعهم هو الرغبة في قيام وضع لا يستغل فيه إنسان الإنسان الآخر، واعتقدوا أن تحركاتهم يمكن أن تؤدي إلى استنهاض الشعوب.

■ هل جاء أحد من فرنسا؟

ـ لم تأت مجموعات من فرنسا. في المقابل جاء كثيرون من الإسبان. جاءت مجموعات «ايتا». الأشخاص صادقون في التعامل والتوجه والاستعداد للعطاء، لكن ينقصهم التماسك الذي ميز

الألمان. كما جاءت تنظيمات يسارية محدودة من إيطاليا. لكن ليس «الألوية الحمر». لم نستقبل «الألوية الحمر» لأننا كنا على اعتقاد بأنهم مخترقون ولم نكن على استعداد لهدر الوقت في التأكد من صحة الاختراق أو حجمه. جاء الهولنديون وتدربوا. وفي ضوء الاحتكاك لمسنا حجم مشكلة الفراغ التي يعيشها الشاب الهولندي. لم تكن قضيتهم مجذّرة.

كذلك جاءت مجموعات صغيرة من نيكاراغوا. جاء الساندينيون وجاء باتريك أرغويللو الشاب الذي استشهد في عملية خطف الطائرة التي شاركت فيها ليلى خالد. جاء أفراد من تشيلي ومجموعات من سان سلفادور، لكن لم نلمس لديها بنية تنظيمية. جاء شباب من أصول عربية نزح أجدادهم إلى تلك البلاد. جاء أشخاص من «مجاهدي خلق» وانقطعت العلاقة معهم بعد انتصار الثورة. جاءت «الجبهة الشعبية لتحرير تركيا» وفئات يسارية أخرى. وكنا نستقبل جرحاهم أيضاً إذ كنا نرى هذه المجموعات جزءاً من الثورة العالمية. ولم يتردد الأتراك في العطاء.

وجاء اليابانيون أيضاً ولهم خصوصيتهم السيكولوجية. صادقون حتى الموت. متى اتخذوا قراراً لا يعودون عنه. أصحاب صدقية عالية. والدليل كان هجوم «الجيش الأحمر الياباني» في مطار اللد. يحبون النقاش والأخذ والرد لكن حين يتخذ القرار يتبعه التنفيذ.

■ **مريم وأوكوموتو هل ذهبا إلى عدن؟**

ـ نعم وقد تدرب اليابانيون في أماكن أخرى.

■ **«الجيش الأحمر» تدرب في معسكر عدن وكذلك في**

معسكر بعلبك في لبنان؟

ـ نعم.

▩ والتدريبات على عملية اللد تحديداً؟

ـ في لبنان.

▩ لنعد إلى المجموعات...

ـ جاء أفراد من فنزويلا وبينهم كارلوس الذي سميناه «سالم» وسيبقى سالماً إن شاء الله.

▩ من كان يدربهم في عدن؟

ـ مجموعة من الشبان من أصحاب الخبرة.

▩ ألم يكن هناك مدربون من جنسيات غير فلسطينية؟

ـ كان هناك بعض العرب. كان هناك مدرب عراقي وآخر لبناني.

▩ ومن جنسيات غير عربية؟

ـ لا.

▩ كيف كانت الأجواء في المعسكر؟

ـ لا أبالغ إذا قلت لك إن المعسكر كان بيتنا. كل من ذهب إلى هناك كان يعرف لماذا ذهب وكان قد اتخذ قراراً لا عودة عنه. كان المعسكر عالمنا: البيت والمقهى والفسحة والتدريب والتأهيل والعلاقات الرفاقية والإنسانية الجيدة.

■ هل كانت هناك عائلات؟

ـ لا، يذهب المرء بمفرده. كان المعسكر مفتوحاً للجنسين.

■ كم كانت مدة الدورة؟

ـ بحسب حاجات كل مجموعة. كان التدريب على بعض العمليات يستغرق وقتاً طويلاً. البرنامج يتضمن البناء الجسدي أي الرياضة واللياقة وتهذيب النفس. ثم التأهيل العسكري ابتداء من الطوبوغرافيا ووصولاً إلى كل الأسلحة الخفيفة التي يمكن أن يستخدمها رجال حرب العصابات.

■ تدريب على عمليات التفجير؟

ـ التفجيرات من أهم وسائل حرب العصابات.

■ إلى كم كان يصل العدد في عدن؟

ـ بحسب كل فترة وبحسب المجموعة. بلغ أحياناً العشرات. كانت قدرة المعسكر على الاستيعاب تقل عن ٤٠ شخصاً. المعسكر لم يكن كبيراً. كان عبارة عن بيت كبير له ملحقات في منطقة في المحافظة الثالثة وتحديداً في منطقة جعار البعيدة نسبياً من عدن.

■ هل حاولت جهة ما مهاجمة المعسكر؟

ـ لا.

■ ألم يفكر الإسرائيليون في قصفه؟

ـ لم تحدث أي محاولة.

■ **هل جاء أحد وتدرب وأعطى المعلومات للإسرائيليين والأميركيين؟**

ـ لا علم لي بمسألة من هذا النوع. ولو حصل ربما تعرضنا لهجوم لأن منطقة باب المندب مفتوحة. الحقيقة أن الحماية كانت تأتي من أن الوجود السوفياتي العسكري والأمني لم يكن يسمح لأي طائرات معادية باختراق أجواء اليمن الديموقراطية.

■ **هل شارك خبراء سوفيات أو أوروبيون شرقيون في التدريبات؟**

ـ لم يكن لنا مثل هذه العلاقات. كنا نرى أنفسنا في خندق واحد، لكن لم يكن هناك تعاون ميداني.

■ **هل كان النظام صارماً في المعسكر؟**

ـ أكثر من صارم. البرنامج يحترم. يحدث أن يحتجّ شخص لكن الأجواء سرعان ما كانت تساعد على إقناعه. الانضباط كان كاملاً.

■ **وهل جاءت إلى المعسكر مجموعات عربية؟**

ـ نعم جاءت «الجبهة الشعبية لتحرير ظفار» و«الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا» ومجموعة من «الحزب السوري القومي الاجتماعي» وبعض الأفراد من لبنان.

■ **بأي لغة كان يجري تدريب الأوروبيين؟**

ـ بالإنكليزية.

■ من كان المسؤول عن المعسكر؟

ـ مجموعة من الرفاق والشخص الذي يتولى مع آخرين مسؤولية العمل العسكري. بينهم من لا يزال حياً وبينهم من عرف طريقه إلى ربه. استقدمنا إلى المعسكر شباناً في الرابعة عشرة من عمرهم تقريباً وتدربوا وتحولوا مدربين. غالبيتهم كانت فلسطينية وبينهم عدد من اللبنانيين. أرسلتهم فروع التنظيم في الخارج وبينهم عدد من الفلسطينيين المقيمين في الكويت. بهذا المعنى كان الجانب التربوي مهماً.

■ هل كان وديع حداد يزور المعسكر؟

ـ نعم. فور وصوله إلى عدن كان يتوجه إلى المعسكر.

■ وهل كان ينام هناك؟

ـ لم نسمح له بالنوم هناك. الأسباب كثيرة وبينها أن وجوده في عدن يساعد أكثر على معالجة الأمور التي تحتاج إلى معالجة. كان أول ما يهتم بالاطمئنان إليه العلاقات بين الناس داخل المعسكر وتفاعلهم مع البرنامج وعلاقتهم مع الجيران. كان يحاور المتدربين في كل دورة ويقوّم معهم التجربة ثم يحاور المدربين ويستمع إلى آرائهم وتقويمهم.

استقبل المعسكر في إحدى المراحل عدداً من الشبان الليبيين، لكن تجربتهم لم تكن ناجحة.

كان الدكتور وديع يهتم بمعرفة من برع خلال التدريب. المعسكر كان أشبه بالغربال. ففي ضوء التجربة يتضح أن فلاناً يصلح للعمل العسكري وآخر للعمل التثقيفي أو الإداري.

■ من هم أبرز الذين تميزوا في معسكر عدن؟

ـ بعض الألمان كانت نتيجتهم ممتازة. وهناك سالم (كارلوس) الذي عاش المعسكر جيداً. كان كارلوس يحب التدرب على الرماية. وعلاقاته مع المتدربين الآخرين كانت وثيقة، والأمر نفسه مع المدربين. وكان يساهم في الترجمة لمعرفته بلغات عدة. اليابانيون أظهروا قدرة على الاحتمال. تعاملوا بجدية تامة مع الآمر. خلال التدريبات على خطف شخص واحتجازه قام أحد المتدربين اليابانيين بخطف زميله ورماه من أعلى الطابق، فأصيب الشاب بجروح.

■ هل قتل أحد خلال التدريب؟

ـ لا لكن سقط عدد كبير من الجرحى خصوصاً خلال دورات التخرج في المتفجرات. هذه المادة تقتل في غياب الثقة كما تقتل في حال الثقة الزائدة. عليك أن تتعامل مع المادة باحترام لتكون في أمان. إن تغافلت عنها قتلتك وإن بالغت فيها قتلتك. كل تخرج كان يشهد وقوع إصابات. الخائف كان يصاب. كان هناك اختبار اسمه تفجير الثقة أي على مسافة تراوح بين ٥٠ سنتيمتراً ومتر. أي عبوة صغيرة لكي يتبرمج في عقل المتدرب أن المادة غير قاتلة إذا اتخذ الوضع المناسب. في الوضع المختل تحدث الإصابة. بعض الثقوب في الجسم تعالج خلال أيام. هذه التجربة تكسر الخوف.

■ متى جاء كارلوس للمرة الأولى إلى معسكر عدن؟

ـ أعتقد بأن ذلك كان في حدود ١٩٧٤. لم يأت من فراغ. كان قد تابع عمليات تدريب، في الأردن أولاً ثم قليلاً في بيروت، لكن تأهيله الأبرز كان في عدن.

■ **أي دورات تابع؟**

ـ تابع كل الدورات وكل عمليات التأهيل من الرياضة إلى المتفجرات. درس كل المواد. هذا البرنامج كان شاملاً. خلال التدريبات يشعر المدربون أن هذا المتدرب يصلح أن يكون رامياً ماهراً، وأن ذاك المتدرب متميز في الألغام والثالث في مادة أخرى.

■ **بماذا تميز كارلوس؟**

ـ كان شغوفاً بالرماية بالمسدسات. كان يعتقد أنه لن يحتاج في عمله إلى البندقية أو الرشاش. كان يرى المسدس عملياً وقابلاً للإخفاء والاستخدام السريع في أي لحظة. بعد التدريبات التي تشمل الجميع وبكل المواد يتم اختيار البارزين لإخضاعهم لدورات التخصص التي كانت تتم أيضاً في المعارك. من يتخصص في المتفجرات مثلاً يعاد تأهيله من جديد. والأمر نفسه بالنسبة إلى احتجاز الرهائن أو الرماية بالمسدسات. دورة التخصص تختلف.

■ **أي دورة تخصص تابع كارلوس؟**

ـ تستطيع القول إنه متخصص في أكثر من مجال بفعل إقامته الطويلة في المعسكر. اختلط بالمجموعات وانتقلت إليه تجارب مختلفة. استفاد من قيامه بدور المترجم. يعرف الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والروسية والعربية إلى حد ما. كان التعاون معه سهلاً وكان يخرج بجديد من كل دورة تخصص، وألمّ بمجموعة قضايا. أما شغفه فكان الرماية بالمسدس.

الفصل الرابع

خطف وزراء أوبك في فيينا

لم تكن محاكمة بالمعنى المعروف. كانت أقرب إلى التقويم مع قدر من المحاسبة. ولم يكن الدكتور وديع حداد في وارد اتخاذ إجراء عقابي صارم بحق كارلوس لكنه لم يكن راضياً بالتأكيد عن الطريقة التي أدار بها «سالم» عملية احتجاز وزراء نفط «أوبك» في ٢١ــ١٢ــ١٩٧٥ في فيينا. ولعل مشاركة أطراف من خارج «المجال الخارجي» في التنفيذ سهّلت إثارة الشكوك وطرح بعض علامات الاستفهام.

بعد نحو أسبوعين من العملية غادر كارلوس الجزائر إلى مقديشو وتوجه منها إلى عدن حيث عُقد اجتماع ثلاثي سيكرّس الطلاق بين القائد الفلسطيني والشاب الفنزويلي الذي كبر في ظله. ودامت الاجتماعات اكثر من ١٢ ساعة. في الجلسة الأولى طلب من كارلوس أن يروي ما فعل منذ انطلقت عملية التنفيذ.

وهكذا حكى عن الأيام الأخيرة والاستطلاع والاقتحام وما رافقه. وفي الجلسة الثانية تركز الحديث على الطريقة التي انتهت بها العملية وتطرّقت إلى دور الجزائريين، خصوصاً وزير الخارجية آنذاك عبدالعزيز بوتفليقة في الإفراج عن الرهائن.

سُئل كارلوس، خلال الجلسات التي عُقدت في مقر حداد في خورمكسر في عدن، لماذا لم ينفّذ التعليمات القاضية بإعدام الوزيرين السعودي والإيراني؟ فأجاب بأنه رأى أن العملية نجحت وصدر بيان عن دور النفط العربي في المعركة وبالتالي فإنه لم يشعر بضرورة إعدام الوزيرين وتلويث العملية بالدم. كما سُئل كارلوس لماذا كشف هويته خلال العملية علماً أن التعليمات كانت تقضي عكس ذلك، فردّ بأنه لم يكن أمامه أي مجال للإنكار لأن الحاضرين عرفوه من صورته ولكنته. وسُئل عما يتردد عن فدية فقال إنه لم يكن هناك أي بحث في فدية ولا علم له بما تردد بعد العملية.

لم تقنع ردود كارلوس الرجل الذي تعهده وأطلقه فقال له غاضباً: «نحن في معركة ونخوض قتالاً ولسنا فريق كشّافة».

وفوجئ حداد بـ «سالم» يقول: «تعاملونني كأنني عضو لديكم وأنا تنظيم حليف لكم». استغرب حداد الكلام، فحتى تلك الساعة كان كارلوس عضواً في «المجال الخارجي». وفي اختتام الاجتماعات الثلاثية طلب حداد من كارلوس أن يذهب إلى المعسكر ليرتاح ففعل.

للمرة الأولى تتكشف قصة لقاء الطلاق بين حداد وكارلوس. لكن بعض الغموض سيظل قائماً بالنسبة إلى مجريات عملية فيينا التي سألنا عنها كلاً من كارلوس ومساعده فيها أنيس النقاش. وربما

يرجع الغموض إلى أن العملية كانت مشتركة وإلى أن كمال خير بك الذي كانت له مساهمة في ترتيبها غاب اغتيالاً في الثمانينيات وأخذ أسراره معه.

يؤكد مسؤولو «المجال الخارجي» أن حداد لم يبلغ ليبيا بالعملية قبل حدوثها وأن «المجال» لم يطلب فدية ولم يحصل على شيء منها إن دُفعت.

■ ما هي عملية مهاجمة ناقلة النفط الـ «كورال سي»؟

ـ إنها ناقلة نفط إسرائيلية مسجّلة في ليبيريا وكانت تنقل نفطاً إيرانياً. هاجمناها قرب باب المندب في البحر الأحمر. استلزم إعداد العملية شهوراً. أخذنا مجموعة من عشرة عناصر وأقمنا في جزيرة بريم. كان يفترض أن نراقب البواخر التي تمرّ ولدينا جدول بمواعيد البواخر الإيرانية المتجهة إلى إسرائيل. وكانت المرة الأولى التي نستخدم فيها المناظير ما تحت الحمراء.

مضت ثلاثة أشهر أي من نيسان/أبريل إلى تموز/يوليو. في هذا الوقت تهبّ الرياح الموسمية ويحدث هياج في البحر. المركب الذي كان في حوزتنا كان قديماً. كانت الإقامة في تلك الجزيرة أكثر من منهكة. أرجأنا العملية إلى بداية ١٩٧١.

كان رئيس الوزراء في اليمن الديموقراطي محمد علي هيثم، فطلبنا منه الحصول على مركب سريع. أجابنا أن ليس لديهم مثل هذا المركب. بعد فترة قال لنا إن ثمة مركباً موجوداً في الميناء فاسرقوه.

وهكذا حصلنا على مركبين. أطلقنا على الناقلة ١١ قذيفة «آر. بي. جي»، اشتعلت فيها النار وجنحت لكنها لم تغرق وقطروها لاحقاً

إلى ميناء إيلات. في هذا المجال لم تظهر معلومات السوفيات دقيقة إذ رأوا أن قذائف الـ «بي ٧» كافية لمثل هذه العملية. تقع جزيرة بريم قبالة الساحل الشمالي وقد اعتقلت سلطات اليمن الشمالي المنفّذين.

الواقع أن حداد رأى أن كل موارد المنطقة العربية يجب أن توضع ما أمكن في خدمة المعركة الأساسية. وعليه كان للنفط العربي دور مركزي في المواجهة. هذا التصور أدى إلى قيام «الجبهة الشعبية ـ المجال الخارجي» بمجموعة من العمليات ابتداء بتفجير خط أنابيب التابلاين الناقلة للنفط السعودي إلى الزهراني والتي تمر في الجولان المحتل، مروراً بضرب ناقلة النفط «الكورال سي» في عرض البحر في باب المندب والتي كانت تنقل نفطاً إيرانياً إلى إسرائيل. وكذلك عملية سنغافورة في شهر شباط/فبراير ١٩٧٤ حيث استهدفت خزانات النفط التي تحوي بعض الاحتياط الاستراتيجي النفطي للبحرية الأميركية في المنطقة والذي كانت تستخدمه الطائرات الأميركية المشاركة في قصف فيتنام. كل ذلك يدلّ على وعي وديع حداد لأهمية النفط العربي في خدمة شعوب المنطقة. ومن هنا أتت عملية «أوبك» لتؤكد هذا الموقف.

■ من اتخذ القرار باحتجاز وزراء منظمة «أوبك» ١٩٧٥ ولماذا هذه المنظمة بالذات؟

ـ كان هناك تحليل سياسي يقول إن «أوبك» منظمة راضخة للإرادة الأميركية في تحديد أسعار النفط بدلاً من الاهتمام بمصلحة الدول المنتجة، وإن النفط العربي لا يجوز أن يبقى خارج المعركة. كان الهدف سياسياً قبل أي شيء آخر. وكان الاقتراح إشراك أكثر من جهة في تنفيذ العملية التي أعلن عنها باسم «اليد العربية الضاربة»

بمعنى أن تضم فلسطينيين وغير فلسطينيين.

■ **هل كان هناك قرار بتصفية الوزيرين السعودي والإيراني أحمد زكي يماني وجمشيد أموزيغار؟**

ـ نعم كان هناك قرار بهذا المعنى.

■ **هل اتخذ هذا القرار وديع حداد؟**

ـ اتخذته الجهة التي كانت وراء العملية ولا يمكن وضعها عند وديع بنسبة مئة في المئة. نحن لم نعرف أنيس نقاش ولم نره. كان على علاقة بكمال خير بك. حتى في مشاركته في العملية لم نر من النقاش إلا صورته. جاؤوا بصورته وأعددنا له جوازاً. كان كمال خير بك قومياً سورياً ولديه مجموعة وأعتقد أن الحزب كان يعاني انقسامات. كان كمال على علاقة بتنظيمات فلسطينية وربما بدول عربية. كان على علاقة بنا وبـ «أبو حسن سلامة» أيضاً. تم الاتفاق مع كمال خير بك. كانت الأزمة بين «المجال الخارجي» و«الجبهة الشعبية» متصاعدة ولم نرد تحميلها تبعات العملية.

في هذه الفترة بدأت تتبلور أهمية فكرة «الحركة الثورية العربية» أو العمل الثوري العربي الموحد، الموضوع لم يكن جديداً. الدكتور وديع ومن معه هم في الأساس قوميون عرب وقناعتهم الأكيدة أن قضية فلسطين هي قضية الأمة العربية جمعاء وهي جوهر الصراع العربي الصهيوني، وإذا كانت هناك أسباب موضوعية لحركة مقاومة فلسطينية مسلحة فهي ليست إلا جزءاً من حركة ثورية عربية. هذه نقطة والنقطة الثانية، كان لدى الدكتور وديع ومن معه قناعة بأن حركة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن بتركيبتها التنظيمية والفكرية والسياسية وبرامجها وأساليب عملها وعلاقاتها وضمن

الظروف المحيطة بها لا يمكن أن تحقق أهدافها، وعليه فلا بد من مراجعة مسؤولة وموضوعية للتجربة وتصحيح ما فيها من اختلالات وأولها أن حركة التحرر الوطني الفلسطيني بمقدار ما هي طليعة حركة التحرر العربي في ساحة الصراع العربي ـ الصهيوني هي جزء من هذه الحركة.

كان في فكر وديع ضرورة بلورة صيغة عمل عربي ثوري مستندة إلى برنامج سياسي وفكري ويكون هو أو من معه الجناح العسكري لهذه الصيغة. لقد أعطى هذا الموضوع جهداً في آخر أيامه. وعملية «أوبك» كانت بداية الترجمة العملية لمشروع كهذا.

كمال خير بك اقترح أنيس نقاش. كذلك شارك بعض الرفاق الألمان.

■ وشارك كارلوس أيضاً؟

ـ نعم بصفته عضواً في «الجبهة الشعبية» لا كتنظيم مستقل. وهي آخر عملية شارك فيها كارلوس بصفته عنصراً في الجبهة.

■ لم يتم إعدام الوزيرين وقيل إن فدية دفعت. هل دفعت فعلاً؟

ـ قيل ذلك في الصحف لكن نحن لم نعرف ما إذا كانت دفعت. إن كانت قد دفعت فربما لجهة لا نعرفها. وديع لم يعلم بشيء. ولا دليل لدينا على أنها دفعت.

■ هل نستطيع القول إن وديع لم يتسلم أي فدية؟

ـ لم يصله فلس واحد. الحقيقة أن الغرض لم يكن الحصول على فدية.

■ هل طلب كارلوس فدية؟

ـ حين التقى وديع كارلوس وعقدت بينهما جلسات لتقويم ما حدث لم يقل كارلوس إنه طلب فدية.

■ أين التقى وديع وكارلوس بعد العملية؟

ـ في عدن.

■ هناك كلام كثير حول هذه اللقاءات، قيل أيضاً إن وديع غضب من كارلوس وقال له أنت انتهيت؟

ـ عقد اللقاء بعد أسابيع من تنفيذ عملية فيينا.

■ كيف استقبل وديع نهاية عملية فيينا؟ هل كان غاضباً؟

ـ نعم لأن ما جرى كان على عكس ما خطط له. وأدت إلى سقوط ضحايا من أطراف صديقة مثل مقتل مرافقي الوزير العراقي.

■ هناك كلام قاله كارلوس من أن فكرة عملية «أوبك» جاءت من رئيس دولة عربية مغاربي؟ وثمة من قال إن الدولة العراقية كانت على علم بالعملية؟

ـ بالنسبة إلى العراق يمكنني الرد وبصورة قاطعة بأن العراق لم يكن على علم بالعملية لا من قريب ولا من بعيد ولم تكن له يد فيها.

■ قال كارلوس إن الفكرة جاءت من القذافي؟

ـ نحن في «العمل الخارجي» لم نتشاور مع ليبيا قبل حدوث العملية.

■ لنعد إلى لقاء وديع مع كارلوس في عدن، ماذا حدث؟

ـ في هذا النوع من العمليات يفترض عدم حدوث اجتهادات بعد تلقّي التعليمات النهائية. قبل ذلك يمكن مناقشة كل شيء، أما بعد صدور التعليمات النهائية فيجب التقيد بها تماماً.

■ **على ماذا كانت تنص التعليمات التي أعطيت لكارلوس؟**

ـ إصدار بيان يؤكد أهمية النفط كسلاح في يد العرب وإعدام الوزيرين. عندما حصل اللقاء في عدن سأل وديع كارلوس لماذا لم تنفذ التعليمات بحذافيرها. قال كارلوس إن البيان أذيع، أما قتل الوزيرين فقد كان من شأنه أن يلوّث العملية بالدم. أقول هذا وأسجل أن هذا الكلام لا يقلل من شجاعة كارلوس أو صدقيته لكن كلامه يتضمن اجتهاداً يناقض التعليمات. رد وديع بالقول: «نحن في معركة ونخوض قتالاً ولسنا فريق كشافة».

لم تكن هناك نية لاتخاذ إجراء تعسفي بحق كارلوس. نحن نقدر دور كارلوس ونأخذ في الحسبان أنه شاب غير فلسطيني وغير عربي اندفع في خدمة قضيتنا. في الوقت نفسه لم يكن من الممكن القبول باجتهادات. في اختتام ثلاثة لقاءات طلب من كارلوس أن يتوجه إلى معسكر خارج عدن. رأى كارلوس الإجراء عقابياً وأنه قد يخفي وراءه إجراءات أشد. قال: «لا تستطيعون محاسبتي بهذه الطريقة». سئل عن السبب فأجاب: «أنا لست عضواً عندكم أنا تنظيم أممي وحليف لكم. أنا اجتهدت وربما لم نتفق حول هذه المسألة».

■ **هل ذكر كارلوس أنه تلقى تهديداً من السلطات الجزائرية باعتقاله في حال إعدام الوزيرين؟**

ـ لا. قال إن الصورة الإعلامية التي اتخذتها العملية كانت كافية وإن إعدام الوزيرين كان سيسيء إلى هذه الصورة.

▩ **أين تم التخطيط لعملية «أوبك»؟**

ـ في أكثر من مكان. في الصومال ولبنان. عند التخطيط كان وديع في الصومال، أرسل كارلوس وفتاة ألمانية إلى بيروت. نقل كارلوس رسالة إلى مسؤول في «العمل الخارجي». سأله المسؤول ما الهدف من العملية فقال إصدار بيان عن النفط. قال له المسؤول هل يعقل القيام بعملية بهذا الحجم لإصدار بيان ننشر مثله دورياً في مجلة **الهدف** الناطقة باسم الجبهة؟ يمكن تبرير العملية مثلاً، لو قلتم إنكم تستهدفون تصفية وزير معادٍ. فأجاب كارلوس: «أنا أريد ذلك لكن أبو هاني (وديع) لا يريد». أرسل المسؤول مبعوثاً إلى مقديشو للقاء وديع واستيضاحه، وعندما عاد أكد أن وديع مؤيد لإعدام الوزيرين. صارح المسؤول كارلوس بالجواب وتم الاتفاق.

▩ **ما هي الجوانب الأخرى التي تطرق إليها وديع وكارلوس في عدن؟**

ـ سجل وديع ملاحظاته على الأسلوب الاستعراضي لكارلوس خلال العملية.

▩ **هل كانت التعليمات تقضي بأن لا يكشف هويته؟**

ـ نعم كانت التعليمات تقضي بأن لا يكشف شخصيته. ربما هي نقطة الضعف البشري لدى كارلوس. عاتبه وديع أيضاً على حواره مع بعض المخطوفين. في عمليات الخطف هناك خوف من أن تقوم

علاقة بين الخاطف والمخطوف. لضمان التنفيذ يجب ألا تقوم مثل هذه العلاقة.

■ هل تم التطرق إلى دور أنيس النقاش خلال اللقاء؟

ـ على الإطلاق. كارلوس كان المسؤول.

■ هل بُحث موضوع الفدية؟

ـ سئل كارلوس عما رددته بعض الصحف فنفى أي علم له به.

■ ماذا فعل كارلوس بعد ذلك؟

ـ رتبنا له الإقامة في بغداد. شعرنا بالتزام أخلاقي تجاهه.

■ هل كان اللقاء جافاً بين وديع وكارلوس؟

ـ لا، لكن وديع رأى أن تكليف كارلوس مهمة جديدة في فترة قريبة أمر غير وارد.

وفّرنا لكارلوس إقامة في بغداد، أي في مكان آمن. طبعاً كارلوس يحب الحياة. الحياة الاجتماعية. هذا الأمر ليس عيباً لكنه قد يشكل ثغرة أمنية بالنسبة إلى شخص صار معروفاً. أقام هناك علاقات. وكان هناك عدد من ممثلي حركات التحرر. ذات يوم كان يسبح في بحيرة الثرثار مع فتاة كردية وغرقت. تضايق العراقيون. كانت تربطه علاقات ببعض الشباب الفلسطيني. وكان برفقته ثلاثة من الشبان الألمان كما أعتقد. عاش حياته إلى أن توفي وديع. بقيت العلاقات معه على حالها. لا نريد منه شيئاً لكن نحرص على سلامته. فتح علاقات مع دول. ومن خلال عدن أقام علاقات مع

المجر. أقام في المجر وتردد على تشيكوسلوفاكيا. في الثمانينيات عرض التعاون لكن ذلك لم يحصل.

▪ يقول كارلوس إنه قدم استقالته لوديع في مقديشو؟

- جاء كارلوس إلى عدن من طريق مقديشو. لكن موضوع الاستقالة لم يطرح.

▪ هل كانت لدى وديع مرارة من كارلوس؟

- لا. الحقيقة أن وديع كان يملك قدرة استثنائية على التعامل مع الآخرين. كان لديه إحساس بالوفاء حيال كل من قدم شيئاً للقضية الفلسطينية. هذه القدرة مكنته من الإفادة من كثيرين لا علاقة لهم بالتنظيم. لم يكن وديع حقوداً. حتى الذين حملوا عليه وتحاملوا لم يرغب في إيذائهم.

▪ متى بدأ موضوع كارلوس؟

- في ١٩٧٠. كان كارلوس يدرس في موسكو. بواسطة شبان فلسطينيين يدرسون في موسكو تعرف إلى «الجبهة الشعبية» وجاء إلى عمان. أمضى فترة في إحدى القواعد في الأردن. أرسل من الأردن إلى لبنان. كانت لدينا أزمة عناصر مؤهلة. أرسله الشباب من الأردن وقالوا إنه شاب جيد ويجيد لغات عدة.

▪ متى تعرّف كارلوس إلى وديع؟

- في ١٩٧٠. وعندما احتاج له «العمل الخارجي» لمهمة معينة جاء من عمان. وأرسل في مهمة إلى لندن.

■ ماذا كانت مهمته؟

ـ استهداف محالّ «ماركس آند سبنسر» واغتيال اللورد سيف الذي أصابه كارلوس في فكه لكنه لم يمت. عملية «ماركس آند سبنسر» نفذت بطريقة جديدة. استخدمت للمرة الأولى مادة متفجرة سائلة تضعها في معطف معلق وتشتعل لاحقاً. تم توقيت العملية بحيث يشتعل السائل ليلاً، وهذا ما حصل. كارلوس لم يضع السائل لكنه كان يعلم بالعملية. مهمته الأساسية كانت اغتيال اللورد سيف. أقام علاقة مع البيت ودخله وأطلق النار على اللورد سيف في الحمام. وشارك لاحقاً في عمليات استطلاع.

■ هذا يعني أنه كان عضواً؟

ـ نعم، كان عضواً في «المجال الخارجي» بعدما انتهت علاقته التنظيمية التي كانت قائمة مع أجهزة أخرى في الجبهة في الأردن.

■ وقصة مهدي التاجر؟

ـ لم يكن «المجال الخارجي» من فكّر فيها. الفكرة جاءت من فريق داخل الجبهة. أعتقد أن التنظيم الطلابي في الجبهة كان وراءها. ساعدهم «المجال الخارجي» في تأمين الجوازات. كارلوس تعاون معهم بحكم وجوده في لندن.

■ وعلاقة فؤاد عوض؟

ـ كشف فؤاد عوض في قضية اللورد سيف. عندما أُصيب اللورد سيف، كان عوض على علاقة بفتاة اعترفت. دهمت الشرطة الشقة فعثرت على جوازات أعتقد أنه كان بينها جواز بوليفي أو من بيرو يستخدمه عوض (ألان بوفييه). الحقيقة أن علاقتنا بفؤاد عوض

كانت سطحية. علاقته الفعلية كانت بكمال خير بك.

■ بماذا كُلف كارلوس أيضاً؟

ـ بعد عملية اللورد سيف انكشف كارلوس. كان لدى «المجال الخارجي» برنامج عمليات في أوروبا. كانت لدينا محطات. مثلاً يمكن أن يكون كارلوس جزءاً من محطة أوروبا التي تقوم أيضاً على علاقات مع شبان جزائريين وفصائل سياسية أوروبية. كان المطلوب من كارلوس في أوروبا جمع معلومات عن أهداف على أن يتم اختيار ما يمكن مهاجمته منها. وساهم في تنظيم عناصر من فصائل أوروبية يسارية.

■ هل كان ميشال مكربل عضواً في «المجال الخارجي»؟

ـ ربطنا مكربل بكارلوس. يأتي إلى لبنان حاملاً معلومات من كارلوس ويذهب إليه حاملاً تعليمات.

■ هل خان مكربل كارلوس؟

ـ مكربل ليس جاسوساً. أنا لا أحب التجنّي. كان مكربل مغادراً عبر مطار بيروت ومعه تعليمات وجوازات. اعتقل في المطار وسجن مدة ثلاثة أيام ثم سفّروه إلى باريس. أبلغوا أجهزة الأمن الفرنسية فتسلمته. كان يفترض أن يمضي مكربل أياماً من دون أي اتصال ثم يعود إلى بيروت. ارتكب خطأ. اتصل بكارلوس وكانت الأجهزة تراقبه. ضغط رجال الأمن على مكربل فأرشدهم إلى شقة ورافقهم إليها. ربما لأنه كان يستبعد وجود كارلوس فيها. كان كارلوس هناك وقتل مكربل واثنان من رجال الأمن.

■ هل كان وديع يلتقي كارلوس باستمرار؟

ـ يلتقيان حين يكونان في بلد واحد أو إذا كانت هناك تحضيرات لعمل ما.

■ هل كانت علاقتهما وطيدة؟

ـ نعم، كارلوس شخص يمكن أن تحبه وهو مناضل على رغم كل الملاحظات.

■ لماذا يصر كارلوس على أن وديع مات مسموماً؟

ـ لا أعرف. ربما يحاول أن يلقي على دولة عربية مثل هذه المسؤولية.

■ هل كانت جوازات السفر التي كان يستخدمها كارلوس من مصنع «المجال الخارجي»؟

ـ طبعاً. إضافة إلى ذلك كانت هناك تسهيلات من دول وجوازات ديبلوماسية من العراق واليمن الجنوبي والجزائر.

■ كيف كان سلوك كارلوس مع المدربين في المعسكر؟

ـ جاء كارلوس من وسط عائلي فيه قدر من الأرستقراطية على رغم القناعات السياسية لوالده. لم يكن آتياً من مخيم. كان المتدربون يلاحظون كيف يخرج من الحمام والروائح العطرة تفوح منه. يستخدم البودرة والعطور. قبل دقائق كان يخضع لتدريب قاس ويزحف على الأرض ثم يصير إنساناً أنيقاً.

■ هل كان عصبي المزاج؟

ـ جداً.

■ هل كان يصطدم بالآخرين؟

ـ لا حدود لعصبيته حين يستفز. لكنه سرعان ما يستعيد هدوءه.

■ هل كان مغروراً؟

ـ تستطيع القول إن لديه اعتزازاً بالنفس.

■ هل كان شهيراً حين ذهب إلى المعسكر؟

ـ في تلك الفترة لم يكن معروفاً على مستوى العالم على غرار ما عرف لاحقاً. النجومية الفعلية بدأت بعد فيينا. ثم لاحقاً تركزت الأنظار على اسمه بعد ضربات فرنسا.

في البداية أرسل كارلوس إلى فرنسا للقيام بعمليات تنسيق. كان لدينا مجموعة من الرفاق الأتراك بدأوا يعششون هناك. أرسل كارلوس للمتابعة والتنسيق.

■ هل كان كارلوس يشرب في المعسكر؟

ـ لا. ما يطبق على غيره يطبق عليه. ليس هناك أي تمييز في المعاملة. الكل يشرب من جرة واحدة ويأكل من طنجرة واحدة وينام على سرير من النوع نفسه.

■ ماذا كان يقول في أحاديثه الخاصة؟

ـ كانت لديه منذ تلك الأيام مقدرة على معرفة إلى من يتحدث ومدى العلاقة الفعلية التي تربطه بالشخص. ليس من النوع الذي يكشف خصوصياته أمام كل الناس. إذا أحب كارلوس

شخصاً ينفتح عليه ويعطيه كل شيء. كان يثق بمن يراهم أهلاً للثقة.

■ هل كان شجاعاً؟

ـ الأمر يتجاوز الشجاعة. إنه قرار يتخذه الشخص بأن يقدّم الحد الأقصى خدمة لقناعاته. من تنقصه الشجاعة لا يتخذ قراراً بسلوك هذا الطريق الذي يؤدي إما إلى السجن وإما إلى الموت. لا أتحدث هنا عن كارلوس وحده بل عن كل الذين قرروا التضحية بأنفسهم من أجل مبادئهم. إنها حياة قاسية مليئة بالصعوبات والأخطار. بالتأكيد كان لدى «سالم» تصميم كامل على القيام بالمهمات التي تطلب منه.

■ هل كان كارلوس عضواً في «المجال الخارجي» أم «الجبهة الشعبية»؟

ـ «المجال الخارجي» لم ينفصل عن «الجبهة الشعبية» على الإطلاق. نحن تعرضنا لقرار بالتجميد لكن لم يفصل منا أحد. حين فصلوا وديع كان يسمي نفسه «عضواً مفصولاً». وباستطاعة اثنين ترشيح العضو المفصول مجدداً للعمل في الجبهة ويقبل. كان يقول: «لا تخافوا نحن من صلب الجبهة ولن نكون خارجها في أي يوم». أعادت الجبهة الاعتبار إلى وديع وكرمته واعترف المعنيون بأخطائهم. بدأت علاقة كارلوس مع أجهزة في الجبهة لكنها سرعان ما انتقلت بكليتها إلى «المجال الخارجي».

■ هل كان وديع وكارلوس يلتقيان باستمرار عندما يذهب الأول إلى عدن؟

– حين كانا يلتقيان في عدن يكون اللقاء يومياً. إذا لم يطلبه وديع يطلب هو أن يراه ويذهب إليه.

■ اذاً قامت علاقة ود بينهما؟

– كانت بينهما علاقة حب حقيقية. كان وديع يحب كارلوس. شاب فنزويلي جاء من البعيد وآمن بقضيتنا. ملامح كارلوس تنمّ عن ذكاء. كان شاباً نحيفاً وبارزاً. وكان هناك بريق في عينيه. تغيرت ملامحه لاحقاً بفعل السمنة.

■ ماذا كان وديع يقول عن كارلوس؟

– الحقيقة أن وديع شعر باكراً أن كارلوس يستطيع أن يعمل ويقدّم، واهتم به.

■ هل ظهرت لدى كارلوس في تلك المرحلة ميول إلى النجومية؟

– في تلك المرحلة لم يظهر شيء من هذا النوع. لعل شيئاً من تلك الملامح ظهر بعد عملية «أوبك» في فيينا. الأسباب عديدة بينها ما يذكر وما لا يذكر. في الشق الأول طموحه أن يؤسس شيئاً جديداً. كان يريد شيئاً يكون استمراراً للاسم الذي يحمله أي كارلوس على اسم الزعيم الفنزويلي الذي كان يناضل في صفوف الفلاحين والفقراء والمعدمين وينتزع لهم حقوقهم.

■ من سمّاه كارلوس؟

– نحن سميناه سالم.

■ متى ذهب إلى معسكر عدن للمرة الأخيرة؟

ـ بعد عملية فيينا.

■ التقى وديع في عدن وأُرسل إلى المعسكر؟

ـ نعم جاء ليرتاح. كان كارلوس مرتبكاً في تلك الفترة. وللأمانة لم أعرف سبب ارتباكه. كارلوس حين يرتبك يختلّ شيء من توازنه. في العادة كان ثابت الأعصاب وهادئاً. في تلك الأيام كان عصبياً ويغضب بسرعة ولا رغبة لديه في الاستماع إلى الآخرين. قال له وديع: «اذهب واسترح». جاء إلى المعسكر وراح يتدرب على الرماية. بعدها اختار الذهاب إلى بغداد وأمن له التنظيم الاتصالات لضمان أمنه وسلامته. لعل كارلوس اختار من تلك الأيام العمل في تنظيم خاص به. كان الأنقى في هذا التنظيم الذي حوى أيضاً منتفعين من اسمه ومن وضعه الذي بدا مرتاحاً بعد تلك الفترة.

■ هل انتهت علاقة كارلوس بـ «المجال الخارجي» في ١٩٧٦؟

ـ تقريباً.

■ متى التقيته للمرة الأخيرة؟

ـ صدفة في عاصمة عربية في بداية الثمانينيات.

■ ولم تحدث مراسلات؟

ـ لا. على الأقل ليس معي. بعد عدن أقام كارلوس في بغداد ثم فتح قنوات مع سورية وذهب إليها، ثم انتقل إلى ليبيا. وقد تردد دائماً على أوروبا الشرقية حيث كانت فرص الاستراحة والعيش

الجميل متوافرة سواء في تشيكوسلوفاكيا أو ألمانيا الشرقية. بعد انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي ازدادت الصعوبات. قصة العلاقات مع الدول والأجهزة ليست بسيطة. وللأسف لجأ إلى السودان وتم تسليمه. إذا أردت أن ألخّص أقول إن كارلوس إنسان ودود وشجاع ومعطاء، وحين يثق يمشي حتى النهاية.

■ متى التقى كارلوس الدكتور جورج حبش؟

ـ في أحراج الأردن. لا أعرف إن كان التقاه لاحقاً.

■ من اكتشف كارلوس في البداية؟

ـ الإخوان الذين كانوا في جرش. شاب متحمس ترك جامعة باتريس لومومبا في موسكو وجاء للانخراط في الثورة الفلسطينية. لمع سريعاً. أظن أن بين الذين بكروا في ملاحظة قدراته الرفيق أبو علي مصطفى الأمين العام السابق لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». كان هؤلاء الشبان يأتون عبر الاتحادات الطالبية.

■ أين التقاه وديع للمرة الأولى؟

ـ اللقاء الفعلي في بيروت. جاء من طريق التنظيم الطالبي.

■ هل كان رأيه سلبياً بالعرب بعد تجربته؟

ـ لا، لم يكن رأيه سلبياً. كارلوس لديه قدرة كبيرة على فهم الناس والأشياء والتكيف مع المعطيات. سالم لم يكن سراً. أفضل تسميته سالم. ما كان يقوم به كان يدخل تحت دائرة السر.

■ هل كان يتحدث عن المهمات التي يكلف بها؟

ـ يتحدث حيث يجب أو يمكن، ما عدا ذلك، الأمر غير وارد. لم يكن ثرثاراً. مشكلته أنه حين يفرط في الشراب يتحول أحياناً إلى شخص آخر لكن حتى في هذه الحالات التي يصرخ فيها ويشتم لا يتطرق إلى أسرار العمل. هنا أريد أن أقول إن الحديث عن حياة كارلوس الشخصية يجب أن يأخذ في الحسبان نشأته وثقافته والمنطقة التي ينتمي إليها. والذين يحاولون التطرق إلى هذا الجانب للنيل من الرجل يتناسون تضحياته. نحن من مدرسة تقوم على الوفاء ولا ننسى من ساعدنا وقدم لقضيتنا. ليس بسيطاً أبداً أن يأتي شاب من البعيد إلى أحراج جرش أو معسكر عدن ويتحمل صعوبات العيش وأخطار العمل.

■ **هل كان مكلفاً بالعلاقات مع المجموعات الأوروبية؟**

ـ كلف التنسيق معهم لقدرته على فهمهم.

■ **هل كان وثيق العلاقة مع المجموعات الألمانية؟**

ـ نعم.

■ **هل تعتقد بأن النجومية أوقعت به؟**

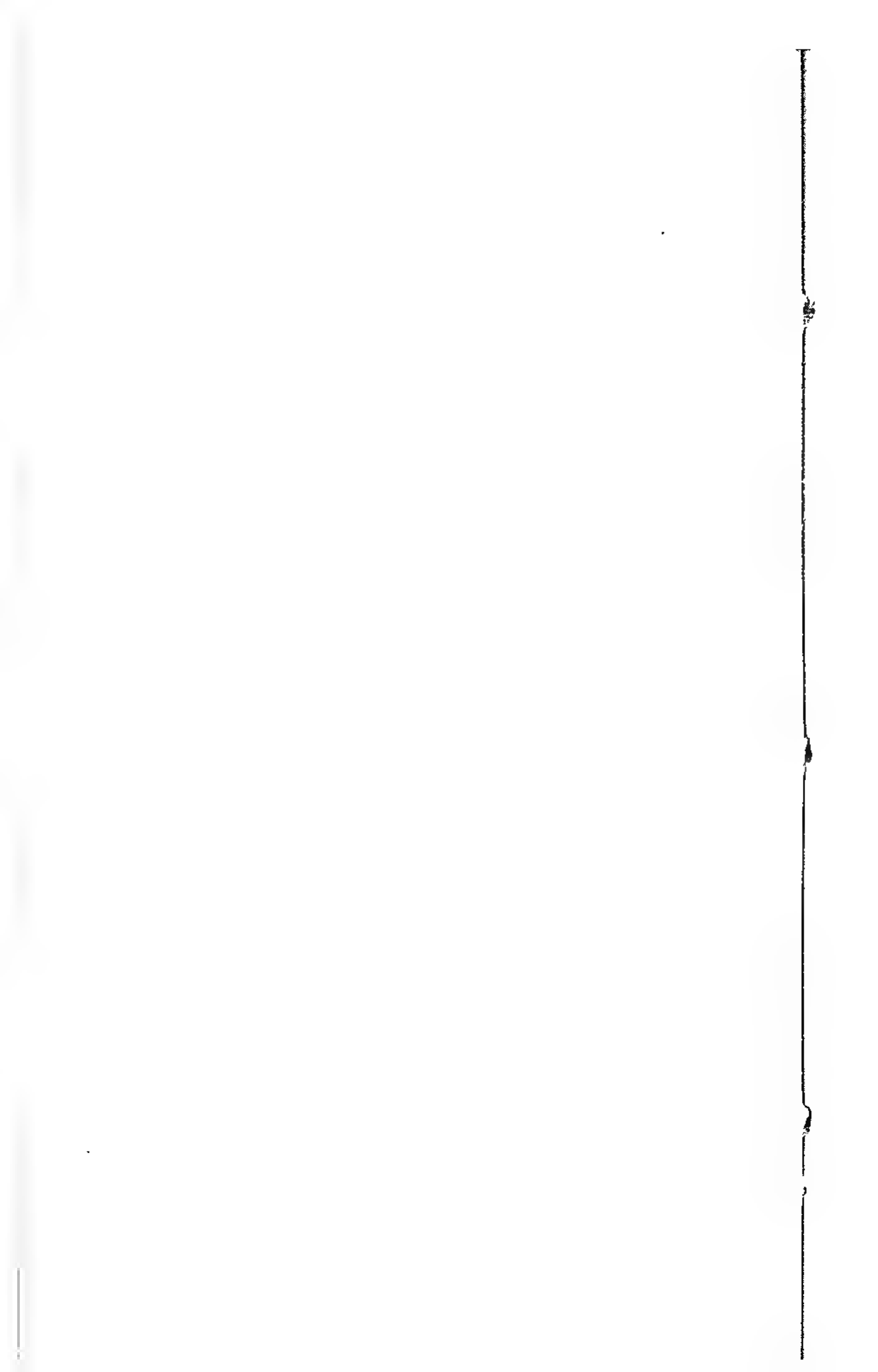
ـ كان وديع يرى أن القوى المعادية تسعى في أحيان كثيرة إلى اجتذاب مناضلي العمل السري إلى دائرة الضوء ليسهل عليها ضربهم. لهذا كان التشديد على الالتزام الصارم بالقواعد. حب الأضواء قاتل أحياناً ومثله الطموحات الشخصية. أقول ذلك بأسف وألم. كان كارلوس رفيقي وصديقي. شاهدته يأكل ويشرب ويضحك ويغضب، وشاهدته يتدرب على إصابة الأهداف وعلى المتفجرات. الدنيا صعبة ومغرياتها كثيرة. من يسلك طريقاً كالذي

اختاره عليه أن يتمتع بأعلى درجات اليقظة والحذر. لا أقول الحذر من الآخرين فقط بل من الحماسة الوافدة من الداخل ومعها الرغبة في دور كبير.

أحياناً كنت أتمشى معه قرب المعسكر. نتحدث في أشياء كثيرة. كان هذا الشاب يثير الاحترام بسبب صدقه واندفاعه. أحياناً كان يبدو مستعجلاً. دماؤه حارة ويمكن لشجار أن يستدرجه إلى ما هو أبعد من تبادل الكلمات. وجود وديع كان يضبط هؤلاء الشبان لأنه كان يرسم حدوداً للأشياء. كارلوس شجاع وبارع. أخبرني ذات ليلة كيف كان يتحرك دائماً بباسبورين. قال إنه قتل مكربل والشرطيين الفرنسيين ونزل إلى البار حيث كان يخفي باسبوراً لدى صديقته. أخذ منها الباسبور وبعض المال وغادر.

■ **كيف استقبلت خبر اعتقال كارلوس؟**

ـ مثلما تستقبل أي خبر يذبحك. بيننا رفقة نضال وخبز وملح. كنا نخشى عليه أن يُضرب ومن الداخل تحديداً. أنا أعتقد أن كارلوس ضُرب من الداخل أو من المحيط الذي انتمى إليه. الحياة الاجتماعية ساهمت في الإيقاع به. إنه يحب الحياة ويميل إلى بناء العلاقات.



الفصل الخامس

عملية عنتيبي
العلاقة بالاتحاد السوفياتي

كانت الاستخبارات السوفياتية حاضرة في الشرق الأوسط في السبعينيات. وتكاثرت على طاولات المسؤولين فيها التقارير عن الدكتور وديع حداد، خصوصاً بعدما تحول «المجال الخارجي» نقطة جذب لمجموعات ثورية متعددة الجنسيات. لم يقبل حداد يوماً بوضع «المجال الخارجي» في تصرف هذه الدولة أو تلك. وربما من هنا نبعت أهميته وخطورته معاً. كانت موسكو بدأت رحلة الانفراج مع واشنطن وكان ملف «الإرهاب» مثاراً ومطروحاً. في هذه الأجواء أجرى السوفيات اتصالاً انتهى بلقاء في موسكو بين وديع حداد ورئيس الـ «كي جي بي» يوري أندروبوف في أيلول/ سبتمبر ١٩٧٤. للمرة الأولى يؤكد الذين كانوا الأقرب إلى حداد حصول اللقاء وما دار فيه، وأن أندروبوف وافق على طلب وديع الحصول على «أسلحة خاصة وذخائر خاصة» تسلمها «المجال

الخارجي» لاحقاً في البحر قبالة عدن.

لم تغير الزيارة قناعات حداد أو نهجه. وفي أواخر العام ١٩٧٥ سيسدد حداد ضربة مدوية عبر احتجاز وزراء نفط «أوبك» في فيينا. كان حداد غادر بيروت في ١٩٧٦. لم يكن مؤيداً لتحول المنظمات الفلسطينية مجموعة جيوش علنية منتشرة في لبنان ومحصورة فيه. وها هي المقاومة تغرق في الحروب اللبنانية وتدخل في مواجهة مع سورية.

في تلك السنة كانٍ حداد مجتمعاً مع الرئيس الصومالي محمد سياد بري في مقديشو، وكانت العلاقة «شهر عسل» سمح للقائد الفلسطيني بأن يكاشف بري برغبته في خطف طائرة لإرغام إسرائيل على الإفراج عن عدد من الأسرى. الواقع أن حداد كان يبحث عن مطار يستقبل الطائرة المخطوفة. اقترح الرئيس الصومالي على حداد الاتصال بالرئيس الأوغندي عيدي أمين الذي تردت علاقاته مع إسرائيل وأوروبا. وهكذا كان. وللمرة الأولى سيتضح في هذه الحلقة لماذا اختيرت عنتيبي. وافق عيدي أمين. وفي ٢٦/٦/١٩٧٦ خطف «المجال الخارجي»، بمشاركة عضوين ألمانيين في «الخلايا الثورية»، طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الفرنسية بعد توقفها في أثينا في طريقها من تل أبيب إلى باريس وعلى متنها ٧٧ إسرائيلياً.

رافق حداد مجريات العملية من مكان قريب من المطار ومن مقر إقامة عيدي أمين وكان على اتصال دائم معه. رعونة الرئيس الأوغندي أدت إلى إطالة أمد المفاوضات، وكذلك مغادرته إلى قمة منظمة الوحدة الأفريقية. لم يأخذ عيدي أمين باقتراح حداد توزيع الرهائن في مجموعات في الغابات، وراح يطمئن حداد إلى سلامة الإجراءات التي اتخذها الجيش الأوغندي.

في ذلك الوقت كان رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين يوالي اجتماعاته مع وزير الدفاع شمعون بيريز ويقلّب الخيارات ومخاطرها قبل أن يطلب من الجيش الإعداد لعملية تدخل في نقطة تبعد أربعة آلاف كيلومتر عن إسرائيل. وفي ٤ تموز/يوليو هبطت الطائرات الإسرائيلية في مطار عنتيبي ونزلت منها سيارة شبيهة بسيارة الرئيس الأوغندي وجنود بثياب الجيش الأوغندي أيضاً. فور اقتراب الطائرات الإسرائيلية حاول حداد عبثاً الاتصال بعيدي أمين، لكن الإسرائيليين كانوا قد نجحوا في تعطيل كل الاتصالات. ويروي رفاق وديع أنه كان في المطار قبل ساعتين من وصول الإسرائيليين وأنه طلب من الأوغنديين وضع عوائق على المدرج لعرقلة هبوط الطائرات لكنهم لم يفعلوا. كما تمنى وديع ألاّ يشارك الألمانيان في عمليات الحراسة تفادياً لاضطرارهما إلى الاشتباك مع الإسرائيليين وما يمكن أن يعنيه ذلك نظراً إلى الحساسيات القديمة بين الألمان واليهود.

تحولت عملية عنتيبي كارثة. خلال أقل من ساعة قتلت القوة الإسرائيلية كل المشاركين في خطف الطائرة واحتجاز الرهائن. أدّى الاشتباك العنيف أيضاً إلى مقتل ثلاث رهائن وضابط إسرائيلي هو جوناثان نتانياهو شقيق رئيس الوزراء المقبل بنيامين نتانياهو الذي يقول عارفوه إنه لم ينس لحظة واحدة مشهد جثة أخيه العائدة من عنتيبي.

■ **ما هي قصة لقاء وديع حداد مع يوري أندروبوف رئيس الـ «كي جي بي» آنذاك والأمين العام للحزب الشيوعي السوفياتي لاحقاً؟**

ـ كانت علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي من نوع علاقة حركة تحرر بدولة كبرى تعتبر في الخندق نفسه على مستوى النزاع الدائر في

العالم. جاءت فكرة اللقاء من الجانب السوفياتي. سبقت ذلك اتصالات بدأها السوفيات معنا عبر النظام في اليمن الديموقراطي. كان الاتصال مع السوفيات في عدن محدوداً وكان هناك تبادل لوجهات النظر. كان لدينا همّ رئيس هو ألاّ نكون تابعين لأي دولة أو جهاز سواء على الصعيد العربي أو على الصعيد الدولي. نُمي إلينا أن الجانب السوفياتي كان يطرح على المسؤولين في اليمن الديموقراطي أسئلة تتعلق بوجودنا ونشاطاتنا وهيكليتنا.

في تلك المرحلة تصاعدت الاتهامات الموجهة إلى المقاومة الفلسطينية بممارسة الإرهاب. طبعاً كان الاتحاد السوفياتي مؤيداً للحق الفلسطيني والعربي، لكن للدول الكبرى شبكات مصالح تضطرها أحياناً إلى التكيف مع سياسات ومطالب وموازين قوى. طرح السوفيات فكرة أن يزور وديع الاتحاد السوفياتي وبدا واضحاً أنهم يريدون أن يعرفوا أكثر عن هذه المجموعة التي صار الحديث عنها يتردد في المنطقة والعواصم البعيدة. تكرر طرح الموضوع، وفي النهاية قال السوفيات إن يوري أندروبوف يريد رؤية الدكتور وديع حداد. ناقش وديع الأمر مع المحيطين به وكان القرار تلبية الدعوة.

تمت الزيارة في أيلول/سبتمبر ١٩٧٤. استضيف وديع في قصر وسط غابة وجرت بينه وبين الوفد السوفياتي لقاءات تناولت مسائل سياسية وعسكرية وفنية وتوجت بلقاء مع «رئيس الجهاز» أندروبوف. لم يكن النقاش سهلاً، فقد كان الموضوع المطروح هو ما سمي في تلك الفترة بـ «الإرهاب».

ترافق هذا النقاش مع سؤال سوفياتي عن موقف وديع من فكرة إقامة دولتين على أرض فلسطين أو إقامة شبه دولة إلى جانب دولة

إسرائيل. لم يكن وديع من النوع السهل الذي يقبل تمرير مسائل تتعارض وقناعاته المبدئية. قال وديع: نحن بلادنا واحدة لا تتجزأ، ولم نفكر يوماً في قيام دولتين. دولتنا هي فلسطين وهي الآن محتلة ومن حق الشعب الفلسطيني أن يناضل لتحرير أرضه وإنشاء دولته على كامل أرضه. نحن لا نقبل فلسطين ناقصة. يمكن أن نتعايش (مع اليهود) لكن في فلسطين. يمكن أن نتناقش حول شكل الحكم لكن في فلسطين التي لا تتحمل أي تسمية أخرى. لو عرضت علينا كل فلسطين باستثناء القدس نرفض. ولو عرضت علينا فلسطين كاملة مع القدس باستثناء حيفا فلن نقبل.

راح وديع يردد أسماء مدن فلسطينية ثم قال: «أنا بلدي اسمه صفد. لا أقبل إن عرضت علينا كل فلسطين باستثناء صفد. وأرفضها إذا عرضت مع صفد واستثني منها بيتي. وأرفضها إذا عرضت مع صفد وبيتي واستثني منها شبر واحد. هذه هي مواقفنا وهذا هو مشروعنا للتحرير. خطنا هو حرب الشعب الطويلة الأمد وسياسة الاستنزاف التي ستؤدي إلى إصابة الجسم «الإسرائيلي» القوي بفقر الدم والانهيار».

جرى نقاش طويل حول موضوع الإرهاب. قال وديع: لسنا إرهابيين، نحن أكثر إنسانية من اي طرف آخر. نحن نحسب حساب الأطفال لكن نرى أن أطفال شعبنا لهم الحق في الحياة والخروج من المعاناة. ولا نرى الحل إلا بالنضال. جربنا كعرب الحروب الكلاسيكية ولم ننجح. نؤمن بأن حرب الشعب الطويلة الأمد هي التي يمكن أن توصلنا إلى هدفنا. أنا لا أنكر أن هذه الحرب قد تتسبب أحياناً في سقوط أبرياء. ليست هناك حروب نظيفة بنسبة مئة في المئة. ثم إن المجتمع الإسرائيلي معسكر بنسبة

تصل إلى نحو ٩٠ في المئة، والدليل أنه فور إعلان الاستنفار يلتحق كل واحد بقطعته في الجيش. مجتمع من هذا النوع لا يمكن إقناعه بالمفاوضات.

كان هذا الحديث يوم سبت. قال وديع: أنا أتكلم باسم «الجبهة الشعبية». ليس لدينا حلول وسط. فلسطين كلها للشعب الفلسطيني. قال رئيس الجانب السوفياتي لوديع إن عطلة الأسبوع قد بدأت وسأله إن كان يريد شيئاً ما قبل الاجتماع المقبل. قال وديع: أحب أن أرى كيف تسلح الجيش الأحمر وتدرب وكيف حررتم أوروبا ودخلتم إلى برلين، فهل لديكم أفلام وثائقية؟

أرسل السوفيات إلى وديع أشرطة بينها شريط يصور اقتحام برلين. شاهد وديع الشريط الأخير مرات عدة.

في اجتماع لاحق سئل وديع عن الأشرطة فأجاب بأنها تجربة رائدة لكل الشعوب، لكن أريد مناقشة بعض القضايا. وطلب وديع إحضار شريط اقتحام برلين فظهرت الراجمات وهي تمطر برلين بالقذائف بلا انقطاع. وظهرت معالم الدمار. أوقف وديع الشريط وقال لمحادثه: أعتقد أنك فهمت وجهة نظري فلكل حرب ضحاياها. فأتى الجواب: الرسالة وصلتني ومفادها أن الحرب هي الحرب فلنقفل النقاش حول هذا الموضوع. رد وديع: نحن نحاول تجنيب الأبرياء ويلات الحرب، وكم كان بودنا لو نستطيع العودة إلى بلادنا من دون حرب، خصوصاً أن عمقنا البشري الفلسطيني ليس كثيراً. أنتم اضطررتم إلى تدمير برلين للسيطرة عليها.

بعد ذلك سئل وديع إن كانت لديه مطالب معينة. فردّ قائلاً: أعددت قائمة قبل مجيئي. لست طامعاً لكنني محتاج ونريد القائمة

كاملة أو فلنصرف النظر عنها.

سلّم القائمة وبالفعل قدم السوفيات كل ما طلب.

ماذا حوت القائمة؟

ـ بعض الأسلحة. رشاشات ومسدسات خاصة. ذخائر خاصة. بعض التقنيات وموقتات.

انتهت الزيارة وبعد فترة تم الاتصال بنا في عدن، وذهبنا إلى مسافة نحو ستة كيلومترات من الشاطئ وتسلمنا كل الأسلحة التي طلبها وديع.

لم تحصل تتمة لذلك اللقاء وظلت العلاقات عادية. وخلال تشييع وديع جاء ديبلوماسي سوفياتي ليسأل عن البديل فقلنا له الآن ليس وقت البحث، ولم تقم علاقات فعلية بعد ذلك.

ويقول أحد المقربين من وديع حداد «إن الملاحظة الاستثنائية التي كانت للدكتور وديع بعد الزيارة هي ملاحظة لافتة جداً حول تطور الصراع العالمي. فقد ذكر أن ما لفت نظره هو أنه بينما يتقدم العالم الغربي أفقياً، فإن التقدم في المعسكر الاشتراكي عمودي ومتمحور حول التنافس والتطور العلمي مع المعسكر الغربي الرأسمالي. وهكذا يكون التقدم والتطور العلمي في المعسكر الرأسمالي نتيجة لتطور المجتمع في تلك البلدان، بينما التقدم العسكري والتقني في دول المعسكر الاشتراكي هو تقدم رأسي تقوم به الأجهزة والقوى العسكرية ومركّز أساساً للتفوق على خصومه وليس ناتجاً من تطور طبيعي للمجتمعات في تلك الدول، ولا ندري إذا كان هذا التحليل

يشكل استباقاً أو تنبؤاً بما حسم عليه الصراع العالمي فيما بعد بين المعسكرين».

▪ لماذا اختيرت عنتيبي مكاناً لاستقبال الطائرة المخطوفة؟

ـ اتخذ القرار بعملية لخطف طائرة وبهدف الإفراج عن عدد من المعتقلين. كانت هناك في تلك الفترة علاقة قوية بين وديع حداد والرئيس الصومالي محمد سياد بري. طرح وديع الفكرة على سياد بري الذي نصح بطرح الفكرة على الرئيس الأوغندي عيدي أمين مشيراً إلى أن الأخير لديه مشاكل كثيرة مع الأوروبيين وقد يكون مستعداً لاستقبال الطائرة. كان وديع يعرف طبيعة عيدي أمين والعوامل التي يمكن أن تؤثر فيه. لذلك تم إرسال رجلين ضخمي الجثة للقائه وطرحا معه الموضوع فأبدى استعداده. بعد العثور على مكان لاقتياد الطائرة إليه تسارعت الاستعدادات لتنفيذ العملية. كان وديع على ما أعتقد في الصومال وبعد وقوع عملية الخطف انتقل إلى عنتيبي للبقاء على اتصال مع عيدي أمين.

وضعت جملة من الترتيبات. نقل الركاب إلى عنبر في المطار وشارك المبعوثان إلى عيدي أمين في عملية الاحتجاز إلى جانب الخاطفين. طبعاً كان رأي وديع أن يتم توزيع الركاب في أكثر من مكان لتسهل السيطرة عليهم. ودرست الناحية الأمنية فحرص عيدي أمين على تأكيد ارتياحه إلى الإجراءات المتخذة. كانت العملية ناجحة تماماً لكن المفاوضات استمرت أكثر مما ينبغي. حين بدأ الوسطاء يقولون أعطونا المزيد من الوقت شعر وديع أن الإسرائيليين يرتبون شيئاً. اتصل بعيدي أمين وقال له إن الوضع بات خطيراً والمطلوب إما توزيع الركاب أو تشديد الحراسة. أبدى عيدي

أمين ارتياحه إلى الإجراءات وتحدث عن فاعليتها. كان وديع على مقربة من المطار ومن مقر عيدي أمين وكان على اتصال معه.

فجأة هبطت الطائرات الإسرائيلية على طرف المدرج ونزلت منها سيارات جيب عسكرية وسيارة مرسيدس شبيهة بسيارة عيدي أمين. سمع وديع صوت الطائرات فرفع سماعة الهاتف للاتصال بعيدي أمين فلم يتمكن. حاول مرات عدة فلم ينجح، إذ تمكن الإسرائيليون من تعطيل كل أنواع الاتصالات. في هذه الأثناء دوى إطلاق النار. دخلوا إلى العنبر بعدما قتلوا أحد شبابنا الذي خرج مستطلعاً وقتل آخر كان يرتاح ليتمكن من العمل لاحقاً. حين دخلوا هاجمتهم الفتاة الألمانية بالقنابل والشاب الألماني بالرشاش. الاثنان من «الخلايا الثورية» وقد قتلا. انتهت العملية بالسيطرة الإسرائيلية واستشهاد رفاقنا.

■ ألم يكن الإسرائيليون على علم بوجود وديع؟

ـ ربما توقعوا أن يكون في المطار نفسه. لو عرفوا مكانه لهاجموه.

■ ماذا كان رد فعل وديع على مصير العملية؟

ـ كانت العملية قاسية جداً. كان متماسكاً في البداية. حين وصل إلى عدن كان بالغ التأثير وبكى بحرقة على الرفاق الذين استشهدوا، الحاج فايز وجايل وأبو الدرداء (عراقي) وكذلك على الألمانيين. كانت العملية درساً كبيراً لنا.

■ ألم يتوقع وديع أن تكون لدى الإسرائيليين القدرة على التدخل عسكرياً؟

ـ كان ذلك موضوعاً في حسابه. لكن المفاجأة كانت وصولهم من دون أن يشعر بهم أحد. تنكّر الإسرائيليون في ثياب الجيش الأوغندي ومشوا في المطار من دون أن يتعرض لهم أحد.

▪ ماذا تقول عن أسلوب وديع حداد بحكم معايشتك له؟

ـ وديع حداد إنسان بسيط جداً. خياره واضح ولا عودة عنه. رسم كل تفاصيل حياته في ضوء الهدف الذي نذر نفسه للعمل من أجل تحقيقه. يمكن القول إن وديع اختار طريقه باكراً ومشى فيها إلى النهاية. لم يتعب ولم ييأس. ولم تدفعه الصعوبات يوماً إلى التفكير في الاستقالة أو الابتعاد.

رسم الإعلام المعادي لوديع حداد صورة هي أبعد ما تكون عن الحقيقة. قدمه في صورة الإرهابي الذي يدير مجموعة من الإرهابيين ويبتهج بتوجيه الضربات المؤلمة أو الدامية. قدموه شخصاً يدير من الظل، وبمشاعر قاسية لا تعرف الرحمة، إمبراطورية إرهابية.

كان وديع حداد محارباً صاحب قضية. كان رجلاً صادقاً. يستمع إلى محاوره بانتباه وبشغف. يتكلم ببساطة ومن دون تعقيدات. كان طفلاً وعملاقاً وجباراً وحنوناً. صفات كثيرة التقت في شخصية واحدة. كان سخياً إلاّ على نفسه. كان زاهداً بكل ما للكلمة من معنى. لم تكن لديه حياة خاصة أو اهتمامات شخصية.

▪ ماذا كانت هواياته؟

ـ كان يحب كرة الطاولة. يهرب أحياناً من التعب فيلعب الورق قليلاً ليرتاح ثم يعاود العمل.

■ كيف كانت مواصفاته؟

ـ كان مربوع القامة وصحته قوية. لم يكن يدخن إلاّ في الفترة الأخيرة. في البداية كان يلعب كرة القدم مع شبان المخيمات.

■ ماذا كان يثيره؟

ـ كان ينزعج من الخطأ والفوضى والكسل. زجاجة مكسورة ومتروكة على الأرض كانت تغضبه لأنه كان يرى أن الشعور بالمسؤولية يجب أن يسود لدى الجميع وأن أول من يرى الزجاجة المكسورة يجب أن يلمها. كان وديع هادئاً ومتوازناً ومنظماً. لم يكن ينسى والدة شهيد من الشهداء خصوصاً أبناء الطلائع الأولى، على رغم قلة الإمكانات كان يرسل لهم مساعدات.

كان منزله أكثر من متواضع. لم يقبل يوماً أساليب البهرجة والظهور. حمّل عائلته تبعات ثقيلة. حمل لزوجته وعائلته مشاعر حب فياضة لكن وقته كان مكرساً لقضيته على رغم محاولته توفير الوقت القليل اللازم لحياته العائلية.

■ عملتم مع وديع حداد، هل كان لديه أي تعصب ديني؟

ـ على العكس تماماً. من يكن لديه تعصب لا يسلك الدرب الذي سلكه. كان هاجسه مصير فلسطين التي كان يرى أن تحريرها متعذر من دون نهوض عربي شامل. خذ مثلاً: في أيام رمضان كان بعض المسلمين يدخنون أو يفطرون كل بحسب أسبابه. حبش وحداد لم يحدث أن دخنا احتراماً لمشاعر الآخرين ومشاركة لهم. لم تكن هناك أي تفرقة. كان ينظر إلى الدين على أنه مسألة شخصية في إطار علاقة الإنسان مع ربه. في فلسطين لم تكن هذه

الحساسية الطائفية موجودة. كان الهمّ الأول محاربة الكيان الغاصب. كان التناقض العربي ـ اليهودي أكبر من أي تناقض آخر.

■ هل كان يشرب ويغني ويرقص؟

ـ في ساعات الراحة والأجواء الجيدة كنا نضع الخبز في الفرن ونضع معه الجبنة ثم نجتمع ونأكل. كان وديع يبدو مسروراً وأحياناً كان يغني على «دلعونا» أو يشجع الآخرين على الغناء.

■ من كان يحب من المطربين والمطربات؟

ـ وديع الصافي ونصري شمس الدين وصباح وفيروز. كان يحب المواويل. أما حين كانت الأمور معقدة قليلاً فكان يستمع إلى أغاني الشيخ إمام: «رجعوا التلامذة يا عمي حمزة» و«يا بهية» و«بصراحة يا مستر ميكي». كان يحفظ أغاني الشيخ إمام ويرددها. إنه رجل طبيعي. يفرح ويحزن. يبتهج ويتألم. هكذا كان سلوكه في مقره أو المعسكر أو السيارة أو الطائرة. أكْلته المفضلة الكوسى المحشي. كانت الطبق المفضل لديه. وكان يحب المجدرة المحمرة والعظام المسلوقة. لم تكن لديه طلبات خاصة. لكن حين كان يعود من السفر كان يفضل أن يكون الكوسى المحشي حاضراً. في بداية الأكل كان يقول باسم الله. وفي ختام الأكل يقول: «نشكر الله هيدي لقمة حلوة» مهما كان الأكل. إذا وجد كسرات خبز مرمية ينزعج. يرى أن فقيراً كان يمكن أن يستفيد منها. والأمر نفسه إذا وجد رزاً مرمياً. كان يكره التبذير.

لم يكن وديع يهتم بلباسه. كان رفاقه يشترون له الثياب حين يوصيهم. لم يكن يرتدي بزة رسمية حتى ولو التقى قياديين أو مسؤولين. كانت لديه جاكيت جلد عاشت معه سنوات طويلة

ولبسها في رحلته إلى موسكو.

■ **متى رأيته يبكي أو عرفت أنه بكى؟**

ـ المحطة التي أبكت وديع وأبكتنا كانت استشهاد الدكتور باسل الكبيسي (عراقي كان عضواً في حركة القوميين العرب) على يد «الموساد». كانت علاقتهما وثيقة وكان الكبيسي يؤدي دوراً مميزاً في مساعدة «المجال الخارجي». اغتيل الكبيسي فحزن وديع بشدة. المرة الثانية بعد عملية عنتيبي، بكى في منزله حزناً على من استشهدوا فيها. المرة الثالثة التي بكى فيها بمرارة كانت في بغداد بعد لقاء مع الدكتور حبش. التقيا وتصارحا واحتد النقاش بينهما. شعر وديع أن الفراق قد وقع فبكى كالطفل حين عاد إلى مقره. كان ذلك في ١٩٧٦.

■ **أي بلدان زار وديع؟**

ـ لبنان، سورية، الأردن، العراق، مصر، الصومال، أوغندا، الجزائر، ليبيا، الاتحاد السوفياتي وبلغاريا.

■ **ألم يتعاون ميدانياً مع النظام الليبي؟**

ـ كان التعاون محدوداً جداً.

■ **ماذا كان يقول عن المال؟**

ـ كان يرى فيه عصباً ضرورياً للعمل. على الصعيد الشخصي لم يكن المال يعني له شيئاً. كان من غير الوارد مثلاً أن يكون لابنه الوحيد أي تعامل يختلف عن التعامل مع ابن أي شخص آخر في «المجال الخارجي». كان قاسياً على نفسه وعلى عائلته وكان يرى هذا السلوك بديهياً وطبيعياً. مرت علينا في «المجال» ظروف صعبة.

■ اتُّهم وديع بأنه غير مثقف؟

ـ كانت قراءاته مختلفة. لم يكن من أنصار قراءة الكتب للاستعراض. كانت قراءاته مربوطة تماماً بأهدافه وعمله. شاهد ثلاث مرات فيلم «ابن آوى» الذي يتحدث عن عمليات الجيش الفرنسي السري في الجزائر والتي كانت تستهدف الديغوليين. اهتم بالمشاهد المتعلقة بتهريب الأسلحة وتزوير الوثائق وصنع بعض الأشياء الخاصة وكان يشجع على مشاهدته. كان يحب روايات أغاثا كريستي. أحياناً كان يقرأ كتاباً خلال رحلة الطائرة.

■ هل كان يحب الشعر واللغة؟

ـ جداً. كان والده أستاذاً للغة العربية. كانت لغة وديع العربية ممتازة. ولغته الإنكليزية ممتازة أيضاً.

■ من كان يحب من الشعراء؟

ـ كان يحب المتنبي جداً. يعجبه فيه عنفوانه.

كان يردد أحياناً بعض أبيات المتنبي. وفي الوقت نفسه كان يحب الشيخ إمام. حين تخرج تظاهرة في الشوارع كان يردد:

رجعوا التلامذة

يا عم حمزة

للجد ثاني.

كان يحب قصائد سميح القاسم ويدندنها. وكان يحب شعر محمود درويش. كان يقرأ أيضاً عن البحار والمحيطات والحيوانات.

■ ما أبرز العمليات التي خطط لها بعد أحداث ١٩٧٠

في الأردن؟

ـ كانت هناك عمليات كثيرة استخدمت فيها أساليب مختلفة كالملابس المتفجرة مثلاً. لم يكن الأردن هو الهدف.

■ **هل تجزم أن «المجال الخارجي» لم ينفذ اغتيالات في لبنان؟**

ـ نعم.

■ **هذا يعني أن لا علاقة لكم باغتيال السفير الأميركي فرنسيس ميلوي؟**

ـ نعم، ولم نخطط لاغتيال دين براون في بيروت.

■ **أين كان يقيم وديع في بيروت؟**

ـ في أطراف العاصمة. في الشياح وفي وسط المدينة أو فردان أو الحمراء. الحديث عن عشرات الشقق غير صحيح. كان يبدل مكان إقامته. كانت الشقة التي يقيم فيها هي مكتبه وغرفة نومه ومقهاه ومكان مواعيده. طبعاً لم يكن يخرج إلى المطاعم والحفلات وأماكن السهر. هذا غير وارد.

■ **هل كان يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل؟**

ـ لم يكن يميز بين الليل والنهار. يعمل باستمرار وحين يتعب يرتاح ثم يعاود العمل.

■ **كانت هناك عملية مالية معلنة، لكن ماذا عن مصادر التمويل الأخرى؟**

ـ أحياناً كنا نحصل على مساعدات من مجموعات صديقة في أوروبا تقوم بعمليات وتعطينا ثم نعيد لها.

■ **ماذا كنتم تستفيدون من المجموعات الأوروبية المتحالفة معكم؟**

ـ تماماً كما كنا نستفيد من أي عضو في التنظيم. كانت العلاقة صميمية معهم والتعاون قائماً.

■ **هل كان الألمان هم الأقرب؟**

ـ نعم.

■ **وهل كانوا يبلغون وديع ببرنامج عملياتهم؟**

ـ نعم.

■ **وقبل حدوثها؟**

ـ نعم. وكنا نحن نضعهم في أجوائنا.

■ **هل كانت بيروت نقطة الاتصال الأساسية؟**

ـ كانت هناك بيروت وعدن وبغداد. بعض الألمان ذهبوا إلى بغداد مرة أو اثنتين. بيروت كانت تستخدم للإقامة أسبوعاً أو اثنين. عدن كانت مختلفة وظروفها آمنة خصوصاً بسبب وجود السوفيات.

■ **سألنا أحد الذين رافقوا وديع حداد عن قرب ما الذي يميز تجربته وما هو السر الكامن في شخصيته فأجاب:**

ـ إن ما ميز تجربة الدكتور وديع حداد أولاً وأخيراً هو أسلوب كسر

قواعد اللعبة التي تقوم عليها قضية الصراع بين الشعب الفلسطيني وأعدائه. إن المحاولة الجادة للعودة إلى استرجاع تلك التجربة وتقويمها بتجرد تظهر أن القائد أبو هاني حاول وبذكاء شديد كسر قواعد ومحددات الصراع التي حاول خصوم الشعب الفلسطيني فرضها على هذا الشعب وإجباره على إدارة هذا الصراع ضمن محددات كانت جميعها وللأسف الشديد في غير مصلحته.

إن العودة للنظر إلى الوراء وفي هذه اللحظة بالذات المركزة والمحملة بنفس مشاهد وصور الالتحام السابق بين الشعب الفلسطيني المحاصر والمسلوب والمحروم من أي دعم حقيقي والمتروك لمواجهة مصيره بنفسه في مواجهة أحد أقوى وأعتى جيوش العالم، إن كل تلك الصور المستعادة دوماً ودوماً مع ازدياد عنفها ووحشيتها، كل ذلك يجبرنا على العودة لاستخلاص العبر واستيعاب المنطلقات.

إذا استطعنا اختزال قضية الصراع على أرض فلسطين بصورة محتل يمتلك أقوى الأسلحة يقوم بطرد صاحب البيت من بيته وأرضه ـ نقول إذا استطعنا، لأننا ندرك أن قضية فلسطين هي أعقد بكثير من ذلك ولها عوامل وخيوط متشابكة وكثيرة، لكن إذا استطعنا اختزالها في هذا الشكل، حيث يقوم المحتل بطرد أصحاب البيت الأصليين من مسكنهم ويقوم بالتحصن فيه ولا يكتفي بذلك بل يضع شروطاً على أصحاب البيت بأن عليهم فقط الاحتجاج في المكان الذي يحدده هو وبالطريقة التي يريدها هو ـ أي يضع قواعد الصراع بينما يمضي هو في استكمال بناء تحصيناته وحشد قوته ـ فما سيكون موقف الضحية؟

وأضاف: «لقد رأى الدكتور وديع حداد أن من حق الضحية أن

تختار أسلوب المواجهة بالطريقة التي تريدها هي والتي تكون في مصلحتها هي. لقد رفض أن يكون الحكَم هو نفسه الخصم، وأكد أن من حق الضحية أن تختار أسلوب مواجهتها وتحديد موقع ومكان وتوقيت المواجهة، وكما تراه هي مناسباً... فإذا انتظروا الخصم من الشمال أتى من الجنوب وإذا انتظروه جواً أتى من تحت الأرض وإذا انتظروه أرضاً أتاهم جواً... ذلك ببساطة هو مبدأ حرب العصابات ـ أي الضرب الموجه والشديد التركيز على نقاط الضعف لا على نقاط قوة الخصم، لكي يوقع به الكثير من الأوجاع الصغيرة التي تؤدي، في حال تراكمها، إلى إضعافه وشلّه، ويكون في تلك الفترة على قوى الثورة استجماع قواها وتطويرها للارتقاء إلى مستوى أعلى من مراحل الصراع.

إن هذا باختصار وبطريقة مختزلة جداً، هو أساس ما تميزت به تجربة الدكتور وديع. غير أنه يجب ألاّ ننسى أن هذه الرؤية استندت أيضاً إلى مرحلة منتصف القرن الماضي التي تميزت بصعود حركات التحرر في العالم خصوصاً الدول المستعمرة سابقاً ونجاح تجارب ثورات في عدد من دول العالم الثالث، كما جاءت أيضاً في ظروف الحرب الباردة كإطار عالمي.

إذاً، رأى وديع حداد، بخاصة بعد هزيمة ١٩٦٧ وخسارة ما تبقى من أرض فلسطين، أن دور العمل المسلح الفلسطيني أولاً وأساساً هو في إقلاقه راحة المحتل ومنعه من الاستقرار وإبقائه محاصراً، وذلك عبر ضرب خطوط مواصلاته واتصاله ببقية العالم، عدا كشف ما كان من دور لخطوط «العال» الإسرائيلية في نقل الأسلحة والعتاد إلى دولة إسرائيل.

كما رأى ثانياً ـ أن الثورة الفلسطينية لا تمتلك أرضاً تستطيع الانطلاق منها لتوجيه ضرباتها والعودة إليها لتكون قاعدة خلفية ـ ولهذا التزم وديع أسلوب العمل السري والمواجهة غير المباشرة ووقف بحزم ضد تجييش العمل العسكري الفلسطيني والوجود العلني المسلح للثورة الفلسطينية لأنه وببساطة شديدة رأى أن أي وجود علني مسلح في مواجهة الجيش الإسرائيلي الذي يتفوق قوة وعتاداً سيؤدي بالتأكيد إلى الخسارة العسكرية. وهذا ما ثبت في الكثير من المواجهات التي كان أهمها على الإطلاق حرب لبنان ١٩٨٢».

وقال: «أخيراً لا بد من القول إن شخصية وديع لعبت دوراً كبيراً في صوغ هذه التجربة ـ إذ كان ذا شخصية فريدة من حيث إنه لا يعترف بوجود المستحيل. وهنا تحضر ذكرى في أواخر الستينيات وبعد عودة مجموعة من أحد الاستطلاعات في الأراضي المحتلة، عادت المجموعة لتقول بأن الهدف المطلوب درسه وبالتالي ضربه، وبحسب موقعه وما يحيط به، من المستحيل «تقريباً» الوصول إليه وتنفيذ المهمة. هنا كانت تبرز شخصية وديع إذ قال «بما أن المستحيل هو «تقريباً» وليس «كلياً» إذاً فهو «ممكن، صعب لكنه ممكن» وطلب إعادة الاستطلاع، وعادت المجموعة بالنتائج المطلوبة وتم إرسال المجموعة المنفذة وقامت بالمهمة على أكمل وجه.

عبر درس مسيرة هذا القائد الفذ، يمكن الوقوف على جوانب مهمة من شخصيته ـ فأن تخطف طائرة مرة لا شك في أنك ستلفت أنظار العالم لقضيتك، وأن تعيد الكرّة مرة ثانية وثالثة ورابعة فسيقف العالم ليتساءل من هم أولئك الرجال والنساء ولماذا يقومون بهذه الأفعال ـ لكن أن تخطف أربع طائرات في الوقت نفسه وتستحدث مطاراً في وسط الصحراء لاستقبالهما، وتقوم بحمايتهما

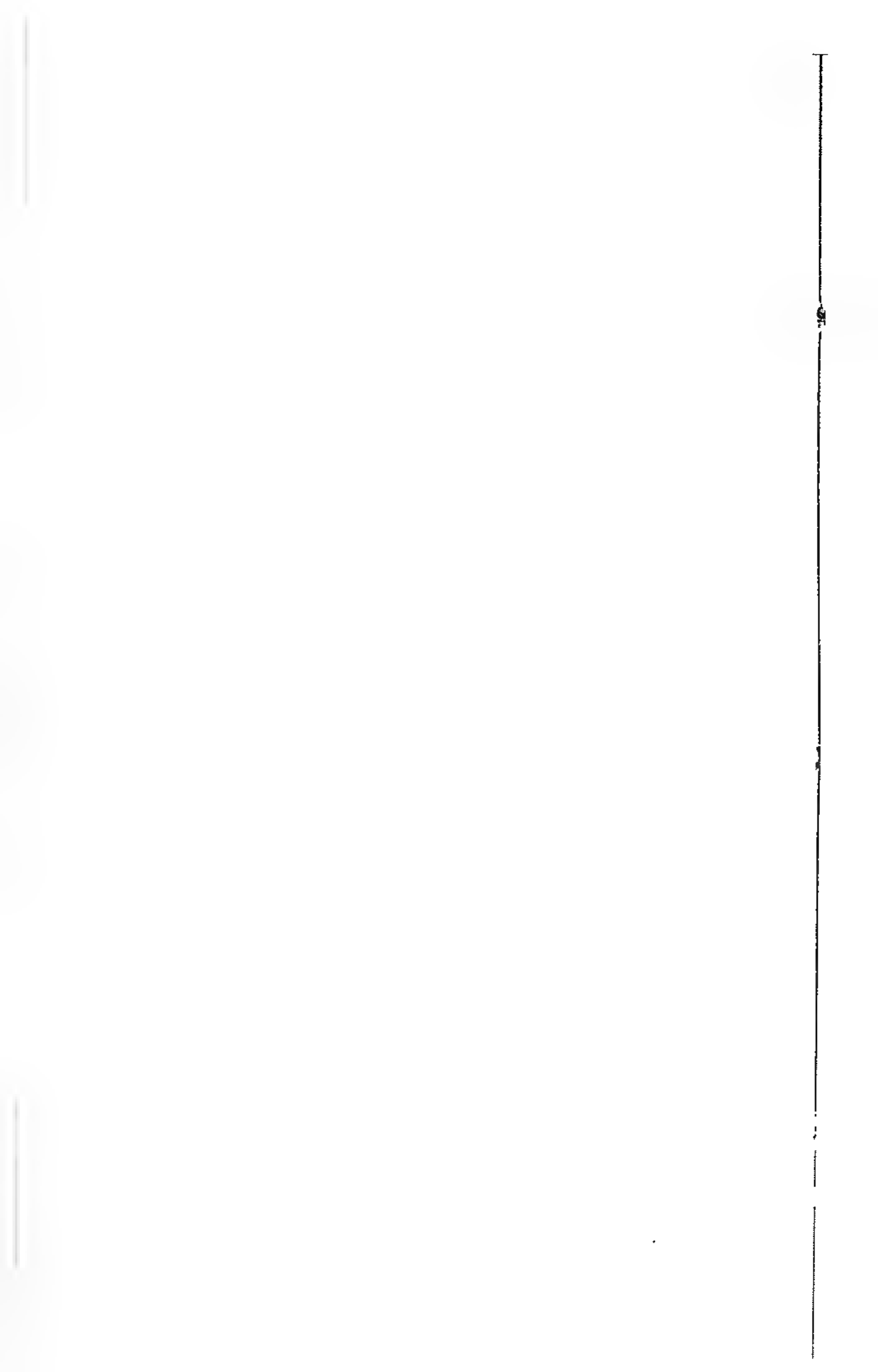
ولفترة طويلة وتفاوض لإطلاق سراح المعتقلين في إسرائيل والخارج، فذلك جعل العالم يقف على رؤوس أصابعه مشدوهاً لما يحصل. لقد استطاع عبر هذه العملية وغيرها أن يغير صورة الفلسطيني والعربي من صورة اللاجئ المجرد المنكسر إلى صورة الإنسان المقاتل الذي يستطيع بتصميمه وإرادته أن يصل إلى أهدافه المقررة وتحقيقها. ولا ننسى أن «أبو هاني» في تلك الفترة كان موجوداً على أرض مطار الثورة. صحيح أنه لم يكن مكشوفاً على الرهائن وجيوش الصحافيين لكنه كان هناك خلف الستار يدير ويخطط ويدرس ويوجه سير العملية ويضع خطط المفاوضات والإعلام، وغيرها من الأمور، كله ضمن خطط مجهزة لتحقيق أهدافها. وهنا جدير بالذكر أنه لدى انسحاب الفدائيين مع آخر الرهائن، وفي ثلاثة باصات متوجهة إلى مدينة عمان قامت وحدات من الجيش الأردني بمحاصرتها وكان أبو هاني داخل أحد الباصات الثلاثة، فطلب من الفدائيين توجيه بنادقهم إلى الرهائن وأصر على عدم الاستسلام إلى أن تراجع الجيش الأردني. وهنا طلب من المسؤولين عن الباصين الأولين التوجه إلى عمان لتسليم الرهائن الذين لديهم بينما أعطى أوامره للباص الثالث بالمراوغة والانفصال عن بقية المسيرة للوصول إلى أحد مخيمات عمان، وكان هو على ذلك الباص الذي يضم الأسرى الإسرائيليين والذي أكمل بواسطتهم مسيرة المفاوضات لإطلاق سراح الفدائيين المطلوبين.

فالمستحيل الممكن كان نقطة قوته واستخدمه مرات عدة وبنجاح كبير. لكن يجب أن ندرك أن هذا المستحيل الممكن لم يأت بشروط سهلة، بل كان يتطلب منه عملاً وجهداً مركزاً ومنظماً إضافة إلى ضرورة وجود قيادة ذات إرادة من حديد ومصممة على تحقيق أهدافها، من هنا يمكن أن ندرك لماذا استحدث وديع وسائل

كان يسميها الأسلحة السرية للثورة الفلسطينية وكانت تتمثل تحديداً بأسلوبي عمل هما:

أولاً: الوثائق المزورة التي كانت تهدف إلى اختراق وسائل الحصار على تحرك الفلسطيني المحاصر في مخيمات التشرد والممنوع من التنقل خارج المخيمات وليس بين الدول فقط.

ثانياً: الأسلحة السرية أي المموهة. لقد كانت تجربة وديع متميزة من حيث استحداث وابتداع أنواع جديدة من الأسلحة التي استطاعت بنجاح تجاوز وسائل الحماية والدفاعات التي وضعها الخصم لمواجهة هذا النوع من العمليات. كان يرى نفسه في سباق مع خصمه في اختراق إجراءات الحماية والتي أثبتت التجربة في كل مرة أنه استطاع خرقها عبر الدراسة والتطوير. وكان يقول دوماً حتى بعد فشل إحدى العمليات، إن من المهم إيصال الرسالة، فالعملية التي تفشل تؤدي دوراً مهماً ايضاً في أننا مستمرون».



الفصل السادس

خطة لاغتيال كيسنجر

كان كل شيء هادئاً في بالما دي مايوركا. والسياح الأربعة الذين وفدوا إلى المدينة بجوازات سفر إيرانية لم يثيروا أي شبهة. رجلان وامرأتان في فندق والغرض سياحي بحت. لم يعرف أحد أن الأربعة استدعوا قبل أقل من أسبوعين إلى بغداد ووجدوا أنفسهم أمام الدكتور وديع حداد بعدما كانوا تدربوا قبل ذلك في معسكر «المجال الخارجي» في اليمن الجنوبي. انتظر السياح السلاح فوصل ولم يبق غير التنفيذ.

في ١٩٧٧/١٠/١٤ أقلعت من مطار المدينة طائرة من طراز «بوينغ ٧٣٧» تابعة لشركة «لوفتهانزا» الألمانية الغربية تنقل ٦٨ راكباً بينهم ٤ مضيفات وقائد الطائرة ومساعده. أما الركاب فكانوا من الألمان والإسبان ومعهم أميركية واحدة. فجأة صرخت امرأة تحمل قنبلتين يدويتين معلنة خطف الطائرة. كان اسم المرأة سهيلة إندراوس السايح، وهي ستكون الناجية الوحيدة من فريق

الخاطفين بعد تجوال الطائرة المخطوفة في سماء الشرق الأوسط والخليج وانتهاء رحلتها في مقديشو.

تزودت الطائرة بالوقود في قبرص والبحرين ودبي، ورفضت مطارات عدة استقبالها فتوجهت إلى عدن وفجأة غادرتها إلى مقديشو التي كانت قد أعلنت رفضها استقبال الطائرة المخطوفة. قتل الخاطفون قائد الطائرة لأنه نجح إبان الطواف بين المطارات في تسريب معلومات عن الخاطفين. وبعد خمسة أيام وتحت جنح الظلام هاجم كوماندوس ألماني غربي الطائرة الجاثمة في مقديشو وقتل زهير عكاشة (قائد المجموعة) ونبيل حرب ونادية دعيبس، وأصيبت سهيلة إندراوس السايح بست رصاصات توزعت في الرئة والرجلين وأنحاء أخرى من جسمها.

طالب الخاطفون الذين قالوا إنهم ينتمون إلى «منظمة محاربة الإمبريالية العالمية» بإطلاق عدد من المعتقلين في سجون ألمانيا الغربية وبإطلاق فلسطينيين اعتقلا في تركيا. ويؤكد رفاق وديع حداد أن العملية لم تكن مالية وأن الحصول على فدية لم يكن بين المطالب.

قبل خمس سنوات كان لـ «المجال الخارجي» موعد آخر مع «لوفتهانزا» انتهى بانصياع بون لإرادة الخاطفين ودفعت يومها خمسة ملايين دولار في مقابل الإفراج عن الطائرة التي اقتيدت إلى عدن. لكن الموعد الثاني جاء دامياً.

للمرة الأولى ستتكشف بعض الخيوط الحقيقية لتلك العملية. لم تكن لها أصلاً أي علاقة بمقديشو. فقبل فترة وافق الرئيس اليمني الجنوبي سالم ربيع علي خلال لقاء مع وديع حداد على استقبال الطائرة التي ينوي «المجال الخارجي» خطفها ووافق أيضاً على

تفجير الطائرة إذا رفضت السلطات الألمانية الغربية التجاوب مع مطالب الخاطفين. لكن التجاذب الذي حصل في عدن لدى اقتراب الطائرة وهبوطها ساهم في تغيير الحسابات. ذهب الخاطفون إلى مقديشو ومعهم جثة الطيار، الأمر الذي ضاعف تصميم بون على عدم الرضوخ. وللمرة الأولى سيتضح أن الرئيس الصومالي محمد سياد بري خان «صديقه» السابق حداد، وهو سيعترف بذلك إلى مسؤول في «المجال الخارجي» سارع إلى مقديشو غداة اقتحام الطائرة لمعرفة الملابسات. قال سياد بري للزائر: «إنهم أبنائي لكنني بعتهم في صفقة».

وسيتضح أن حداد خطط لاغتيال وزير الخارجية الأميركي السابق هنري كيسنجر في دمشق أو القاهرة إبان الرحلات التي قام بها لفض الاشتباك، لكن سرعة انتقال الوزير الأميركي حالت دون التنفيذ.

كذلك سيتبيّن أن العراق كان الممول الرئيس لـ «المجال الخارجي»، وإن بمبلغ متواضع، وأن ليبيا قدمت مساعدة محدودة.

كانت عملية مقديشو الضربة الأخيرة. رافق حداد ملابساتها من عاصمة أفريقية. وبعد بضعة أسابيع سيدهم المرض حداد فيبدأ رحلة العلاج التي ستنتهي بوفاته في برلين الشرقية في ٢٨ آذار/ مارس ١٩٧٨.

■ كيف حصلت عملية مقديشو؟

ـ لم تكن لها أصلاً أي علاقة بمقديشو إذ كان مقرراً أن تنتهي عملية خطف الطائرة الألمانية الغربية في عدن. كان هناك اجتهادات من الرفاق المشاركين في العملية. كان الغرض من العملية الإفراج

عن عدد من المعتقلين في أوروبا.

وصلت الطائرة بسلام إلى عدن بعد المرور في الخليج وطاردتها طائرة ألمانية تقل فريقاً من الكوماندوس. لقد دفع سالمين رئيس اليمن الديموقراطي سالم ربيع علي غالياً ثمن عملية الطائرة وهو كان وافق على استقبال الطائرة قبل حدوث العملية خلال لقاء مع وديع. ووافق أيضاً على تفجير الطائرة في حال عدم استجابة المطالب. كانت عدن هي المحطة النهائية وفجأة أقلعت الطائرة من عدن. طبعاً حصل تجاذب في عدن، إذ إن الفريق الذي كانت تربطه علاقات وثيقة بالاتحاد السوفياتي وألمانيا الشرقية انتقد العملية على ما يبدو استعداداً لتحميل سالمين المسؤولية. لماذا وافق الفريق المنفذ على مغادرة عدن؟ عندما نزل علي ناصر محمد (كان رئيساً للحكومة) للتحدث إلى المنفذين، كانت محركات الطائرات قد أديرت. كابتن الطائرة قتل خلال العملية. غادرت الطائرة وبدأ الصراع في عدن. الفريق الذي قاد الهجمة كان ممثلاً بعبد الفتاح إسماعيل ومجموعته والأمن الذي كان في عهدة «محسن».

هبطت الطائرة في مطار مقديشو وهاجمها كوماندوس ألماني فقتل المنفذون باستثناء سهيلة السايح.

في اليوم التالي من اقتحام الألمان للطائرة توجه موفد من «المجال الخارجي» إلى مقديشو وطلب مقابلة الرئيس على الفور. استقبل سياد بري الموفد في الليلة نفسها وقال له بالحرف الواحد: «سلّم يا بني على الدكتور وديع وقل له إن سياد بري باع المنفذين. قل له إنهم أبنائي وقد بعتهم لإنقاذ الصومال من المحنة التي يعيشها. أنا لا أكذب، بعتهم في اتفاق».

طلب الموفد من الرئيس أن يرى سهيلة السايح فقال له: «لاحقاً». سأله عن جثث من استشهدوا فقال: «هنا بلدهم كما هي فلسطين بلدهم والمسلم يدفن حيث يموت».

التقى الموفد سهيلة في المستشفى لكن حالتها لم تسمح لها بشرح ما حصل. دفن الشباب في الصومال. كانت العملية مكلفة.

■ **ماذا كان تعليق وديع؟**

ـ لم يكن وديع في مقديشو. كان في عاصمة عربية أفريقية. وصل الموفد إلى حيث هو موجود ففوجئ به إذ تقضي العادة أن يسبق الوصول اتصال. وصل الموفد إلى مقر وديع الذي خرج واستقبله عند السيارة. أطلع الشخص وديع على ما قاله سياد بري حرفياً. كما أطلعه على التوتر في اليمن وإمكان أن يدفع سالمين الثمن.

■ **كيف تمت عملية سينما «حين» في ١٩٧٤/١٢/١٢؟**

ـ أرسل «المجال الخارجي» شاباً إيرانياً من طريق شرق آسيا بجواز بريطاني. كان الشاب قد تدرب على صنع المتفجرات من مواد محلية وتم تأمين الصواعق له. يدخل إلى السينما حاملاً قناني مرطبات تحوي قنابل أو متفجرات مصنعة، وأثناء عرض الفيلم يفتح القنابل ويرميها في السينما ثم يفجّر نفسه بحزام ناسف. نفذ العملية واستشهد موقعاً عدداً من الإصابات (٢٦ بين قتيل وجريح).

■ **كيف كان وديع حداد يتنقل؟**

ـ كان يلتزم قواعد العمل السري. لم يكن يستخدم جواز سفره. الحقيقة أنه استخدم معظم جوازات العالم.

■ **قيل إنه كان بارعاً في صناعة الجوازات والتأشيرات؟**

ـ بلغ الأمر حد إنشاء أفضل مطبعة في الشرق الأوسط لاستصدار الوثائق والجوازات. كان الهدف كسر الحصار المضروب على الفلسطينيين وقدرتهم على التحرك.

■ **هل كانت في بيروت؟**

ـ لا. في أول عملية ضد طائرة «العال» لم نكن نملك شيئاً، لا وثائق ولا أختام. كل ما تم يومها، هو الحصول على جوازات أجنبية وتبديل الصور بأساليب بدائية. أدرك يومها أن الموضوع يحتاج إلى حل. بدأ يفكر بإنتاج الجوازات، وفي النهاية امتلك التنظيم مصنعاً للجوازات.

■ **عربية أم أجنبية؟**

ـ كل الجوازات.

■ **هل كان المصنع قادراً على إنتاج جواز سويسري مثلاً؟**

ـ أي جواز، طبعاً من ضمن برنامج، والجوازات الأقل شبهة. في علم الأمن يفترض ألاّ تستخدم الجواز المزور في البلد الأصلي. أي ألاّ تستخدم جوازاً إيطالياً صنعته أنت في إيطاليا. وربما عليك ألاّ تستخدمه في بلد مجاور إذا كان معروفاً فيه.

■ **متى بدأ العمل في مصنع الجوازات؟**

ـ بدأ في شكل متدرج. استعنّا بأصحاب خبرة في صناعة الأختام.

■ **هل ساهم «الجيش الأحمر الياباني» في إنشاء مصنع الجوازات؟**

ـ لا، أعطيناهم جوازات. لكن كل الأصدقاء ساهموا في جلب نماذج.

■ **ألم تكن هناك خبرات أوروبية شرقية؟**

ـ لا، نحن أرسلنا عناصر تدربت في أوروبا الغربية. طلاب ذهبوا بحجة التدرب على طباعة الأوفست. كنا كلما اشترينا ماكينة جديدة تتولى الشركة تدريب عنصر على تشغيلها. وكان الشراء يتم بأسماء شركات.

■ **ما الذي أوصل علاقات جورج حبش ووديع حداد إلى أزمة وتجميد عضوية الثاني في «الجبهة الشعبية» ثم فصله؟**

ـ هذا الموضوع شائك. كان وديع عضواً في القيادة التي كانت موجودة في عمان، لكنه كان يعمل في بيروت لاعتقاده أن شروط العمل أفضل خصوصاً لجهة الابتعاد من الأضواء. انطلقت بعض الأصوات تقول إن وديع يعمل على هواه وأن على القيادة ضبطه ونقل مركز عمله إلى عمان. رفض وديع حرصاً على نجاح العمل. مسؤول الأمن يومها كان صديقاً للاثنين (حبش وحداد) لكنه لعب على الاثنين. كان يشجع حبش على مطالبة حداد بالذهاب إلى عمان ويشجع حداد على عدم الامتثال والبقاء في بيروت. عندما حصلت عملية «مطار الثورة» في عمان ظهر فريق في الجبهة يقول إن العملية ساهمت في تفجير الموقف وضرب المقاومة، وقال هؤلاء إن اليمين يعمل بلا أفق. بعد الانتقال إلى بيروت حاول اليسار

تحميل اليمين مسؤولية فشل التجربة في عمان والعكس صحيح.

في الجانب الثاني خرجنا من عمان منهكين. لا سلاح ولا أموال. المثقفون قادرون باستمرار على إيجاد تبرير. فمن يرغب في الابتعاد يقول أنا لا أستطيع الاستمرار في ظل قيادة يمينية مترهلة فردية وغير منضبطة. كان الوضع المالي أيضاً سيئاً للغاية. ظهر اتجاه يقول إن هذه العمليات (خطف الطائرات) استنفدت أغراضها وبالتالي صارت ممنوعة. الوقت غير ملائم شيء، والعمل ممنوع شيء آخر. هنا يجب التذكير بأن كل عملية كان يرافقها بيان سياسي يشرح لماذا العملية وما هي أهدافها. لم نكن هواة خطف طائرات وكان وديع يتمتع بوعي سياسي عال.

أول قرار اتخذوه هو وقف خطف الطائرات، وكان ذلك في ١٩٧٢. نزعتان ظهرتا لدى حبش في تلك الفترة. الأولى رغبته في أن يثبت أنه يساري وبالتالي فإن هذا العمل (خطف الطائرات) يتعارض مع الفكر اليساري ويعارضه السوفيات. الثانية أن صورة وديع الإعلامية راحت تكبر وهذا يثير إشكالاً إنسانياً، فمن هو الأول إذاً؟ أقول هذا مؤكّداً أن وديع لم يتطلع في أي يوم إلى أن يكون الرجل الأول. نحن قلنا إنه لا يجوز اتخاذ القرار على هذا النحو. ليس ضرورياً أن نخطف طائرات، لكن ماذا لو اضطررنا إلى خطوة من هذا النوع. وقلنا إن من الأفضل أن يكون هناك برنامج يعرض على بعض القيادة وليس على كل القيادة التي صار فيها فريق يجاهر بعدائه لنا ولا نثق به. رفضنا القرار.

يومها حاولوا الاستعاضة عن الموضوع بالحديث عن ضرورة العودة إلى الأردن. ألّفوا لجنة طوارئ لضرب أهداف تابعة للسلطة الأردنية

وأعطوها مهلة ثلاثة أشهر. طبعاً لم يكن الكلام منطقياً فعمل من هذا النوع قد يحتاج إلى ثلاثة أشهر من الاستطلاع. ضمت اللجنة وديع والمسؤول العسكري للجبهة ونائب الأمين العام أبو علي مصطفى ومسؤول الأردن. أمضوا ثلاثة أشهر ولم ينفذوا أي عملية وانحلّت اللجنة تلقائياً. نفذنا عمليات في الأردن لكن ليس ضمن تلك المهلة.

في آذار/مارس ١٩٧٢ عقد المؤتمر الثاني للجبهة. كان هناك خط يساري يدعو إلى إنهاء هذا العمل ووضع حد لوديع حداد. بدا حبش ميالاً إلى حد ما إلى الخط اليساري الذي أطلقنا عليه «نادي الـ٦٢» إذ كانوا ٦٢ شخصاً تبين أن حبش التقاهم سراً واتفق معهم على أمور معينة. قبل ذلك كانت الأزمة المالية حادة جداً وتهدد العمل. لهذا السبب قررنا عملية «اللوفتهانزا» وحصلنا على خمسة ملايين دولار.

عندما جاء المبلغ لم تعد هناك مشكلة حادة. أقررنا في المؤتمر نظاماً داخلياً يقول إن المؤتمر ينتخب اللجنة المركزية. فور إقرار النظام الداخلي طلب حبش إعطاءه صلاحية تشكيل اللجنة المركزية. بدا الأمر غريباً فهل نخرق النظام الداخلي بعيد إقراره. اعترضنا. أصر حبش على تفويضه تعيين أعضاء اللجنة المركزية. علقت جلسات المؤتمر وهدد حبش بترك الجبهة. وافقنا في النهاية لكن حبش دخل المستشفى. اللجنة المركزية غير مشكلة. ذهبنا إلى المستشفى وقلنا له شكّل اللجنة كما تريد فشكّلها وانتُخب مكتب سياسي أصبح فيه وديع والفريق المتعاطف معه أقلية. قرر المكتب السياسي أن وديع حداد لم يعد مسؤولاً عن «المجال الخارجي» كما قرر توحيد العمل العسكري في لجنة واحدة. هذا حدث في ١٩٧٤. بدأت بوادر

الحرب الأهلية في لبنان. كان رأينا أنه لا يجوز أن تكون كل «الجبهة الشعبية» في لبنان وأن ندخل في معارك مع الجيش أو غيره. دعونا إلى توزيع الجبهة في بلدان عربية عدة وقدمنا مذكرة. لم يؤخذ بالمذكرة. من خلال الخطة التي اقترحها غادر وديع لبنان وصار يقيم فيه لفترات بسيطة بينما طالت إقامته في عدن وبغداد. تحولت اللجنة حبراً على ورق.

صار وديع يحضر الاجتماعات المهمة فقط فيما يطالب الآخرون بأن يقيم في لبنان. قطعت القيادة موازنة «المجال الخارجي» وتصاعد الكلام عن عدم انضباطية وديع. كان هناك مبلغ احتياطي لدى وديع فجاء شخص يشجعه على استخدامه. اكتشفوا أن المبلغ صرف على العمل، فاتخذت القيادة قراراً بتجميد عضوية وديع حداد و٣١ شخصاً آخرين. هذا في ١٩٧٤، أما في ١٩٧٥ فقد تحول التجميد إلى قرار بالفصل.

■ **هل انقطعت العلاقة الشخصية بين حبش وحداد بعد تجميد عضوية الأخير؟**

ـ حصل لقاءان في بيروت وآخران في بغداد. لم يتم التوصل إلى نتائج. لم تحصل حساسية بالمعنى العدائي لكن لم يكن هناك اتفاق.

■ **ماذا بعد الفصل؟**

ـ صرنا عملياً خارج إطار «الجبهة الشعبية» لكن من دون أن نعلن انشقاقاً. بدأنا في هذه المرحلة الاعتماد على عناصر نستقطبها نحن فيما كنا في السابق نعتمد على عناصر من الجبهة. لم نكن تنظيماً جماهيرياً.

■ **هذا يعني أن حبش لم يكن على علم مسبق بالعمليات التي نفذت بعد ١٩٧٤؟**

ـ نعم.

■ **متى التقى حبش وحداد للمرة الأخيرة؟**

ـ المرة الأخيرة كانت في ١٩٧٦ في فندق بغداد. حصل نقاش من دون اتفاق رافقه عتاب انتهى بافتراق. وفي ١٩٧٨ شارك حبش في جنازة وديع.

■ **هل كان تردّي هذه العلاقة قاسياً على وديع حداد؟**

ـ جداً. خلال الجنازة أشاد حبش بمواصفات وديع، وحاول بعدها استمالة مؤيديه للعودة إلى الجبهة فطلبوا مناقشة الأمر وألاّ توحي العودة في حال حصولها بأن وديع كان المشكلة. وشكلت لجنة للحوار ضمت أربعة أشخاص. عقدت لقاءات في بيروت والكويت وتبين أن مآخذ وديع كانت محقة. خلال الحوار كانت هناك عناصر من المكتب السياسي لا مصلحة لها في العودة فبدأت بالتخريب ولم ينجح الحوار. وتجددت المحاولة بعد الغزو الإسرائيلي في ١٩٨٢.

خلال الاجتياح تعاونّا مع المسؤول العسكري للجبهة وأمّنا له مقراً. وكانت لدينا قذائف «آر بي جي» حديثة فأعطيناه إياها وشاركنا كمقاتلين. المسؤول العسكري أشاد بموقف مجموعة «المجال الخارجي» خلال الغزو. لم تنجح المحاولة الجديدة أيضاً فقد تغير الوضع برمته.

■ ماذا حدث لمجموعة «المجال الخارجي» بعد غياب وديع؟

ـ استمرت في برنامجها وعلاقاتها.

■ إلى أي سنة؟

ـ إلى ١٩٩٠، وتوقفت في ١٩٩١.

■ لماذا توقف نشاط المجموعة؟

ـ تغيرت الظروف بعد «حرب الخليج الثانية». لم تعد لدينا القدرة على التحرك لوجستياً ومالياً. حوصرنا مالياً منذ ١٩٨٤. كنا نعتمد على مساعدات بعض الدول مثل العراق.

■ ألم تكن لكم علاقة بليبيا؟

ـ علاقة محدودة.

■ ألم يحصل وديع على دعم من ليبيا؟

ـ حصل على دعم قليل جداً.

■ ألم يكن يعرف القذافي؟

ـ التقاه مرتين على ما أذكر. نظرياً حصل تفاهم لكن لم يترجم.

■ ألم تموّل ليبيا «المجال الخارجي»؟

ـ في شكل محدود جداً. العراق هو الدولة الوحيدة التي قدمت أموالاً. اليمن الجنوبي كان يقدم تسهيلات. الجزائر قدمت مبلغاً بسيطاً.

■ **هل التقى وديع حداد مع صدام حسين؟**

ـ التقاه بصفته قيادياً في الجبهة الشعبية لا مسؤولاً عن «المجال الخارجي»، والأمر نفسه بالنسبة إلى الرئيس (الراحل) أحمد حسن البكر.

■ **هل كانت علاقاتكم قوية مع المسؤولين في عدن؟**

ـ كانت العلاقات قوية جداً مع سالمين وعلي ناصر محمد. بدأت في أيام «حركة القوميين العرب».

■ **هل كانت لدى وديع قدرة على التنكر وهل كان يغيّر ملامحه؟**

ـ لا لم يكن يغير ملامحه. كان يتخذ إجراءات أمنية في غاية البساطة. وكان يسافر بجواز سفر آخر.

■ **هل كان لديه اسم حركي؟**

ـ لا. الشباب كانوا ينادونه «أبو هاني» ومنهم من يصفه بـ «الخال».

■ **هل كان يرتدي نظارات؟**

ـ كانت له ذقن لفترة ونظارتاه عاديتان.

■ **ومقر إقامته غير معروف؟**

ـ طبعاً.

■ **ما قصة الفيلا التي وضعت في تصرفه في بيروت؟**

ـ هذا منزل قديم قرب المدرسة الإيطالية في قريطم يضم حديقة وله سور. صاحبه صديق لوديع قال له استخدمه في ١٩٧١ بينما كان الشباب يغادرون الأردن. كان المنزل يتسع لاستيعاب عدد كبير لكن وديع لم يُقم هناك.

■ **من كان يعرف مثلاً أين يوجد وديع في لحظة معينة؟**

ـ اثنان أو ثلاثة من الموثوقين وهؤلاء كانوا يوصلون إليه من يرغب في رؤيته.

■ **هل كان يحب الأسلحة؟**

ـ لم يكن يتعامل بالأسلحة لكن كان لديه نوع من الهوس لجهة تطوير وسائل العمل خصوصاً المتفجرات التي كان يراها السلاح الرئيس. كان يفكر كيف يمكن أن نصنع متفجرات غير تقليدية. وحصل ذلك.

■ **هل التقى وديع مع «أبو نضال»؟**

ـ نعم في بغداد. كانت العلاقات بينهما رسمية. زاره وديع لتفقده بعدما خضع لجراحة في القلب.

■ **هل طرح «أبو نضال» التعاون؟**

ـ نعم، لكن لم يكن هناك مجال، فبرنامجه مختلف جداً.

■ **هل حاول اجتذاب أفراد بعد غياب وديع؟**

ـ حاول توثيق العلاقة لكن لم يحدث شيء.

■ كيف كانت علاقته مع ياسر عرفات؟

ـ عادية جداً. حصل لقاء عملي. اقترح أبو عمار على وديع إنشاء معمل جوازات ووسائل تمويه وأبدى استعداده لرصد المبالغ اللازمة. لم يتجاوب وديع لأن طريقة «فتح» في العمل كانت مختلفة.

■ كيف كان يبدأ نهاره؟

ـ كان عمله متواصلاً. ينام قليلاً جداً. كان لديه جدول لقاءات مع حركات التحرير أو مع من سيكلفهم أو مع خبراء لتطوير الأسلحة والمتفجرات وصناعة الوثائق ومتابعة المسائل العالقة.

■ هل كان يستخدم الهاتف؟

ـ أبداً.

■ ألم يكن باستطاعتكم الاتصال به؟

ـ أبداً. وكان يفترض ألاّ نضع هاتفاً في بيوتنا وألاّ نستخدمه إذا وضعناه.

■ ما حجم الأموال التي تركها؟

ـ توفي في آذار/مارس ١٩٧٨. كنا نتقاضى مساعدة من العراق موزعة على أربعة أقساط. عندما توفي كانت نهاية القسط الأول. كان العراق يدفع مليون دولار سنوياً، جزء منه بالعراقي. ما تركه للتنظيم مبلغ كثير التواضع.

■ هل كان يخشى أن يغتاله جهاز عربي؟

ـ لم يكن يخاف، لكنه لم يكن يطمئن أو يثق بالأجهزة.

■ **مع من أقام علاقات؟**

ـ مع الجزائر والعراق واليمن الجنوبي. أجهزة هذه الدول كانت تعرف أماكن إقامته فيها.

■ **مع من في الجزائر؟**

ـ بدأت مع هواري بومدين ثم مع الأمن الوطني. التقى بومدين في ١٩٧٦، أي بعد عملية «أوبك».

■ **هل ترك وديع وصية؟**

ـ لم يترك شيئاً من هذا النوع.

■ **ألم ينجح أحد في اختراق هذه المجموعة؟**

ـ حاولوا مرة ولم ينجحوا.

■ **من حاول؟**

ـ السفارة الأميركية في بيروت.

■ **ألم تكن لكم علاقة باغتيال السفير الأميركي فرنسيس ميلوي؟**

ـ نحن لم تنفذ عمليات في لبنان على الإطلاق. لا علاقة لوديع وفريقه باغتيال ميلوي.

■ **قيل إنكم أرسلتم في بداية السبعينيات أشخاصاً يحملون متفجرات وبغرض تفجير طائرة «العال» الإسرائيلية خلال تحليقها، وأن إسرائيل اعتقلت اثنين**

منهم؟

ـ لا. أرسلناهم لتفجير فنادق في تل أبيب، لكنهم اعتقلوا قبل التنفيذ. في إحدى العمليات كان المكلف رجلاً أعمى ترافقه امرأة. وفي العملية الثانية اعتقل المكلفان. كل العناصر المكلفة كانت أوروبية. أعتقد أن ذلك حصل في ١٩٧٢.

■ من أين كانت تأتي المتفجرات؟

ـ من أوروبا.

■ هل كان لدى وديع برامج جديدة قبل وفاته؟

ـ لم يتوقف عقل وديع لحظة واحدة عن التفكير في مستقبل العمل الثوري ووضع الخطط والبرامج الجديدة.

كما قلنا سابقاً كان له رأي معمق في التجربة الراهنة من مسيرة الثورة، كان يراها مرحلة لا بد من أن تتطور من خلال المراجعة المستمرة سواء على المستوى التنظيمي أو السياسي أو الفكري أو الأسلوب النضالي، وإلا فإن المرحلة ستصل إلى سقف تقف عنده ولا تستطيع تجاوزه إن لم تهيئ لمرحلة جديدة من الصراع، كان يؤمن بأن حرب التحرير طويلة وشاقة ولا بد من أن نطور في برامجنا التنظيمية والسياسية والقتالية تبعاً لتصاعد عملية الصراع.

كان يرى في الظاهرة العلنية التي أصبحت السمة العامة لعمل الثورة إحدى نقاط ضعفها، كما كان يرى في العمل القطري تنظيمياً وسياسياً ونضالياً، نقطة ضعف أخرى، كان يرى في عدم الاستقلالية عن الأنظمة الرسمية، تمويلاً وتسليحاً، أحد مقاتل

الثورة، طبعاً لا يعني ذلك التصادم مع الأنظمة.

كان يحذر من المعارك الجانبية، وكثيراً ما كان يرفع الصوت محذراً من خطورة التورط في الحرب اللبنانية والانجرار إلى وحولها.

منذ خروج المقاومة من الأردن والتجمع في لبنان، كان على يقين من أن العدو يعدّ المخططات للضربة القاضية في لبنان.

كان يطرح التساؤلات والمخاوف وكان يحاول من خلال النقاش المستمر أن يجد الأجوبة. كان يرى أن الجواب عن هذه التساؤلات مهما كان صحيحاً نظرياً يبقى قاصراً إن لم يوضع في برامج ومخططات. لهذا كان دائم الانشداد إلى وضع البرامج القتالية ضد العدو الرئيس داخل الوطن المحتل وخارجه «وراء العدو في كل مكان». برامج، استقطاب عناصر، تأهيل العناصر، ابتكار أساليب جديدة، توسيع ساحة القتال، حشد كل الطاقات، وضع معادلة صحيحة بين التركيز على العمل داخل الوطن المحتل ودعمه ورفده من الخارج.

المعركة هدفها تحرير كل فلسطين ولا تناقض بين العمل في الداخل والعمل من الخارج.

هذا كله كان من مهمات برنامج العمل اليومي للدكتور وديع، لكن المشروع الكبير الذي سعى إليه وبذل جهداً في سبيله وكان يشكل الرد على سلبيات المرحلة التي ذكرنا ويفتح آفاقاً جديدة للعمل هو أهمية بناء حركة ثورية عربية يكون هو جناحها العسكري. وفي سبيل ذلك وضع مخططاً لدعوة أكبر عدد من المناضلين العرب إلى مؤتمر أو تجمع ما يخرج عنه بيان سياسي بمثابة

«المانيفستو العربي» مدركاً أن ذلك يحتاج إلى جهد تنظيمي وسياسي وفكري. وإدراكاً منه لأهمية الفكر تم إقرار إنشاء دار نشر تعنى بنشر الدراسات والأبحاث الجادة تنير وتوضح الطريق أمام الجماهير، ورصد مبلغاً مهماً لتنفيذ هذا المشروع، لكن الأجل عاجله قبل أن ترى أفكاره النور وظلت الإمكانات في عهدة «من وثق به».

■ هل مر وديع في مطارات باريس مثلاً؟

- نعم كان يمر خلال العمل، مر في طريقه إلى الجزائر، طبعاً باسم مستعار.

■ ما هو أكثر جواز سفر استخدمه؟

- كان معه باسبورات عراقية ويمنية جنوبية وجزائرية.

■ ماذا كان اسمه في جواز السفر؟

- كان في الغالب يستخدم باسبورات من صنعه.

■ ألم يتعاون مع الأجهزة السورية؟

- لم يكن راغباً في التعاون معها لكنه لم يكن أيضاً مع الاشتباك مع السوريين في لبنان بل كان ضده ودعا إلى تجنب الصدام.

■ أين حاول وديع حداد اغتيال هنري كيسنجر؟

- في بلد عربي.

■ في دمشق؟

- في دمشق والقاهرة.

■ **ألم تصل المحاولة إلى مرحلة التنفيذ؟**

ـ بلغت مرحلة استكمال الإعداد، لكن التنفيذ لم يحصل. كان ذلك خلال تحركات كيسنجر لترتيب فض الاشتباك.

■ **يقول كارلوس إن «المجال الخارجي» حاول اغتيال الملك حسين من طريق سيارة فخمة كانت ستوضع في أحد السباقات في تصرف السياسي اللبناني الراحل داني شمعون لتجذب صديقه العاهل الأردني الذي ما إن يصعد إليها ليجربها حتى يتم تفجيرها بـ «الريموت كونترول». ويضيف أن داني راودته الشكوك بعدما نُصح بالابتعاد عن السيارة في حال صعود الملك إليها، فأفشى السر؟**

ـ حصلت هذه الأمور في المناخات القاسية التي سادت بعد أيلول/ سبتمبر ١٩٧٠.



الفصل السابع

محاولة خطف حبش من سجنه السوري

ولد وديع حداد في ٢١ تموز/يوليو ١٩٢٨ في صفد. كان أصغر أولاد الياس الرشيد حداد وهم ثمانية توزعوا مناصفة على الجنسين. في ١٩٣٥ انتقلت العائلة إلى حيفا لأن المدرسة التي كان الأب يدرّس فيها ويعمل نائباً لمديرها انتقلت إلى تلك المدينة الساحلية. هكذا بدأ وديع حياته في مدرسة إرسالية اسكتلندية مديرها العام قسيس بروتستانتي اسكتلندي من المبشرين المستعربين. ضمت المدرسة طلاباً مسيحيين ومسلمين ويهوداً لكنها علمت من المسلمين أكثر من المسيحيين بسبب التركيبة الديموغرافية.

كان وديع حداد متفوقاً في المدرسة إلى حد أنه أعفي من إحدى سنوات الدراسة ونقل مباشرة إلى صف أعلى. أنهى دراسته في حيفا وكان في السادسة عشرة. تقدم بطلب للالتحاق بالجامعة

الأميركية في بيروت لكنه رفض بسبب صغر سنه. لذلك قرر والده أن يرسله للتدرب في مكتب محام صديق للعائلة في حيفا اسمه صلاح شما. في ذلك المكتب تعرف الشاب الصغير على قضايا كثيرة، بينها النزاع على الملكيات واستيلاء الوكالة اليهودية على أملاك عربية وإخلاؤها من سكانها.

كان الياس الرشيد حداد يعمل مدرساً للغة العربية والرياضيات ويعمل أيضاً في قطاع البناء في الوقت نفسه للنهوض بعائلته الكبيرة. كان همه الأول تمكين أولاده من تحصيل العلم للحصول لاحقاً على مهن منتجة ومحترمة.

المنزل الذي تربّى فيه وديع كان مشبعاً بالقيم البروتستانتية والإنسانية: تقديس العمل وحب النشاط والثقافة والرياضة والتشديد على الإنجاز. قيم نهضوية، قيم الجيل الذي عاش عصر النهضة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وبينها تأكيد مسألة التعليم الجيد.

كان الأولاد يتحلقون حول الأب خلال الغداء. بعد الصلاة كان يردد أربعة أو خمسة أبيات من الشعر العربي أمام أولاده الثمانية. وكان يطلب منهم أن يستذكروا هذه القصيدة أو تلك. وقد تميز بينهم قيصر ووديع، فقد حفظ الاثنان كمية هائلة من الشعر العربي. القيمة الثانية هي الاختلاط الفعلي بالمحيط. لم تكن لديهم أي مشكلة، ولم تكن لديهم العقلية الأقلوية كما تسمى اليوم. لم يشعروا أنهم ينتمون إلى أقلية. كان هاني حداد صغيراً حين قال له والده: «إذا سألك رفاقك هل أنت مسلم أم مسيحي فعليك أن تجيب: أنا قومي عربي». لم يكن هناك موقف سلبي من الدين لكن لم يكن الدين هو المدخل إلى العلاقات أو إلى أي نوع من التصنيف. وفي مناخ البيت الذي تربى فيه وديع كان هناك تشديد

على العقل والعقلانية. تربية تطالب المرء بألاّ يسرف في إظهار عواطفه أو يستسلم لها. تربية تطالب بتغليب العقلانية والتفكير وتشدد على المثابرة والجهد والتعب. وفي موازاة ذلك كانت هناك قناعة «العقل السليم في الجسم السليم». ويقول هاني حداد: «أذكر كان والدي يأخذنا إلى الجبل ويتسلق أمامنا. كان معتاداً على الحياة الجبلية. وصفد تقع على أعلى جبل في فلسطين جبل الجرمق. الهواء النقي والتلج وأساليب العيش الجبلية. قال لي ذات مرة إنه شعر بشيء من الغربة حين انتقلت العائلة من صفد إلى حيفا. كان يسبح جيداً لكن الجبل كان الإطار الطبيعي الأقرب إليه».

ويضيف: «كان والدي من المجلين في الرياضة. حاز ميداليات في العدْو لمسافة مئة متر وفي القفز الطويل وفي الركض الطويل. كان يحب أيضاً رمي الرمح والكرة».

كان وديع حائراً في شأن مستقبله. هل يسلك طريق المحاماة ليدافع عن المظلومين أم يختار الطب الذي يعالج مشكلات أكثر مباشرة وإلحاحاً لدى الناس؟ وحين عاد إلى البيت ذات يوم مختاراً الطب، رداً على سؤال في مسابقة مدرسية، ارتاح الوالد الذي لم يتوقع أن ينهمك نجله الطبيب لاحقاً بصحة وطنه المريض لا بصحة المرضى.

في ١٩٤٦ غادر وديع حداد إلى الجامعة الأميركية في بيروت. تحقق حلم الوالد لكن القدر ضرب لوديع موعداً آخر. فبعد عامين وقع الزلزال. ذهبت صفد وذهبت فلسطين. سارع وديع إلى مخيمات اللاجئين متطوعاً للمساعدة. رأى مأساة الاقتلاع والتشرد والذل، ولن تفارقه تلك الصور. عائلة الياس الحداد نزحت إلى بعقلين في الشوف. ولأن والدته لبنانية من آل الريس في عبيه،

تمكن من الحصول للعائلة على الجنسية اللبنانية.

نسأل رفيقاً عايش وديع على مدى ثلاثة عقود أن يختصره فيقول:

«وديع آخر الثوار الرومانسيين. كانت أحلامه كبيرة وصعبة لكنها ليست مستحيلة، في نظره، في عالم تسوده القوة الغاشمة وتتحكم في مصائر الناس شريعة الغاب والنهب والاغتصاب.

كان يحلم بتحرير الأرض العربية والإنسان العربي. كان يعمل ليل نهار لرفع الظلم عن المضطهدين وتحقيق العدالة والكرامة للجميع. كان يحلم بدولة عربية قادرة حرة سيدة عزيزة في هذا الجزء الحساس من العالم تسهم في بناء الإنسان الحر الكريم بما تملك من تراث إنساني ومن قدرات مادية وبشرية وإنسانية وما توفره لها الجغرافيا من مكان ومكانة في هذا العالم.

لقد نبتت جذوره في مدينة صفد ونما في فلسطين وامتدت رؤاه إلى كل أرجاء الوطن العربي الكبير.

لقد عاش مؤامرة اغتصاب فلسطين سنة بسنة. وشاهد الأرض الفلسطينية تنهب شبراً شبراً وتطلع إلى العرب من حوله فرأى الهيمنة الاستعمارية والتبعية والجهل والفقر تنهش جسد الأمة وتاريخها ومستقبلها وأرضها ومقدراتها.

لم يقف متفرجاً ولا حائراً، بخاصة عندما رأى منظر الجموع النازحة من أبناء شعبه في شعاب الأرض قاطبة.

كأني به كان لسان حاله يقول لتلك الجموع الهائمة على وجهها إلى أين تذهبون؟ ابقوا في أرضكم! لا ترحلوا عنها! عودوا إليها.

مكانكم في أرضكم ومهما قاسيتم فإن عذابكم ومعاناتكم في أرضكم أقل بكثير من معاناتكم في الشتات.

كأني به كان يقول للذين بقوا مزروعين في أرضهم: اصمدوا إنا قادمون، وللذين هاجروا المليون سبب وسبب هيا تجمعوا لنعود. يجب أن نعود. وبدأت رحلة العودة عند وديع إلى فلسطين من أول لحظة بدأت فيها رحلة المنافي خارج فلسطين».

من أين جاء وديع حداد وسلك الطريق التي سلكها؟ هنا لا بد من العودة إلى نشوء حركة القوميين العرب التي تأسست على يد مجموعة من طلاب الجامعة الأميركية في بيروت. كان ذلك في ظل نكبة فلسطين. وكان عدد كبير منهم من الفلسطينيين، بينهم جورج حبش ووديع حداد وآخرون. كان هناك تحليل يقول إن نكبة فلسطين حدثت بسبب التجزئة العربية وبسبب سيطرة الاستعمار على الأوضاع العربية. وإن الرد على الهزيمة يكون بتوفير القوة العربية من خلال الوحدة ومن خلال تحرر العرب من الاستعمار. وإذا تم ذلك يمكن تحرير فلسطين. من هنا كان شعار الحركة: «الوحدة والتحرر والثأر».

كان المحرك الأساس لتأسيس «حركة القوميين العرب»، إضافة إلى المناخ الفكري الذي كان قائماً في الجامعة الأميركية وندوات قسطنطين زريق وكتابات ساطع الحصري والأفكار القومية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، نكبة فلسطين. شعر وديع حداد، كما شعر جورج حبش، بضياع الوطن، وضياع الأرض والطمأنينة والرزق. هذا الوضع طرح السؤال: «كيف نرد على الهزيمة؟».

في تلك الفترة كانت هناك مجموعات تعمل، منها «كتائب الفداء العربي» وجمعيات صغيرة. حصل لقاء بين هذه المجموعات

وانبثقت منه لاحقاً «حركة القوميين العرب». «قال لي وديع إنه في تلك الفترة كان يخصص ٩٠ في المئة من وقته للعمل على تعزيز نواة العمل الثوري هذه. وكان يكتفي حين يقترب موعد الامتحانات بعزل نفسه لفترة تضمن له معدل النجاح الضروري للبقاء في كلية الطب».

في الجامعة الأميركية كان حبش متفوقاً في الدراسة ومتقدماً بسنة على حداد. التقى الاثنان ومعهما شبان من العراق والأردن وسورية والكويت ولبنان. بعدها انطلقوا إلى خارج الجامعة ومنها إلى المخيمات. وهذه النقطة الأخيرة تفسر كلمة الثأر. فقد كان الغرض منها استقطاب جماهير المخيمات الفلسطينية. القاعدة الأساسية للحركة كانت أبناء المخيمات ثم أبناء القرى الفقيرة. شارك وديع في النضالات الطالبية وجرح خلال إحدى التظاهرات.

تخرج حبش وبعده حداد وعدد من زملائهما. قرروا أن يرجع كل واحد إلى بلده ويؤسس نواة أو فرعاً للتنظيم فيه. انتقل جورج إلى عمان وتبعه وديع بعد شهور وفتحا عيادة شعبية. كانا يقومان بتطبيب الفقراء بأسعار رمزية ومن دون مقابل للمعدم. وتعاقدا مع صيدلية كانت تعطي بعض المرضى الأدوية وتتقاضى الثمن من العيادة. ووصل الأمر إلى حد أنهما عجزا عن دفع إيجار العيادة. في الوقت نفسه أقاما علاقات مع المخيمات عبر الأندية الرياضية والثقافية وعبر التطبيب المجاني.

في ١٩٥٧ وبسبب سياسة الأحلاف، تصاعد التوتر السياسي في الأردن واستهدفت عمليات تفجير مراكز أميركية. اختفى جورج واعتقل وديع في سجن الجفر.

ويروي أحد رفاق وديع: «كان سجن الجفر في منطقة صحراوية قاسية وكانت شروط العيش فيه قاسية أيضاً. استطاع وديع أن يتحدث إلى الحراس ويحرك النوازع الإنسانية لديهم. قال لهم إن ثمة مرضى في المناطق القريبة وأنا طبيب وعلى استعداد لمعالجتهم. أذهب تحت الحراسة وأعود. وبدأ المعالجة وكان يعود إلى السجن. اطمأن الحراس إليه وراح يقيم علاقات مع الناس. جاء من رجل بإزميل ومن آخر بفأس وكان يتذرع بالاهتمام بحديقة السجن. جمع أدوات حفر صغيرة بدائية. في النهاية صارح السجناء برغبته في تنفيذ عملية هروب. وقال لهم إن النجاح مشروط بتضامن الجميع. كان معه أفراد من عشيرة العبيدات وعدد من الضباط الوطنيين وبينهم غازي عربيات، الذي تولى إدارة الاستخبارات العسكرية في السبعينيات وكان مولعاً بوديع، إضافة إلى أبو علي مصطفى. قرر وديع ورفاقه في السجن حفر نفق. كان أول ما واجهوه هو ماذا سيفعلون بالتراب الناتج من الحفر. طلعوا بفكرة الزراعة والحدائق وراحوا يوزعون التراب سراً عليها وكانوا ينقلونه أحياناً بجواربهم. حين تتجمع كومة كان أحد السجناء يقول للسجانين إن الرياح تدفع التراب إلى السجن ونحتاج إلى عربة لإخراجه. وفي النهاية وصل النفق إلى خارج حدود السجن ومن دون أن يتنبه الحراس.

قبل الموعد المحدد للهروب بأيام قليلة شاءت الصدفة أن أحد الحراس في الخارج سمع صوت ضربات متلاحقة. ظن أن الأصوات مصدرها الجن. ذهب إلى رفاقه فجاؤوا. سمعوا الأصوات لكنهم لم يعرفوا المصدر. فتشوا وعثروا في النهاية على النفق».

ويضيف المتحدث: «كنت عضواً في «حركة القوميين العرب» التي

كانت قد بدأت بتأمين تدريب عسكري لقواعدها في دمشق والقاهرة. كانت الدورات مختلطة من معظم الأقاليم العربية: اليمن، الأردن، البحرين، العراق وغيرها. كنت في دمشق في مهمة من هذا النوع. كان هناك مركز لجريدة «الرأي» التي كانت تصدرها الحركة. وكان وديع يعرف أنني أتيت في مهمة. تصوّر أن حرصه على نجاح العمل جعله يطلب مني ألاّ أتحدث عن مهمتي لرفيق وصل من بيروت ولم يكن وديع يدري أن هذا الرفيق هو الذي أوفدني. كان ذلك في ١٩٦٠. في تلك الفترة لم يكن فرع فلسطين موجوداً في حركة القوميين العرب. كان التقسيم جغرافياً. فإقليم لبنان مثلاً يعني كل من هو موجود في لبنان من الحركة سواء كان عراقياً أم أردنياً أم فلسطينياً.

بعد أقل من سنة من لقائنا حصل الانفصال بين سورية ومصر. انتقل وديع إلى بيروت وقامت بيننا علاقة وثيقة».

▪ ما الذي استوقفك في شخصية وديع حداد؟

ـ كان هناك انطباع بأن وديع حداد تخلى عن كل شيء خاص من أجل قضيته. لم تكن لديه حياة خاصة. شاب تخرج في كلية الطب وترك أهله وذهب لتأسيس عيادة في الأردن لم يلتفت خلال عمله فيها إلى أي كسب مادي. الأمر الثاني أن وديع لم يكن يتردد في تنفيذ أي مهمة.

▪ هل كان وديع متحدثاً لبقاً؟

ـ كان يتحدث بعفوية وبساطة تمكنه من الدخول إلى قلب محاوره. إذا التقاه شخص مرة يشعر وكأنه يعرفه منذ وقت طويل. كانت شخصيته مزيجاً من البراءة والطيبة والصدق والوفاء والكرم

وقبلها نكران الذات.

كان المؤتمر أعلى سلطة في حركة القوميين العرب وكان ينتخب أمانة عامة لمتابعة تنفيذ المهمات التي حددها. وتتبع الأمانة العامة لجان للفكر والتثقيف والمال والإدارة ولجنة نضالية. لجنة الإدارة كانت عصب الحركة لأنها مسؤولة عن الاتصال وتأمين النشرات وطبعها وتوزيعها ونقل العناصر ومتابعة قضايا المعتقلين في السجون العربية، إضافة إلى الاشتراكات والتبرعات والموارد المالية. كانت هذه اللجنة في عهدة وديع وكان نجاحه فيها من العناصر الأساسية في استمرار الحركة. لجنة الأمانة العامة كانت تضم جورج حبش ومحسن إبراهيم وهاني الهندي وآخرين.

■ **هل كانت العلاقة الأقرب هي ما بين وديع وجورج؟**

ـ نعم كانت قوية جداً. في بداية الخمسينيات كان العمل يتم تحت تسميات منها «هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل» و«القوميون العرب» و«الشباب القومي العربي». أعتقد أن اسم «حركة القوميين العرب» ظهر في ١٩٥٨. يومها أجروا استفتاء حول التسمية، هل تكون «حزب القوميين العرب» أم «حركة القوميين العرب»، فأيدت الغالبية الاسم الثاني.

هنا أريد أن أشير إلى مسألة. بين البدايات الأولى والمراحل اللاحقة كان يغادر الحركة عدد من المؤسسين أو من الجيلين الثاني والثالث لأسباب بنيوية. المؤسسون هم من أبناء الطبقة البورجوازية. كلما زادت وتيرة نضال الحركة تعارضت المصالح وكان هناك من يغادر. في كل تجربة ثورية أو حزبية يفترض أن تحصل مراجعة بين فترة وأخرى. المطلوب اليوم أكثر من مراجعة تجربة «حركة القوميين

العرب»، المطلوب محاكمة قيادة الحركة، إذ كيف تنتهي حركة كانت منتشرة في كل الوطن العربي تقريباً ببيان؟ انتهت الحركة رسمياً في ١٩٦٧ لكن بدايات النهاية كانت في ١٩٦٣.

■ **متى صار وديع حداد معنياً بالعمل العسكري؟**

ـ هنا أقول، ومن دون أي محاولة للمزايدة على أحد، إن الحركة بدأت إعداد شبابها عسكرياً منذ أواخر الخمسينيات. كان الفلسطينيون في الأقاليم جزءاً من كل إقليم وكان الرهان على الوحدة العربية. وحين حصل الانفصال بين سورية ومصر شعرنا نحن الفلسطينيين بخيبة أمل. ثم جاء عامل انتصار الثورة الجزائرية. شعب كافح ودعمه العرب وانتصر. كنا نرى أن كل انتصار عربي يقربنا من فلسطين. كنا نقيم أسبوعاً لنصرة الجزائر وكان شباب الحركة يوفرون من مصروفهم الشخصي للتبرع به. الانفصال وانتصار الثورة الجزائرية حرّكا الشباب الفلسطيني الذي رأى أن عليه أن يأخذ المبادرة.

موضوع آخر كان يتفاعل. بدأ طرح موضوع الفكر الاشتراكي الذي لم تكن الحركة حتى أوائل الستينيات تعطيه اهتماماً. العلاقة مع عبد الناصر ساهمت في طرح هذا الموضوع، إضافة إلى التجربة الحزبية وقراءات الأعضاء. كانت ردود الفعل متفاوتة بين مؤيد ومتحفظ ومحايد. في الستينيات أيضاً غادر بعض القياديين الحركة. دعاة الفكر الاشتراكي كانوا محسن إبراهيم ونايف حواتمة بين آخرين. يمكن القول إنها تمحورت حول جماعة مجلة «الحرية» أي المجلة الأسبوعية للحركة في بيروت. ولعل أخطر ما طرحوه يومها هو السماح بوجود تيارات داخل الحركة. وكان هذا الطرح مناقضاً لمبدأ وحدة الفكر في الحركة التي بنيت على قواعد صارمة بينها: نفذ ثم ناقش.

■ أين كان وديع حداد يقف، مع المجموعة اليمينية؟

- وديع وجورج كانا مع إعطاء المسألة طابعاً تدريجياً وبدا كأنهما يقفان في الوسط. وكان رأي الوسط هو الغالب. دعاة الخط الاشتراكي يقاتلون من أجل خيارهم والمعارضون كانوا ينسحبون والحالة الوسطية تسعى إلى الاستيعاب شرط الإفادة من دروس التجربة وتقويمها. في هذه الأزمات كان دور وديع كبيراً نظراً إلى قدرته على إقامة علاقات إنسانية وشخصية على رغم اختلاف الآراء. كان يعطي لعلاقاته دفئاً إنسانياً يحفظها على رغم التباينات.

في تلك المرحلة ارتفع الصوت في أوساط الشباب الفلسطيني في «حركة القوميين العرب» يدعو إلى مباشرة العمل المسلح وبدأ الضغط على قيادة الحركة. كان الحوار مستمراً بين عبد الناصر وقيادة الحركة. وكان الرئيس عبد الناصر يرى أن الوضع غير مؤات وأن أي عمل عسكري ضد إسرائيل «قد يدخلنا في مواجهة تقودنا إلى هزيمة نحن في غنى عنها وهي ستشكل كارثة». بين ضغط القواعد والرغبة في التجاوب مع موقف عبد الناصر ظهرت مقولة تدعو إلى العمل «فوق الصفر وتحت التوريط». أي القيام بعمل عسكري فوق الصفر، أي أن يكون موجوداً من دون أن يتسبب في دفع إسرائيل إلى مواجهة فيما الدول العربية غير مستعدة. حكمت هذه المقولة تحركنا نحو ثلاثة أعوام. كانت لدينا عناصر مدربة وتم فرز إقليم فلسطين إقليماً مستقلاً عقد مؤتمره الأول في ١٩٦٣ في لبنان وحضر فلسطينيون من مختلف البلدان العربية وسلمت قيادة الإقليم إلى وديع حداد.

بدأت القضية الفكرية تطرح بحدة في الحركة. وارتفعت أصوات تقول إن وديع لا يعطي هذه القضية الاهتمام اللازم، وإنه يجب أن

يثقف نفسه. وضعت قيادة الحركة برنامج مطالعة لوديع وطلبوا منه خفض نشاطاته باستثناء الاجتماعات القيادية والاهتمام بتثقيف نفسه. أسكنوه في شقة في منطقة الحص في بيروت. أذكر أنني كنت أتردد عليه. ذات يوم كان بدأ قراءة كتاب ريجيس دوبريه «ثورة في الثورة». قرأ نحو ٣٥ صفحة ثم طوى الصفحة. وبعد ٢٠ يوماً فقط من إقامته في الشقة حوّلها إلى مخزن أسلحة. كان ذلك في ١٩٦٣. كان يستعد عملياً لإطلاق الكفاح المسلح.

بدأنا في إقليم فلسطين نبلور تصوراً للعمل العسكري. كانت «فتح» تصدر نشرة اسمها «فلسطيننا». كان التفكير لدينا أنه لا بد من الاتصال بعرب الداخل وتخزين السلاح هناك وإمداد أهلنا بالنشرات والكتب، أي إنشاء تنظيم في الداخل يتولى بدء العمل العسكري، لم تكن لدينا أي خبرة في الوصول إلى الداخل الفلسطيني. في تلك الفترة حصلت محاولة انقلاب في سورية بقيادة جاسم علوان. كانت هناك في سورية كتيبة فلسطينية اسمها كتيبة الفدائيين. شاركت عناصر الكتيبة في تحرك جاسم علوان. فشلت المحاولة الانقلابية فأعدم من أعدم وهرب من هرب. الذين هربوا توجهوا إلى مصر. كان بينهم أعضاء في الحركة. عندما فكرنا في العمل المسلح اتصلنا بهم وطلبنا منهم المجيء إلى لبنان لبدء دوريات.

■ ما الغرض من الدوريات؟

ـ الاتصال بعرب الداخل. من له أقارب في فلسطين كان يبعث برسالة ويطلب استقبال الشخص الذي سيصل. ثم كنا ندرب العناصر على الطرقات. وبعد ذلك إيصال الأسلحة. استمرت هذه العملية من ١٩٦٣ إلى أن سقط أول شهيد في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٤ وكان اسمه خالد أبو عيشة. كان المسؤول عن هذا

البرنامج لجنة عسكرية من إقليم فلسطين كانت هي الأخرى برئاسة وديع حداد.

لمعرفة الطرق كنا نستعين بعناصر من لبنان لا علاقة لها بالحركة. عناصر تملك الخبرة في التسلل إلى الأرض المحتلة ومعرفة الطرق. كانت التعليمات للدوريات بعدم الدخول في اشتباكات حتى ولو ظهرت أمامهم أهداف يمكن ضربها. وصادفوا أحياناً شباناً من منظمة «ناحال» للشبيبة ولم يكن برفقتهم سوى ضابط يحمل مسدساً. المشهد يغري بالهجوم، لكن كان هناك أمر بمنع الاشتباكات إذ كان الغرض ترسيخ الوجود في الداخل لإطلاق الكفاح المسلح من هناك وبحيث يكون دور الخارج داعماً. هذا الأمر استمر حتى ١٩٦٧. وخلال تلك السنوات كانت تتحرك دورية كل ٢٠ يوماً تقريباً عبر الحدود اللبنانية. كما كانت هناك لجنة عسكرية في عمان تحاول القيام بالشيء نفسه عبر الضفة الغربية.

■ هل يمكن القول إن وديع حداد كان وراء أول عملية عسكرية في الداخل؟

ـ للأمانة لم تكن هناك خطة لتنفيذ عملية، لكن حصل اشتباك بالصدفة وسقط فيه الشهيد الأول للحركة خالد أبو عيشة وأسر شاب بعدما جرح، أما الثالث فنجح في العودة. حصل اشتباك ثان مع دورية استشهد فيه ثلاثة وأسر رابع اسمه سكران سكران. الشهداء هم محمد اليماني (شقيق أبو ماهر اليماني) وسعيد العبد سعيد، ورفيق عساف (قائد الدورية).

طبعاً لا بد من التساؤل عن مصدر السلاح. الحقيقة أنه سلاح من

مخلفات أحداث ثورة ١٩٥٨ في لبنان. رشاشات «بورسعيد» وما كان متوافراً منها لم يتجاوز الرشاشات العشرة. لكن طريقة الاستخدام كانت توحي بأن لدينا الكثير. كنا نخزن السلاح في منطقة الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية بمعرفة أصدقاء. تذهب الدورية من مدينة صور، أو قاعدة أخرى، سيراً على الأقدام. تصل مساء فيكون الشخص الصديق قد هيأ السلاح. كانت الدورية تمضي الليل وفي الليلة التالية تدخل الأراضي المحتلة. أبعد مكان وصلت إليه الدوريات هو الناصرة. طبعاً وصلت الدوريات إلى قرى الجليل. نجحت الدوريات في إقامة شبكات في الداخل ضمت عدداً من العسكريين العرب الدروز في الجيش الإسرائيلي. ضابط من هؤلاء دعا شباب إحدى الدوريات إلى عرسه وحضروا ولم ينتبه أحد. الحقيقة أننا نجحنا كما أذكر في تجنيد ضابطين وثلاثة عسكريين.

في ١٩٦٥/١/١ نفذت «فتح» عمليتها الأولى وأعلنت إطلاق الكفاح المسلح. وقال إخوة في «فتح» في تلك الفترة إنهم بعد استشهاد أبو عيشة خافوا أن يسبقهم طرف آخر فسرّعوا موعد بدء الكفاح المسلح. بعد انطلاقة «فتح» صرنا نعاني في لبنان. انكشفت الطرق وضاعفت الأجهزة الأمنية اللبنانية مراقبتها. كان تعامل الأجهزة قاسياً وولّد شعوراً بالمهانة لدى الفلسطينيين. مخيم مثل عين الحلوة أو نهر البارد كان عدد سكانه في حدود ٢٠ ألف نسمة، كان يحكمه عنصر من «الشعبة الثانية» في الجيش اللبناني يجول في الليل ويرغم الناس على عدم سماع إذاعة «صوت العرب». بين ١٩٦٥ و١٩٦٧ واجه العمل مشكلات.

■ **أين كان وديع في تلك الفترة؟**

ـ من ١٩٦١ إلى ١٩٦٧ كان وديع مقيماً في بيروت في شقة في

منطقة الملا هي مقر إقامة العائلة.

■ حصلت في ١٩٦٧ الهزيمة، فكيف ولدت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»؟

ـ على صعيد «حركة القوميين العرب» وقبل ١٩٦٧ كان هناك تيار في الحركة يدعو إلى حل فروع الحركة والاندماج في التيار الناصري. حل في سورية وصار جزءاً من الاتحاد الاشتراكي وحل في العراق. نشرت مقالات عدة في مجلة «الحرية» حول إعادة صياغة التاريخ العربي المعاصر كان مؤداها أن الحركة لا تستطيع أن تنجز الأهداف في ظل قيادة رسمية قادرة على التحقيق (عبد الناصر)، وبالتالي فما هو مبرر وجود الحركة مستقلة. كان الأمر بمثابة دعوة إلى الاندماج في التيار الناصري وتشكيل الجناح اليساري فيه. جورج حبش ووديع حداد لم يكونا من هذا الرأي. كانا مع المحافظة على الاستقلالية كتنظيم مع التحالف مع عبد الناصر. خلال حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ كانت «الحرية» تصدر يومياً في صفحتين. أعلن عبد الناصر استقالته فصدرت «الحرية» بعد يوم أو يومين وعنوانها: «كلا لم يهزم العرب ولم يسقط عبدالناصر». بعد أقل من أسبوعين ظهرت دراسة تقول «سقطت البورجوازية الصغيرة وبرامجها».

حصل زلزال في الأمة العربية. فرعا الحركة في سورية والعراق كانا قد حُلّا. الأقاليم التي ظلت على مقربة من بعضها بعضاً هي أقاليم الكويت وفلسطين وإلى حد ما إقليم اليمن الذي كان يقود كفاحاً مسلحاً في الجنوب. أجهزة الاستخبارات المصرية كانت تحاول أن توحد في اليمن الجنوبي «الجبهة القومية» و«جبهة التحرير» التي يقودها عبد الله الأصنج. شباب «حركة القوميين العرب» في اليمن

لم يكونوا على استعداد للتوحد مع الأصنج. طبعاً تحركت الاستخبارات واعتقلت عناصر في تعز وصنعاء من «الجبهة القومية» وجمدوا حركة عناصرها في القاهرة.

بدأت مفاوضات بين مصر والحركة في شأن التوحيد في اليمن. جورج ووديع كانا مع عدم التوحيد. عناصر قيادية أخرى في الحركة استجابت دعوة عبد الناصر وقالت إما الوحدة وإما نحن غير مسؤولين، وأصدروا بياناً يقول لا علاقة لنا بـ «الجبهة القومية». حوصرت «الجبهة القومية». وأذكر أن إقليم فلسطين فرض على كل عضو فيه دفع راتب شهر إذا كان موظفاً، ودفع مبلغ أقل إذا كان غير موظف. ذهب جورج ووديع إلى الكويت ونظما حملة تبرعات بالتعاون مع الفرع الكويتي لدعم «الجبهة القومية» إلى أن انتصرت.

قبل ١٩٦٧ ظهرت في الساحة الفلسطينية مجموعة تنظيمات: «فتح»، «العاصفة»، «حركة القوميين العرب» وكنا نعمل في لبنان تحت اسمين «أبطال العودة» و«شباب الثأر»، في الأردن كنا نعمل باسم «شباب الثأر»، كما كانت هناك منظمة «الصاعقة» و«جبهة تحرير فلسطين» بقيادة أحمد جبريل.

بعد الهزيمة تساءلنا عن معنى وجود كل هذه التنظيمات في الساحة الفلسطينية وشددنا على ضرورة وحدة الكفاح المسلح الفلسطيني ومباشرة العمل، خصوصاً أنه بعد احتلال الضفة الغربية وغزة صارت لدينا قواعد وراء الخطوط. حصلت لقاءات في الشام بين حزيران/يونيو ١٩٦٧ وأوائل ١٩٦٨ بين «فتح» و«حركة القوميين العرب» وجبريل و«جيش التحرير الفلسطيني». كان وديع يقود وفد الحركة في مفاوضات التوحيد. شاركت «فتح» في الحوارات، لكن

بدا أنها تحرص على الانفراد بالعمل في الضفة. فجأة صدر بيان عن «فتح» يعلن أن قيادة قوات «العاصفة» انتقلت إلى الضفة الغربية وبدأت عملياتها. حصلت اعتقالات آنذاك في الضفة. تابعنا مع جبريل ومع منظمة التحرير وعملياً جيش التحرير. كان الاتفاق أن تمول منظمة التحرير أعمال الفدائيين. رفض الاتفاق إذ كانت هناك وجهة نظر تدعو إلى عدم الوقوع أسرى منظمة التحرير. وهكذا رست «الجبهة الشعبية» على «حركة القوميين العرب» وأحمد جبريل. وكانت تضم أيضاً شخصيات مستقلة مثل أطباء في الأردن سموا أنفسهم «الأطباء الأحرار» وأحمد زعرور (ضابط سابق في الجيش الأردني).

حين شكلت «الجبهة الشعبية» كان واضحاً أن الأساس هو «حركة القوميين العرب» إذ إن وجود جبريل كان محصوراً في سورية. رحنا نجمع أسلحة من لبنان ونرسلها إلى الأردن إلى أن حصلت الحادثة التي أشرنا إليها حين صادرها السوريون وذهب حبش ليراجع في شأنها فاعتقل. ضمت «الجبهة الشعبية» آنذاك شباناً من «حركة القوميين العرب» ومن «أبطال العودة» و«شباب الثأر» وجماعة أحمد جبريل. وكان لها «قيادة عامة».

في آب/أغسطس ١٩٦٨ عقد مؤتمر شارك فيه أعضاء «حركة القوميين العرب» المشاركون في «الجبهة الشعبية». عقد في جرش. كان واضحاً في المؤتمر وجود تيار يغلّب الجانب الفكري والنظري على الجوانب الأخرى ويقوده نايف حواتمه. كان حواتمه يطرح، باختصار شديد، أنه لا يجوز إعلان الكفاح المسلح قبل بناء الحزب الثوري الذي لم تنضج ظروف بنائه بعد. كانت وجهة نظر وديع أن بناء الحزب يتم من خلال العمل اليومي، وأن عملية المجابهة

كفيلة بتصليب بناء الحزب. نقطة الخلاف كانت: الكفاح المسلح أولاً أم بناء الحزب؟ عندها تقرر تشكيل قيادة. فور حصول الانتخاب ظهر أن طالباً من طلاب جامعة القاهرة حصل على أصوات أكثر من جورج حبش القائد التاريخي المعتقل في سورية. تبين أن هناك عملية مرتبة فالطالب المذكور مؤيد لنايف. حصل جدال وخلاف كادا يؤديان إلى اشتباك. تم الاتفاق على استكمال المؤتمر لاحقاً. في هذه الفترة نظم وديع حداد عملية إطلاق جورج حبش.

عرف جبريل بعقد المؤتمر فاعتبره غير تنظيمي وغير شرعي. أعتقد أن جبريل كان يتعرض لضغوط خارجية. وساهم نايف حواتمه في إذكاء الخلاف وكان يقول إن جبريل غير مسيس. أصدر جبريل بياناً بفصل القوميين العرب من الجبهة مستخدماً اسم «القيادة العامة» وهكذا ولدت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة» واستمرت حتى اليوم.

▪ لماذا قرر وديع حداد إخراج جورج حبش من السجن في سورية؟

ـ لا يمكن فهم ما حدث من دون الالتفات إلى العلاقة التي كانت تربط بين الرجلين. إنهما توأمان يتعذر فصلهما. علاقة قوية متبادلة قائمة على الحب والاحترام والتقدير والثقة والهدف الواحد. كان كل منهما يشعر بالغربة حين يبتعد من الآخر. ويمكن القول إننا تعلمنا أهمية الوفاء على يديهما. سلوكهما على الصعيدين النضالي والاجتماعي كان متشابهاً. على الصعيد الشخصي لم يكن في استطاعة وديع أن يحتمل وجود جورج في السجن ومن دون أن يرتكب أي ذنب.

خلال وجود جورج في السجن كان وديع يشعر بحرقة، ليس فقط بسبب العلاقة الشخصية بل أيضاً لقناعته بأن وجود جورج لا غنى عنه لقيادة تنظيم يعبئ الجماهير.

بعد حرب ١٩٦٧ كان على حبش أن يتحرك في دول الطوق المتاخمة لفلسطين. قامت علاقات مع الأشقاء في سورية وتم الاتفاق على أن يتم إرسال أسلحة من لبنان للفدائيين في الأردن من طريق سورية ليصار إلى نقله لاحقاً من الأردن وتخزينها في الأراضي المحتلة للقيام بعمليات ضد العدو. حصل إشكال بالنسبة إلى السلاح وذهب جورج ليراجع، خصوصاً أن السلطات السورية كانت قد وافقت وتعرف مقار الأسلحة المرسلة. كانت المفاجأة اعتقال جورج في سورية.

طالت فترة الاعتقال ووضع حبش في كركول الشيخ حسن وهو سجن قاس. حاول حداد بكل الوسائل إقناع السلطات السورية بالإفراج عن حبش فلم ينجح. آخر المحاولات كانت زيارة قام بها شفيق رشيدات الأمين العام لاتحاد المحامين العرب لعبد الكريم الجندي. بعد اللياقات وبحث مواضيع أخرى سأل رشيدات الجندي إلى متى سيبقى حبش في السجن. فأجابه: «هل جئت تطلب إخراجه؟». فرد: «نعم هذا هو الهدف الأساس من زيارتي». قال الجندي: «نزول السماء على الأرض أسهل من إخراج حبش من السجن».

نقل رشيدات حصيلة الزيارة التي كان وديع من المتحمسين لحصولها. عندها شعر وديع أن النظام السوري لا ينوي الإفراج عن حبش. في تلك الفترة كان وديع يتنقل بين بيروت ودمشق. اتُخذ

قرار بنزول وديع إلى عمان لأنه يعرف البلد فذهب. شاءت الصدف أن شخصاً كان في زيارة لدمشق والتقى هناك إبراهيم الراهب ابن شقيقة حبش. خلال الحديث بينهما سأل الراهب الشخص عن الدكتور وديع فأجابه أنه ناشط كالعادة. قال الراهب: هناك رسالة شفوية من الدكتور حبش أريد إيصالها إليه، فعندما استقبل شقيقته قال حبش لها: أرسلي إلى وديع وقولي له إن جورج يقول: أما آن الأوان يا وديع؟

نقل الشخص الرسالة إلى وديع فقال له أعدْها ثانية فأعادها. سأله إن كان متأكداً فرد بالإيجاب. بعدها استفسر وديع من أهل ابراهيم الراهب المقيمين في مدينة قادبا الأردنية فتأكدت له صحة الرسالة. بحث وديع الوضع مع أقرب المقربين إليه: الأخ أبو علي مصطفى (الأمين العام الذي اغتالته إسرائيل لاحقاً) وأحمد أبو عيسى الأمين العام لـ «حزب الشعب» وقيادي يدعى أبو سمير. بعد التداول قال وديع: يجب أن نعثر على طريقة لإخراج جورج وسأتفرغ أنا لهذا العمل. أقام وديع غرفة عمليات خاصة في منطقة في الأردن. وبدأ اتصالات في دمشق ووضع برنامجاً يومياً للعمل. رتب عملية استطلاع لمنطقة السجن وللطريق التي يسلكها جورج حين ينقله الجنود إلى مركز للاستخبارات للقاء الأقارب الذين يطلبون زيارته، وأعتقد أن هذا المركز كان في منطقة اسمها دار المعلمات. قام وديع بعملية الاستطلاع هذه شخصياً ومرات عدة، وكان يقيم سراً في سورية ومن دون أن يعلم به أحد. كان يقيم في منازل بعيدة من الشبهة ومعه باستمرار شخص متحرك.

■ **كيف تبلورت الخطة؟**

ـ وضع تصوراً أولياً ثم راح يعد للعملية في ضوء عمليات

الاستطلاع وجمع المعلومات.

▪ هل أخذ في الحسبان أن خطف حبش من حراسه يمكن أن يؤدي إلى اشتباك يتسبب بمقتله ومقتل الذين يحاولون إنقاذه؟

ـ هذا الأمر وارد في أي عملية من هذا النوع. كان وديع حريصاً على درس كل التفاصيل. درست المنطقة التي يعبرها حبش للقاء الزائرين وسرعة السيارة التي تقلّه وعدد حراسه، وتبيّن أن حبش ينقل في سيارة جيب عسكرية لا تضم سوى السائق وجندي آخر يتم إجلاس السجين بينهما في الذهاب والإياب. قيست المسافة وقسمت إلى أجزاء ودرست.

تطورت الخطة لاحقاً لتشمل اتصالاً بجورج بغية إفهامه أن شيئاً يرتب. كان هناك اقتراح بأن يعترض شخص طريق الجيب وهو يقل حبش من المركز إلى السجن بعد لقاء الزائرات. أرسلنا فتيات وطلبنا منهن إفهام حبش بطريقة ما أن يتوقع شيئاً في الأسبوع المقبل، وفي اليوم نفسه يعترض الشخص الجيب. ووفقاً للخطة تقدم شاب من الجيب وراح يهتف لحبش: «خالي، خالي، خالي، خالي». أدرك حبش أن الشاب الذي يتظاهر أنه ابن شقيقته مشارك في العملية. قال للحارسين أن يتوقفا وقال لهما هذا ابن اختي. قال الشاب: «يا خالي كنت أنوي زيارتك اليوم لكنهم لم يسمحوا لي، سأحاول الأسبوع المقبل». فرد حبش: «كيف يا خالي توقف السيارة هكذا، يمكن أن يسبب ذلك لك مشكلة». فأجابه الشاب: «الحمد لله». طبعاً الفتيات أبلغن حبش الرسالة وغادرن سورية. في هذا الوقت كان وديع اتخذ قراره في شأن النقطة التي سيتم فيها اعتراض السيارة التي تقل جورج وحدد لعملية أخذه من حراسه مهلة لا

تزيد على دقيقتين ونصف دقيقة.

عندما تقرر المكان المحدد للاعتراض درست الطريق التي سنسلكها من دمشق إلى بيروت وكم ستستغرق الطريق لنصل إلى نقطة آمنة. خطة الإفراج كانت عملية عسكرية كاملة فيها توزيع أدوار: هناك من يراقب وهناك من يهاجم.

■ **كم بلغ عدد المشاركين في العملية؟**

ـ عددهم الإجمالي ١٥ شخصاً. الذين نفذوا العمل المباشر ثمانية بمن فيهم وديع.

رتبت زيارة جديدة لرفيقات من «الجبهة الشعبية» ذهبن بهويات قريبات لجورج. كان المشاركون قد توزعوا في بيوت آمنة في دمشق. وفي تلك الفترة كان هناك طريق فرنسي قديم مفتوح بين سورية ولبنان وفيه حفر كثيرة. أصلحت الحفر سراً خلال فترة الإعداد على يد إخوان لبنانيين كان دورهم أن ينتظرونا.

حصلت الزيارة فقالت الفتيات لحبش إن الأمر سيتم اليوم، فأجاب: أعرف. وعندما انتهت الزيارة غادرت الفتيات فوراً إلى لبنان. خلال العودة كانت هناك سيارة تتابع الجيب الذي يقل حبش. وفي منطقة الكمين كانت هناك سيارة مدنية فيها الدكتور وديع وسيارة جيب دورها أن تصدم الجيب الذي يقل حبش في نقطة تبعد نحو ٥٠٠ متر عن السجن. تم اختيار تلك المنطقة لأن أي حارس يبقى حسه الأمني عالياً ومتوتراً إلى أن يقترب من مقر السجن الذي سيعاد إليه السجين فيبدأ حينذاك بالتراخي. ارتدى المنفذون ثياباً عسكرية سورية. طرأ عطل على السيارة المدنية التي كان وديع ينتظر فيها في

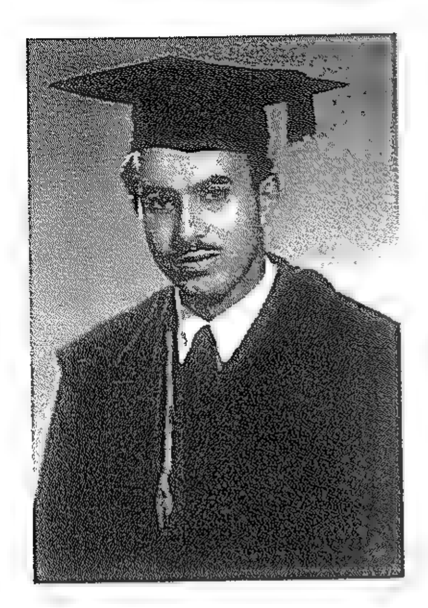
منطقة الكمين. الجيب كان مخصصاً لصدم الجيب الذي ينقل حبش ولم يكن فيه وقود أو عجلة احتياطية وكان مقرراً تركه. وصل الجيب الذي يقل حبش وحصلت عملية الصدم وتم ضرب رجلي الأمن بالمسدسات فاستسلما. نقل حبش وتم احتجاز الجنديين. وانطلق المنفذون بعدما دامت العملية دقيقتين وبضع ثوان. لم يحدث أي إطلاق نار.

مشى الموكب: المرسيدس وفيها حبش ووراءها سيارة حماية في حال حصول أي عملية تَصدٍّ، في طلعة ميسلون قال أحد أعضاء سيارة الحماية للمسؤول عنه: هناك سيارة تلاحقنا، وكان الوقت مساء. قال له المسؤول: حين تصبح السيارة التي تلاحقنا في مدى الرماية المجدية أخبر. اقتربت السيارة أكثر فجهز شباب الحماية رشاش الدكتريوف وقنابل حارقة وأخرى دخانية وقنابل يدوية عادية. فجأة يلتفت المسؤول إلى السيارة التي تلاحق ويكتشف أن ضوء الشمال فيها مكسور، فطلب من الجميع عدم إطلاق النار وقال هذه سيارتنا الجيب التي استخدمت في عملية الصدم، وحين اقتربت تبين أن وديع استقلها بعدما وضع فيها وقوداً وترك السيارة الأخرى المعطلة مع شاب لإصلاحها.

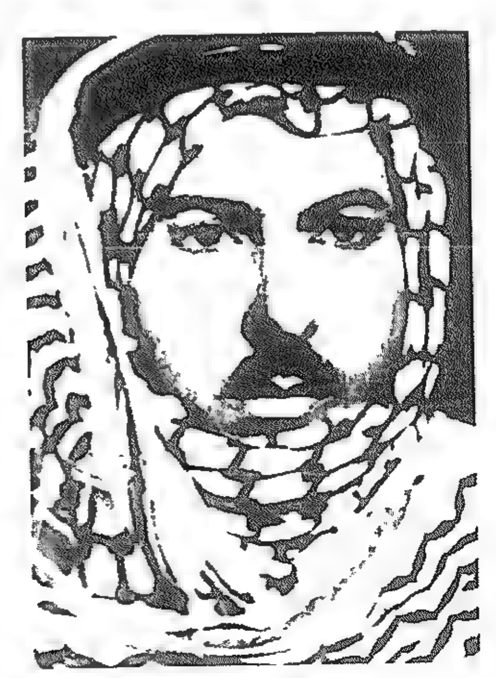
هكذا التقينا في النقطة الفاصلة بين سورية ولبنان وكان الفرح عاماً. هنا طرحت مسألة الجنديين السوريين اللذين اصطحبناهما معنا وكانت الخطة تقضي بتصفيتهما إذا لم يكن هناك حل آخر. كان وديع حريصاً على أن يصل جورج إلى لبنان من دون أي خطر، وأشار إلى الجنديين. وقف حبش وقال: «الجنديان لا ذنب لهما ومن يقتلهما يتصرف كأنه يقتلني». وهكذا تم عصب أعين الجنديين وقال أحد المنفذين لشخص آخر: قف قربهما لمدة ساعتين ومن

يتحرك منهما قبل ذلك تطلق النار عليه. لم نترك شاباً معهما وغادرنا وفرحنا أننا لم نضطر إلى التعرض لهما بسوء. ساعدنا في النقطة الأخيرة إخوان لبنانيون. ووصل حبش إلى بيروت وبدأ رحلة العودة إلى العمل.

العملية تظهر كم كان وديع مستعداً للعطاء من أجل جورج.



وديع حداد يوم تخرجه من
الجامعة الأميركية في بيروت



وديع حداد
بالكوفية الفلسطينية



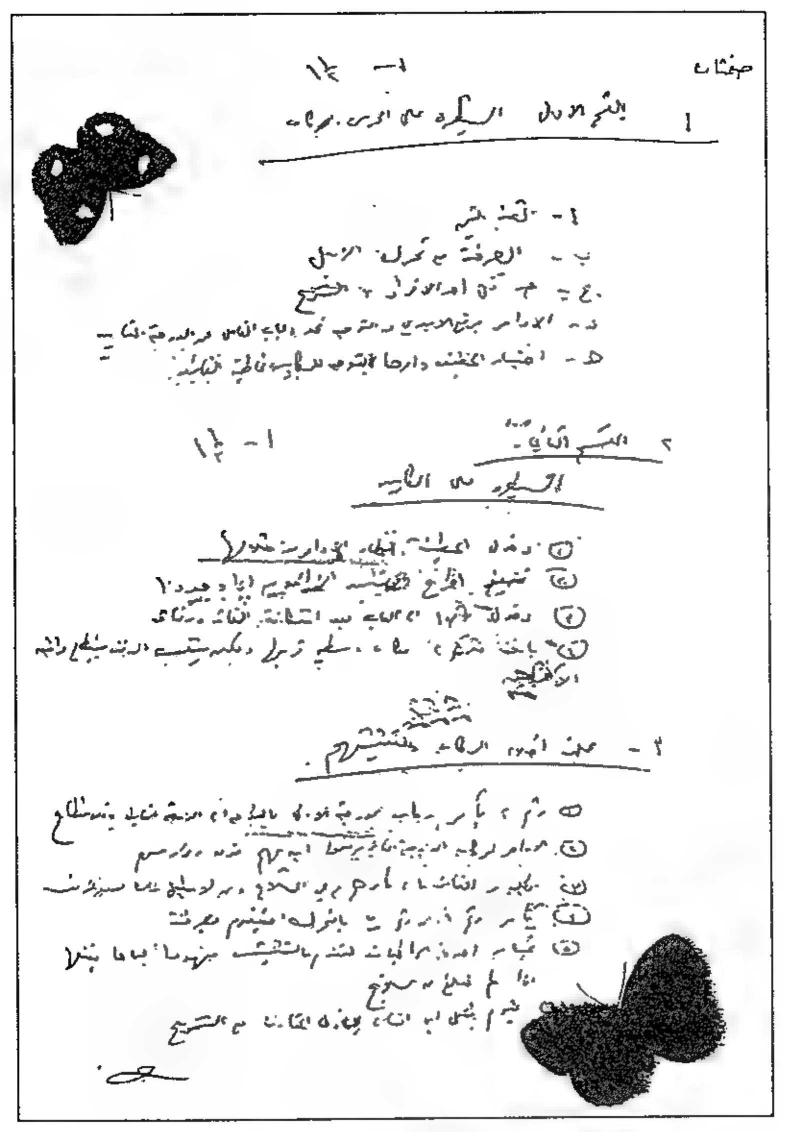
وديع حداد يوم زواجه



وديع حداد وزوجته وابنه هاني



وديع حداد
يلاعب ابنه هاني على الثلج في جبل لبنان



وثيقة بخط وديع حداد
تحدد كيفية خطف الطائرات والسيطرة عليها

المطبات الهوائية

الشعور بها يحدث في الاجواء العالية حينما الطائرة تشق طريقها عبر السحاب ، [illegible]
بأنها تتعرض [illegible] الى [illegible] نجاة ومسرعة لذلك يتطلب الاحتياط
بالنسبة لها وذلك بواسطة الامور التالية :

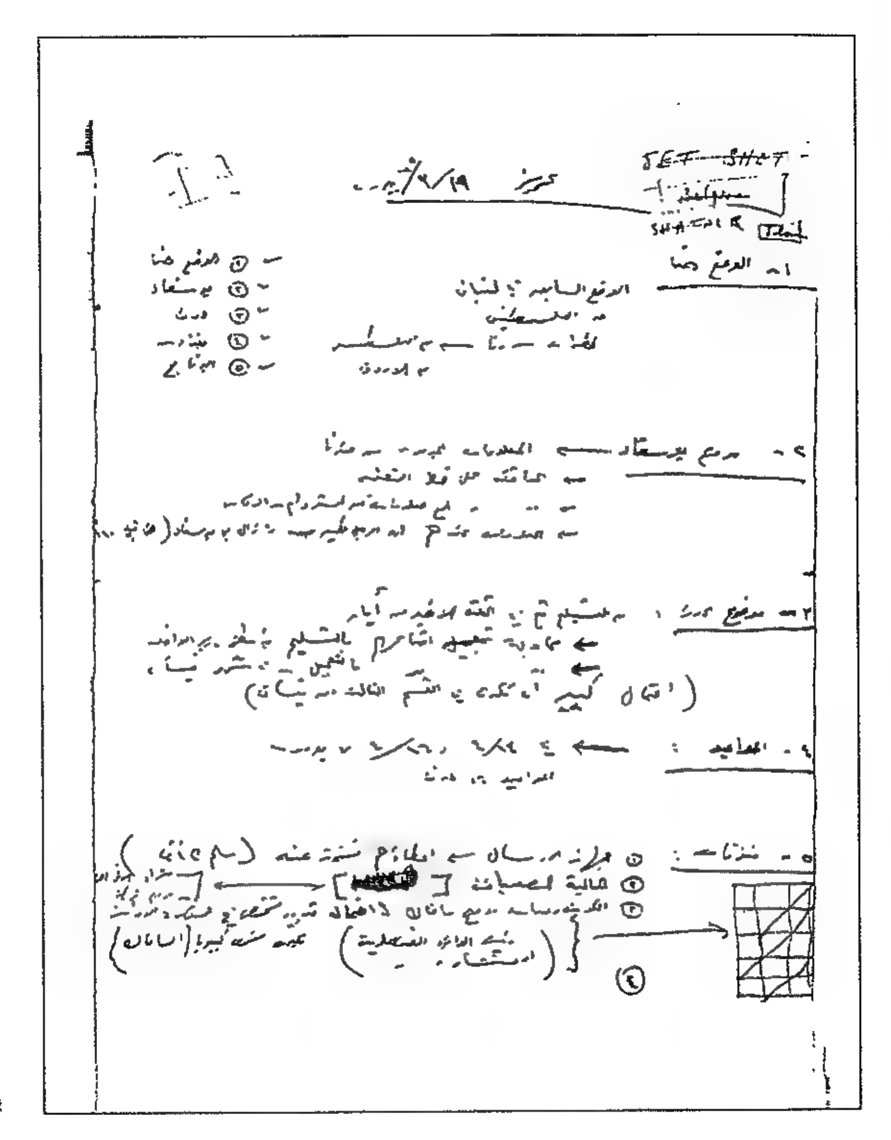
أ- تحاول دائماً ان يكون ظهرها مرتكزاً على كرسي او حائط وأيضاً وجهها دائماً الى الوراء قليلاً

ب- [illegible] : عند السيطرة على الطائرة يجب اجلاس الركاب على المقاعد ما عدا
[illegible] (في حالة وجود شخص) او واحد (في حالة وجود [illegible])
[illegible] [illegible] ارجاع [illegible] او بواسطة [illegible] ثاني.

ج- في حالة الاهتزاز او [illegible] بسبب [illegible] [illegible] وعدم [illegible]
[illegible] او [illegible] . المهم الاعتبار من [illegible] على الطرف [illegible]

د- [illegible] [illegible] [illegible] الطائرة [illegible] في
حالة الاهتزاز [illegible] [illegible] - او ارجاع الراكب [illegible]
المهم [illegible] ما يلي : ١- ان تكونوا متنبهين للوضع
٢- ان لا تتركوا [illegible] [illegible]
٣- الاجراءات [illegible] [illegible]

توجيهات حداد للخاطفين
في حال تعرض الطائرات لمطبات هوائية



رسالة من حداد تتعلق بالإعداد لإحدى العمليات

اختيار مكان الخبير بعد الاستطلاع

كسب عنوان الكابينة   الطلاب محاصرة قيادة المشغل

لتشغيل الكبائن احتلال الزائرين التلوي - الحديثة ـــ لما هو مخرجه

الـ... الأشخاص الزائرين



mostly Israeli .. [illegible] - going to Europe [illegible]. We aim to be able to [illegible] release many a large No of our fighters from the prisons of our enemy in the Occupied land and outside, fighters and cadres who are imprisoned

٢٥/٥/١٩٧٥

President of O.A.U

President of Uganda.

Dear Comrade

We, the Popular Front for the Liberation of Palestine, send you and the people of Uganda best salutations. We take this opportunity to salute you for the courage courageous stands you have taken in the benefit of our people and our cause. Our people and our fighters will always remember the brave people of Uganda and their President ~~and the many~~ instances for the good positions they have ~~taken~~ in our cause. We are sure that the struggle they lead against Imperialism and Zionism all over the world and especially in Africa against the racist policies of the South African and Rhodesian Regimes, will lead to the success of the oppressed peoples of the World. The role of O.A.U in denouncing ~~racist policies of South Af~~ racial discrimination in Israel, Rhodesia and South Africa is a tribute to the role of that organization in World affairs. No doubt Imperialism and World Zionism will try their best to

رسالة من وديع حداد
إلى رئيس منظمة الوحدة الأفريقية ورئيس أوغندا عيدي أمين

or [illegible] or [illegible] [illegible] [illegible] and who are suffering continuously from the barbaric ways of torture that [illegible] the our enemy forces upon them

Dear Commander

We believe that the people of Uganda and their President ~~, Well-known~~ famous for his brave positions against Israel and World Zionism ~~& Imperial~~ Imperialism and President of the O.A.U will welcome our comrades the ~~Commando~~ Commando Unit responsible for the operation with their hostages and the plane they have controlled in Uganda. We also believe that you would welcome our comrades from the prisons of the Enemy, when they are freed to your country. We depend on the hospitality of the Uganda People of Uganda and on the courage nationalism and revolutionary positions that the President. of Uganda has taken

& Salutations and our Best thanks.

Your True Comrades.

PFLP

Abu Hani



کارلوس

توطئة

هذا رجل لا يحتاج إلى تعريف.

قبل ربع قرن أرغم العالم بأسره على حبس أنفاسه. قبل ذلك التاريخ لم يجرؤ أحد على اقتحام مؤتمر دولي واحتجاز وزراء رهائن ونقلهم في طائرة وضعت بتصرفه إلى عاصمة بعيدة. ومنذ تلك السابقة، وعلى مدى عقدين، اعتبر، بلا منازع، أشهر المطلوبين في العالم. أفردت أجهزة الاستخبارات ملفاً خاصاً به وأوكلته إلى أبرز صياديها. سهر الضباط طويلاً وقطعوا آلاف الأميال لتعقب آثاره. تحول هاجساً لأنه حين يطل يضرب بقسوة وبراعة ويترك أجهزة الأمن ووسائل الإعلام غارقة في التفسير والتحليل والتساؤل عن الضربة المقبلة.

كانت عداوته مكلفة. دول عدة سعت إلى استرضائه ليمتنع عن تنفيذ هجمات على أراضيها. ودول أخرى سعت إلى استمالته

لتوظيفه أو التنصت على حركاته. عداوته مكلفة واستضافته مكلفة. الدول التي استضافته كانت تنفي دائماً وجوده على أراضيها، وهو كان يحترم قاعدة الصمت الكامل. وكان من مقار إقامته يتابع نشاطه بصفته «ثورياً محترفاً».

هذا الرجل لا يحتاج إلى تعريف.

صورته الشهيرة تكررت أمام مئات الملايين من المشاهدين. وأخباره احتلت طويلاً صدر الصفحات الأولى في كل مكان. لكن التسعينيات التي كانت قاتلة لأشياء كثيرة كانت قاتلة بالنسبة إليه. في العام ١٩٩٤ تحول أشهر مطلوب في العالم إلى أشهر سجين فيه. اصطادته الأجهزة الفرنسية من الخرطوم ومذذاك يقيم في السجن الفرنسي.

إنه اليتش راميريز سانشيز (كارلوس). لا شيء يثير الصحافي كأولئك الرجال الذين يتركون على صفحة الأحداث والأيام دوياً ملفوفاً بالأسرار. الرجال الذين لا عنوان معلناً أو دائماً لهم والذين يتحركون في الظلام أو السر وبحوزتهم باسبورات مزورة وتأشيرات مزيفة وأسماء مستعارة، والذين تنتظرهم في العواصم التي يتسللون إليها حقائب صغيرة تحوي مسدساً وبندقية وقنابل يحتمون بها خلال إقامتهم أو يستخدمونها في المهمة التي جاؤوا من أجلها.

في بداية التسعينيات راودني حلم اللقاء بكارلوس. سألت بعض عارفيه ممن عمل معهم وسرعان ما استنتجت أن المسألة التي أعيت أجهزة الاستخبارات تفوق طاقة أي صحافي. بعد اعتقاله أملنا بالتسلل إلى سجنه لكن القضاء الفرنسي يفرض عليه نظام العزلة التامة ولا يسمح له إلا باستقبال محاميه، فضلاً عن أن كارلوس

نفسه بخيل في الكلام إلا حين يمثل أمام المحكمة ويحاول أن يحاكمها.

تردد اسم كارلوس مرات عدة في سلسلة «يتذكر» خصوصاً في اللقاءات مع الدكتور جورج حبش وأبو داوود صاحب الدور الرئيسي في عملية ميونيخ ضد الرياضيين الإسرائيليين، والدكتور حسن الترابي، وبلغني أن حديث الأخير وبعده حديث المصدر السوداني عن ظروف اعتقال كارلوس أغضبا الأخير في سجنه.

ونجحنا في إقناع أنيس النقاش بالخروج عن صمت التزمه ربع قرن فاعترف بأنه كان رفيق كارلوس في عملية احتجاز وزراء النفط في فيينا. وبلغني أن محامية كارلوس إيزابيل كوتان بيار اتصلت تسأل عن العدد الذي تحدث فيه النقاش لأنه نفد في مكتبات باريس. اعتبرنا أن من حق القراء أن يظفروا من أشهر السجناء بما يتخطى الرد على النقاش. ولأن اللقاء المباشر محظور تماماً، كان لا بد من تمرير الأسئلة عبر المحامية التي تفضلت مشكورة بالمساعدة. درس كارلوس الأسئلة وجاءنا الرد بخط يده.

أكد كارلوس أن النقّاش كان مساعده في عملية فيينا وروى قصة العملية. وتحدث عن علاقته بوديع حداد و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». شدد على أنه دخل السودان بمعرفة سلطاته وأنه وصله في طائرة كان على متنها وزير الخارجية آنذاك، وقد كان مطلعاً على الأمر على حد قول كارلوس. كشف أنه دخل الأردن بضمانة من العاهل الأردني الملك حسين وأنه غادر سورية بناء على طلب سلطاتها وبعدما فاتح الأميركيون الجانب السوري بموضوع إقامته خلال قمة بوش ــ الأسد. وكشف أن آخر زياراته لبيروت كانت في آب/أغسطس ١٩٩١ مؤكداً أنه أقام علاقات مع «مسؤولين لبنانيين».

الفصل الأول

حوار (١)

■ **بداية عرفنا بنفسك؟**

ـ إليتش راميريز سانشيز، الشهير بـ«كارلوس».

■ **كم عمرك؟**

ـ أنا من مواليد ١٢/١٠/١٩٤٩.

■ **جنسيتك؟**

ـ فنزويلية.

■ **هل أنت متزوج؟**

ـ نعم، متزوج من سيدتين. أنا مسلم.

■ **هل لديك أبناء؟**

ـ لديَّ ابنة شرعية واحدة. أما بقية أبنائي الآخرين، وهم يكبرونها سناً، فإنهم لا يحملون اسمي بعدُ، حرصاً على سلامتهم وسلامة أمهاتهم.

■ **إذا سُئلت عن «مهنتك»، فبماذا تجيب؟**

ـ ثوري محترف!

■ **تمر السنوات وأنت في السجن، هل تأمل الخروج يوماً؟ وماذا تفعل إن خرجت؟**

ـ الله أعلم بالمستقبل. أنا أناضل حيث أكون، والمقاومة مستمرة.

■ **عالم اليوم على النقيض تماماً من العالم الذي كنت تحلم بقيامه، هل تشعر بالإحباط أو بالهزيمة؟**

ـ عندما كنت شيوعياً، كنت دوماً شديد الانتقاد، في المواضع التي تستوجب ذلك، تجاه الانحرافات السياسية للرفاق السوفيات، وتجاه دول الكتلة الاشتراكية. وانهيار هذه الكتلة يؤكد صحة مواقفي التي كانت توصف من قبل بأنها متطرفة ومغامرة وبورجوازية صغيرة.

■ **ألا تندم أحياناً على المصير الذي اخترته لنفسك؟**

ـ أبداً، على العكس...

■ **هل تأمل أن تُصدر السلطات الفرنسية عفواً عنك، كما فعلت مع أنيس النقاش؟**

ـ أنا رهينة محتجزة بشكل غير قانوني في فرنسا. وبالتالي على

«المسؤولين» الفرنسيين بالأحرى أن يفكروا في إجراءات عفو خاصة بهم! ثم إن فرنسا لم تصدر قط عفواً عن الأخ أنيس النقاش. وتحريره هو ورفاقه انتُزِع بفضل نضالات كبرى.

▩ ما هي القوى أو التنظيمات التي تسعى اليوم للحصول على عفو مماثل لك أو لتحريرك؟

ـ هناك رفاق ومتعاطفون يعملون على تحرير كل «الفدائيين» و«المجاهدين».

▩ أين هم أصدقاء كارلوس ورفاقه؟ ماذا يفعلون للتعاطف مع قضيتك؟

ـ رفاقي يعبّرون بشكل فاعل عن تعاطفهم مع قضيتي.

▩ بماذا تشعر حين تسمع في سجنك بنبأ تفجير سفارة أميركية أو مهاجمة مدمرة في ميناء عدن؟

ـ شعوري أن النضال سيستمر حتى الهزيمة النهائية للإمبرياليين.

▩ ألا تحسد أسامة بن لادن وأيمن الظواهري وغيرهما، على الاستمرار في النجاة من شباك الأجهزة التي تتعقبهما؟

ـ الحسد من الغرائز المتدنية، هو أحد العيوب التي ليست فيَّ. والشيخان أسامة وأيمن أعتبرهما شهداء أحياء، بحكم خياراتهما الشجاعة.

▩ بماذا شعرت حين مثلت للمرة الأولى أمام قاضي

التحقيق جان لوي بروغيير؟

ـ بالمرح والتسلية!

▪ لنعد إلى عملية فيينا، من كان وراء فكرة احتجاز وزراء النفط؟ وهل صحيح أن مسؤولاً عربياً أوحى بها وشجعها؟ ومن هو؟

ـ علمية «أوبك» كانت من الأصل فكرة صدرت عن رئيس دولة عربية. والسلطات الأميركية تعرف هويته جيداً، منذ أن قام أحد سفراء هذه الدولة بالانشقاق، وكشف لـ «سي. آي. إيه.» أن العتاد العسكري كان قد نُقل من بلاده داخل حقائب البريد الديبلوماسي، على متن آخر رحلة جوية قبيل العملية، وأنه سُلِّم للكوماندوز يوم ١٩ كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥، في منتصف الليلة التي سبقت تنفيذ العملية، على يد ديبلوماسي يحتل اليوم منصباً مرموقاً في بلاده!

▪ قال أنيس النقاش إن تعليمات وديع حداد كانت تقضي بإعدام وزيري النفط السعودي والإيراني، بعد الحصول على «فدية». هل هذا صحيح؟ ومن هو صاحب فكرة الإعدام؟ ولأي هدف؟ ولماذا لم يتم تنفيذ الإعدام؟

ـ تعليمات الدكتور وديع حداد (أبو هاني) لم تنص سوى على إعدام الشيخ أحمد زكي يماني وزير النفط السعودي في نهاية العملية. وأما حضور وزير الداخلية الإيراني جمشيد أموزيغار، بوصفه «المفاوض الرئيسي باسم أوبك»، فلم نعلم به سوى أثناء عملية الاحتجاز، وأنا الذي فطنت لوجوده! وقد قررت إعدامه فوراً.

ولقي قراري هذا تأييداً قوياً من الشهيد ويلفريد بوز ومن أنيس النقاش.

وإعدام الشيخ يماني كان قراراً صادراً عن جهات ثلاث (دولة عربية وتنظيمان عضوان في منظمة التحرير الفلسطينية)، وذلك لأربع حجج مختلفة، تعكس وجهات نظر متناقضة في بعض الجوانب، من بينها:

- دوره في تقديم ياسر عرفات إلى المغفور له الملك فيصل، مما أوقع منظمة التحرير تحت ثقل جارف اكتسبته منظمة «فتح» بما حصلت عليه من أموال خليجية، ومما جعلها قوة مناهضة للناصرية.

- دوره بعد اغتيال الملك فيصل في تغيير السياسة البترولية القومية التي سطرها المغفور له.

(...)

يضاف ما حدث حين عدنا إلى الجزائر، بعد الطابع الكارثي الذي اتسم به توقفنا في طرابلس، لأن التعب أنهكنا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الطيارين النمسويين. ففي الجزائر وجدت كلاًّ من وزير الداخلية الكولونيل محمد بن أحمد عبد الغني، ومدير الأمن العام الكولونيل أحمد دراية، ووزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقة، وهم كانوا آنذاك أبرز ثلاثة قادة بعد الرئيس هواري بومدين في «مجلس الثورة» الجزائري، ينذرونني بأنه في حال إعدام الوزيرين فإن الجزائر لن يعود بإمكانها أن تمنحنا اللجوء السياسي.

وخلافاً لما رُوِّج لم تكن هناك أية «فدية» خلال العملية، بالرغم من

أن كمال خير بك فكر في ذلك في البداية. لكن أبو هاني (وديع حداد) شرح لنا أن دول أوبك كلها ستدفع لكن بعد انتهاء العلمية، وكان ذلك أحد الانعكاسات أو النتائج المرتقبة للعملية. وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد. ولهذا السبب رفضت الخمسين مليون دولار التي تم اقتراحها عليَّ، أثناء العملية. ولسبب أجهله تم دفع الخمسين مليون دولار باسم البلدين (السعودية وإيران)، رغم رفضنا. وهذه الأموال لم تصل قط إلى المقاومة الفلسطينية. ولذا رفض شاه إيران أن يعيد تسديد قسط بلاده من هذه «الفدية»، أي ٢٥ مليون دولار، للطرف السعودي.

■ **هل تذكر شيئاً عن اجتماع عُقد في بيروت تحضيراً لعملية فيينا؟**

ـ كان هنالك العديد من الاتصالات واللقاءات تمهيداً للعملية. وهي وفق التسلسل الكرونولوجي على النحو الآتي: في بيروت عقدت اجتماعات عدة، ثم عقد اجتماعان في دمشق، ثم زوريخ وفرانكفورت وجنيف، وأخيراً فيينا.

■ **ما هي روايتك عن تفاصيل تنفيذ العملية على الأرض، والدور الذي أنيط بكل واحد من أعضاء «الكوماندوز»؟**

ـ تمت العملية وفق المخطط الذي رسمته لها سلفاً وحتى محطة طرابلس، وكنا قد احتطنا لكل الاحتمالات التي يمكن أن تطرأ. قدت بنفسي عملية الاقتحام لضمان التحكم في الوضع وإبطال أي مقاومة من دون تعريض حياة الوزراء للخطر، وكان إلى جانبي في هذه المهمة مساعدي أنيس النقاش. ثم كانت مناضلة ثالثة وخبير

في التفجيرات يأخذان أماكننا في المواقع بعد التحكم فيها. أما هانس جوهاكيم كلين، ومناضل آخر كان في السابق من كوماندوز البحرية، فقد كُلفا بتغطية قواعدنا الخلفية. لكن هذا لا يمنع أن تجاذباً حصل في مواقعنا خلال بعض المراحل.

ما هو تعليقك على ما قاله أنيس النقاش بخصوص أهداف وحيثيات عملية فيينا؟ وما ردك على قوله إنه كان «قائد» الفرقة التي نفذت العملية؟

ـ أرى حواركم مع أنيس النقاش ضرباً من التضليل! وبالنسبة إليّ، أنيس النقاش كان من الكوادر السياسية والعسكرية التي لا تُضاهى. كان بطلاً حقيقياً. ورغبته اليوم في تحمل مسؤولية الدور المركزي أمر يشرّفه، لكنني أرى محاولته هذه أمراً لم يعد مجدياً. إنها محاولة شجاعة، لكنها ساذجة، لتغطيتي. لكن هذا الأمر لم يعد يجدي، ولا أهمية له الآن.

فكرة العملية كانت في الأصل من اقتراح رئيس دولة عربية. أما تصور العملية وصياغتها، فكانتا من تدبير الشهيد وديع حداد. وأما التخطيط والتنسيق المركزي والإدارة السياسية والعسكرية للعملية، فكانت من مسؤوليتي المباشرة بوصفي عضواً قيادياً في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وأنيس النقاش، بوصفه ممثلاً لـ «فتح» كان مساعداً لي طيلة تنفيذ العملية، وكان مكلفاً بضبط الاتصالات مع السلطات في كل مطار حللنا به. وقد أصبح دوره أساسياً. بعد انتهاء العملية مررنا بمطار القاهرة، بحكم أنه معروف جيداً هناك، لأنه تخرج برتبة ملازم مساعد من أكاديمية المخابرات المصرية ضمن الفيلق الخاص بحركة «فتح». لم يكن أنيس النقاش قط «جاسوساً مندساً» في صفوفنا، بل كان كادراً نفتخر به، ويحظى بثقتنا. ولم

يكن خافياً علينا أنه ملازم في «فتح»، ومن «أعين» عرفات...

هذه هي الوقائع الصحيحة، أما الباقي كله فليس سوى هراء لم يصرح به سوى اليوم، بأثر رجعي، وتحت ضغوط!

■ هل صحيح أنك التقيت وديع حداد للمرة الأخيرة بعد عملية فيينا؟ وهل وقع «الطلاق» بينكما يومها فعلاً؟

ـ التقيت الشهيد «أبو هاني» للمرة الأخيرة في كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٧، وقد مات مسموماً في آذار (مارس) ١٩٧٨. ما حدث هو أن أبو هاني انتقدني بشدة في مقديشو، على أثر عملية فيينا، لأنني لم أنفذ الإعدام بحق الشيخ يماني. لكن لم يحدث طلاق بيننا، بل إن أبو هاني اقترح عليَّ في عدن، خلال شهر شباط/ فبراير ١٩٧٦، أن أدخل المكتب السياسي. ولقد بكى بحرارة، يوم ١٥ آذار/مارس ١٩٧٦، حين قدمت له رسالة استقالتي من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي أرسلت نسخة منها إلى الأمين العام المساعد آنذاك، أبو علي مصطفى. وكان دافعي للاستقالة حرصي على عدم الدخول طرفاً في النزاع بين أبو هاني والمكتب السياسي.

■ هل صحيح أن وديع حداد كان شديد القسوة تجاهكم، أنت وبقية العاملين تحت قيادته؟

ـ بطبعه كان أبو هاني في غاية اللطف والطيبة. كان أكثر قساوة مع نفسه مما هو عليه تجاه الآخرين. وفي الواقع كنت أكثر حرصاً منه على الانضباط في القضايا العسكرية، كما أنني كنت لا أتسامح إطلاقاً في ما يتعلق بالإجراءات الأمنية. ونشأت بيني وبينه علاقة معقدة هي مزيج من الأبوية والصُحبة. كان عماد هذه العلاقة

الصداقة والثقة، وذلك بالرغم من أنه كانت بيننا خلافات تكتيكية أساسية حول الأسلوب الذي يجب اتباعه لاستئناف النضال مع ارتفاع أعداد المتطوعين الأجانب.

▪ ما سر الشخصية «الكاريزماتية» التي اشتهر بها وديع حداد؟

ـ ليس هنالك سر. كل ما في الأمر أنه كان قائداً شديد الإخلاص والتفاني في خدمة القضية العربية. كان مستعداً لكل التضحيات، وذا ذكاء خارق. كان يصب تركيزه بالكامل في النضال المسلح. وكانت له نظرة رائدة في ما يتعلق بالطابع الدولي للنضال الأممي الذي يتجاوز كل الحدود.

▪ متى التقيت وديع حداد للمرة الأولى؟ وكيف بدأت بالتعاون مع تنظيمه؟

ـ التقيت أبو هاني للمرة الأولى في شهر تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٠ في شمال الأردن، خلال المؤتمر الاستثنائي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في جبال البورمة. أما تعاوني معه فبدأ قبل ذلك اللقاء، منذ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٨ بموسكو، وكانت بداية تعاوني تكليفي من «الجبهة الشعبية» بترجمة «استراتيجية من أجل تحرير فلسطين».

▪ متى كانت المرة الأخيرة التي زرت فيها بيروت؟ وماذا تذكر عن العاصمة اللبنانية؟ وهل ربطتك علاقة بأسماء أمنية أو حزبية هناك؟

ـ الزيارة الأخيرة كانت في آب/أغسطس ١٩٩١. وأنا أحتفظ

بذكريات دافئة جداً عن بيروت وعن اللبنانيين. وخلال زياراتي التي توزعت على مدى أكثر من ٢٠ عاماً، عقدتُ علاقات مع الكثيرين من المسؤولين اللبنانيين.

□□□

خلال فترة أعياد نهاية السنة، تم تحويل كارلوس إلى سجن «فرين»، خارج باريس، بعد قرار إداري بإخلاء «قسم العزلة» في سجن «لا سانتيه»، إثر محاولة فرار دبَّرها عدد من نزلاء هذا القسم، تحت إشراف «السفاح» الفرنسي غي جورج، الذي أقض مضاجع سكان باريس بسلسلة شهيرة من الجرائم الجنسية البشعة التي ارتكبها في منتصف التسعينيات.

وحسب ما ذكرته إدارة السجن، فإن عدداً من هؤلاء المساجين تمكنوا من قطع القضبان الحديدية المثبتة على نوافذ زنزاناتهم، استعداداً للهرب. لكن خطتهم اكتشفها الحرس، وأُحبطت في اللحظة الأخيرة. وإثر ذلك، تقرر نقل كافة المساجين في هذا القسم إلى وجهات أخرى، حتى يتسنى للجهات المختصة القيام بعمليات رقابة تفصيلية في مختلف أجنحة قسم العزلة هذا.

وروى «كارلوس» لمحاميته إيزابيل كوتان بيير أنه بعد إحباط محاولة الفرار التي لم يشترك فيها، وخلال عمليات التفتيش التي تبعتها، قام الحرس بإخراجه من زنزانته لتفتيشها. وتم تحويله موقتاً إلى زنزانة أخرى تحمل الرقم ٣، في قسم العزلة ذاته، وكانت غير مشغولة منذ فترة طويلة.

وأضاف كارلوس: فوجئت بعد أن نُقلت إلى تلك الزنزانة، بأنني

وجدت قضبان النافذة مقطوعة. وأعتقد بأنه تم نقلي إلى تلك الزنزانة بشكل متعمد. إذ من غير المعقول أن يغيب عن الحراس رؤية القضبان المقطوعة. كما أن كون تلك الزنزانة غير مشغولة منذ فترة طويلة زاد من شكوكي، لأن ذلك يعني أن من قطع القضبان ليس سجيناً! وهذه محاولة استفزازية من قبل إدارة السجن الهدف منها إغرائي لمحاولة الهرب، لتجد السلطات الفرنسية في ذلك الفرصة المثالية التي تتحينها للتخلص مني، لأن الحرس في حال محاولة الفرار يحق لهم إطلاق النار!

وختم كارلوس حديثه للمحامية، قائلاً: إن مثل هذه المحاولات الاستفزازية لا تنفع معي. فأنا لن أخرج من السجن إلا يوم تُوضع تحت تصرفي طائرة خاصة وسيارة «ليموزين» لأغادر السجن على متنها متوجهاً إلى المطار.

▪ متى تعرفت إلى الدكتور جورج حبش؟

ـ في آب/أغسطس ١٩٧٠ في الأردن.

▪ بعد عملية فيينا طاردتك أجهزة أمن عدة. هل حدث أن كادت تصل إليك؟ ومتى؟

ـ صرح المدير المساعد السابق لجهاز الاستخبارات الفرنسية (DST) جاك باكلوتي الذي كان مكلفاً إدارة «شعبة العمليات» بهذا الجهاز، في تصريح للتلفزيون الفرنسي، بتاريخ ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٧، بأنه قام بتدبير ٣٣ محاولة اغتيال ضدي. فكم عدد العمليات الأخرى التي تم تدبيرها من أجهزة أخرى بعضها أقوى من الـ «دي إس ت» الفرنسية؟

■ استخدمت أسماء عدة، مثل «سالم» و«جوني» ثم اشتهرت بلقب «كارلوس». من اختار لك هذه الأسماء؟

ـ اسمي الحربي سليم سالم محمد. وشهرة لقب «كارلوس» صنعتها وسائل الإعلام الفرنسية. وهذا اللقب في الأصل أطلق عليّ تيمناً باسم الرئيس الفنزويللي كارلوس أندريز رودريغيز، في لفتة من رفيقة لبنانية كانت أول من ناداني بهذا الاسم في إشارة إلى أصولي الفنزويللية.

■ اتخذ وديع حداد من عدن معقلاً، ماذا تذكر عن الإقامة في عدن؟

ـ أقمت في عدن في مناسبات عدة بين ١٩٧٥ و١٩٩١.

■ تردد أنك التقيت في صنعاء قبل خروجك منها مسؤولاً يمنياً رفيعاً. هل هذا صحيح؟ ومن هو هذا المسؤول؟

ـ خطأ. لم يحدث مثل هذا اللقاء.

■ هل تعتقد اليوم بأن قرارك التوجه إلى السودان كان خطأ؟ ألم يكن في إمكانك العثور على ملجأ آخر؟

ـ من الواضح ـ بحكم النتيجة التي أدّى إليها ـ أن هذا القرار كان خطأ. لكن مخططاتنا من أجل التنسيق بين كل القوى المناهضة للإمبريالية والصهيونية لم تكن خطأ، وهي لا تزال اليوم أكثر مواكبة من أي وقت مضى. أما عن الوجهات الأخرى، فقد كانت هناك جهات متعددة كان في الإمكان اللجوء إليها من دون أية مخاطر، لكنها جميعاً كانت تشترط أن أبقى ساكناً!

■ قال الدكتور حسن الترابي إنك دخلت السودان من

دون علم سلطاته وبجواز سفر ديلوماسي أردني باسم عبد الله بركات. هل هذا صحيح؟

ـ السلطات السودانية كانت على علم بمجيئي. وحتى وزير الشؤون الخارجية السوداني، الذي سافر معي على الرحلة ذاتها من عمان، كان على علم بالأمر.

■ **قال الترابي أيضاً إنهم نصحوك بمغادرة البلاد فلم تفعل...**

ـ السلطات السودانية طلبت مني بالفعل مغادرة البلاد لأسباب أمنية، وكان ذلك في ربيع ١٩٩٤. وأنا لم أرفض مغادرة السودان، بل رفضت فقط التجاوب مع فخ أراد أن ينصبه لي الترابي والبشير، وعلمت به بفضل بعض المتعاطفين معي من داخل النظام في الخرطوم.

■ **ما هي ملامح «الصفقة» التي أدت إلى وقوعك في أيدي الفرنسيين؟**

ـ الولايات المتحدة الأميركية كانت بمثابة قائد الأوركسترا في الصفقة التي أشرفت على تنفيذها شخصيات خليجية. وأما الفرنسيون فلم يتم إشراكهم إلا في المرحلة الأخيرة.

■ **بماذا شعرت حين بلغك نبأ اعتقال عبد الله أوجلان؟**

ـ بالسخط.

■ **لماذا ذهبت إلى الأردن؟ ولماذا غادرته؟ وكم أقمت هناك؟**

ـ في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ عقدت صلحاً باسم منظمتنا

«منظمة الثوار الأمميين» مع الملك حسين الذي أرسل لنا شخصية ديبلوماسية أكدت لنا أننا ستكون في أمان بالأردن. وقد دخلت الأردن آخر مرة خلال أيلول/سبتمبر في رحلة كان مقرراً أن تكون قصيرة، لكنها امتدت إلى غاية آب/أغسطس ١٩٩٣، بعد أن تزوجت بعد وصولي بفترة قصيرة بزوجتي الفلسطينية لانا جرار.

■ قبل ذلك بأعوام، أقمت في دمشق فترة. هل صحيح أنهم طلبوا منك المغادرة؟ ولماذا؟

ـ بعد اللقاء الذي جمع الرئيسين حافظ الأسد وجورج بوش في جنيف في سنة ١٩٩٠، أخبرتني مصادر سورية أن اسمي ورد في القائمة التي قدمها وفد «اليانكي» بأسماء «الإرهابيين» المزعومين الذين يحظون بتسهيلات في سورية. وبعد هزيمة الجيوش العراقية في الكويت، طلبت السلطات السورية من منظمتنا إخلاء الأراضي السورية، بطلب من الأميركيين.

■ تردد أن بغداد عرضت عليك بعد حرب الخليج الثانية أن تقيم فيها. هل حصل ذلك بالفعل؟ ولماذا لم تستجب للعرض العراقي؟

ـ العراق مفتوح لكل المناضلين من أجل القضية الفلسطينية. لكن الحصار المفروض من «العدو» جعل من هذا البلد منطقة مسدودة المنافذ. مما يعوق نشاطاتنا الثورية، ويجعل من المستعصي علينا القيام بها انطلاقاً من بغداد.

■ كنت تتردد على طرابلس. ما هي قصة علاقاتك مع ليبيا؟

ـ إنها علاقات رفقة وتعاون ثوري.

■ هل عرفت «أبو نضال»؟ وهل قام بينكما حوار أو مشروع تعاون؟

ـ عرض التعاون الذي تقدم به لنا سنة ١٩٧٦ لم يتحقق، لأننا كنا نلتزم قاعدة تقضي بعدم التدخل في النزاعات الداخلية للتنظيمات الصديقة.

■ تعارفت أنت ومحمد عودة (أبو داود) في أوروبا الشرقية. هل ساعدته فعلاً في «عملية ميونيخ» التي استهدفت الرياضيين الإسرائيليين؟

ـ عرفت أبو داود في براغ سنة ١٩٧٨. وأنا لم أشترك في عملية ميونيخ التي جرت خلال الألعاب الأولمبية لسنة ١٩٧٢. لكن بعض رفاقنا ساهموا بتقديم العون اللوجستي له خلال تلك العملية. وأبو داود هو أحد آخر الأحياء من أبطال الحرس القديم في صفوف المقاومة الفلسطينية. وهو صديق ورفيق عزيز عليَّ.

■ لماذا فشل الهجوم على طائرة «العال» الإسرائيلية في مطار أورلي؟

ـ أساساً لأن حرس «العال» استطاعوا تضييق الخناق على الهجوم البطولي لرفاقنا التونسيين الذين كان يقودهم اللبناني محمد عويضة، وذلك بحصرهم في مدخل قاعة التسجيلات بالمطار. تغمد الله أرواحهم جميعاً بالرحمة والمغفرة.

■ هل تعتقد أن ميشال مكربل خانك؟

ـ ميشال مكربل كان عميلاً للموساد. وقد تم استقطابه بمزيج من الرشى والتهديدات. وكان لديه طموح مبالغ فيه لأن يصبح قائداً.

■ **هل تشعر أن بعض الأنظمة العربية تخلت عنك، وحاولت الإفادة من وجودك في أراضيها كورقة ضغط، لتطلب منك المغادرة في ما بعد إرضاءً للدول الغربية؟**

ـ بكل تأكيد.

■ **ماذا تقرأ في السجن؟**

ـ الصحف والكتب السياسية.

■ **كيف هي علاقاتك بعائلتك؟ وهل هناك اتصالات معهم؟**

ـ هناك اتصالات من طريق المحامين الموكَّلين عني.

■ **هل يزعجك وصف الإعلام لك بـ «الإرهابي»؟**

ـ أنا ثوري محترف وفق التقليد اللينيني. والدول الإمبريالية هي الإرهابية!

■ **منذ اعتقالك سنة ١٩٩٤، تعيش في ما يسمى «نظام العزلة»، حيث تقيم في زنزانة انفرادية، ويحظر عليك الاتصال مع بقية السجناء، كما أن الزيارات ممنوعة (ما عدا المحامين). كيف تقضي أوقاتك؟ وهل لك أن تروي لنا بالتفصيل نظامك اليومي في السجن؟**

ـ المواقيت التي تسير وفقها حياتي اليومية في السجن هي كالتالي:

• في الساعة السابعة والنصف صباحاً، تُفتح الأبواب وأتسلمّ إفطار الصباح، ويضم القهوة بالشوكولاته، والحليب (يغشّونه بمزجه بالماء!)، و٨ غرامات من الزبدة. وبعد الإفطار أقوم بـ«فسحة» لمدة

ساعة واحدة، في ساحة خاصة مسيَّجة بإحكام، ودائماً في شكل انفرادي. وأعود بعدها إلى الزنزانة.

• في الساعة الحادية عشرة والنصف، يوزع علينا الخبز، ثم يؤتى بوجبة الغداء. وتليها فسحة لمدة ساعة أيضاً، في الظروف نفسها، ودائماً في شكل انفرادي. وبعدها يُوزِّع علينا ما طلبناه مسبقاً من مشتريات ومن مواد غذائية مدفوعة الثمن، ومعها البريد متى وُجد، والصحف.

• في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر: توزع علينا قهوة المساء، وبعدها تقفل الأبواب حتى صباح اليوم التالي. ومنذ فترة قصيرة، نجحنا في الحصول على حق التحكم في إشعال الأضواء بحرية وإطفائها، داخل كل زنزانة، بالنسبة إلى مساجين «قسم العزلة».

هذا البرنامج يتكرر يومياً وفق المواقيت نفسها، عدا أيام الأحد والأعياد، التي هي «أيام راحة» للجميع، وهي مخصصة للزيارات بالنسبة إلى بقية السجناء. أما أنا فالزيارات ممنوعة. ولنا الحق بحمامين أسبوعياً، وغالباً ما يُسمح بأكثر من ذلك. كذلك لنا الحق في حصتين من التمارين الرياضية أسبوعياً، وأحياناً يسمح بأكثر من حصتين لمن يريد. وتجرى التمارين في زنزانة تم تحويلها إلى قاعة رياضية. بالنسبة إليّ، هذه التمارين تتم أيضاً في شكل انفرادي.

ومن جهة أخرى يزورنا الأطباء مرة كل أسبوعين. كذلك تمرّ أمامنا عربة عليها مؤلفات وكتب لمن يريد استعارتها. لكنها لا تتعدى مستوى الروايات التي تباع في محطات القطارات!

أما الملابس المتسخة فيتم تجميعها مرة كل أسبوعين، وأحياناً في كل

أسبوع، ويتم غسلها لنا في مقابل ١٦ فرنكاً لكل ٦ كيلوغرامات من الغسيل، وتعاد لنا مغسولة، لكنها غير مكوية. والتلفزيون بدوره ندفع ثمن مشاهدته، حيث يتم استئجار أجهزة التلفزيون لنا مقابل ٦٥ فرنكاً للأسبوع الواحد، وهي أجهزة من النوع الذي لا يتعدى سعره في الأسواق ٥٠٠ فرنك!

وتُوزع الأقراص المهدئة للأعصاب، وأحياناً مرات عدة في اليوم بالنسبة إلى بعض السجناء.

■ **تنص القوانين الفرنسية على أن السجين لا يحق إخضاعه لنظام العزلة لأكثر من ٣ أشهر فقط. من الذي يتخذ قرارات تمديد إخضاعك لنظام العزلة، كلما انتهت هذه المدة؟ وما هي الأسباب التي تعطى لك لتبرير بقائك في العزلة؟**

ـ أُخضعت لنظام العزلة في شكل مستمر منذ ١٥ أغسطس/آب ١٩٩٤. والأسباب التي يتم بها تبرير تجديد بقائي في العزلة كلما انتهت فترة الثلاثة أشهر، متشابهة دائماً. حيث أتلقى رسالة من إدارة السجن تقول: «من الأنسب تمديد العزلة التي تخصكم، من أجل الحفاظ على الأمن والنظام داخل المؤسسة (السجن)، بالنظر إلى ما يُفترض فيكم من خطورة، وللتأثير الذي نتوقع أنكم ستمارسونه على بقية السجناء، إذا وضعتم في زنازين مشتركة معهم. أيضاً بسبب محاولات الفرار المحتملة، بفعل العون الخارجي الذي أنتم مؤهلون للحصول عليه».

■ **من يتخذ قرارات التمديد هذه؟**

ـ رسمياً يوقعها مدير السجن بتفويض خاص من وزيرة العدل.

وهي في الحقيقة إجراءات شكلية لا تعدو أن تكون محاولة للتغطية على وجود قرار إداري بإبقائي في العزلة مدى الحياة. وهو قرار يتنافى مع الإجراءات القضائية المعمول بها.

■ ما الهدف من إبقائكم في العزلة طوال كل هذه الفترة؟

ـ الهدف هو تحطيمي!

■ في ضوء تجربتك وتجارب من عايشتهم ـ عن بعد ـ من نزلاء بقية زنازين «قسم العزلة»، ما هي التأثيرات التي يمكن أن يتركها إخضاع السجين للعزلة لفترات طويلة، خصوصاً أن الخبراء النفسيين ينصحون بعدم تجاوز ٣ أشهر فقط، حفاظاً على التوازن النفسي للسجناء؟

ـ إن الإنسان بحكم كونه «حيواناً اجتماعياً»، يواجه عند إخضاعه لنظام العزلة ألماً لا يوصف. وذلك بفعل غياب أي اتصال أو حرارة إنسانية. وهذا الأمر من شأنه أن يترك آثاراً خطيرة ومتعددة، منها:

• إحساس بالإهانة و«القذارة» يدفع الكثيرين إلى إهمال أنفسهم جسدياً وفكرياً.

• الإصابة بـ «البارانويا»، بحكم إحساس السجين بأنه لم يعد «شخصاً»، بل مجرد «شيء» تتلاعب به الأيدي المعادية.

• تضخم «الأنا» بحكم العزلة والانغلاق على الذات.

• الانحطاط النفسي الناجم عن إهانة كرامة السجين في شكل

يومي، يدفع البعض إلى الأنانية المفرطة التي قد تصل أحياناً إلى حد التصرف في شكل صبياني.

• نوبات من العدائية والعنف، تتخللها فترات من الانهيار النفسي والميول الانتحارية.

• انهيار القيم الإنسانية في ذهنية السجين وتصرفات من حوله تولّد لديه أحياناً ـ يا لها من مفارقة ـ ميلاً مبالغاً فيه نحو التضامن مع قضايا الغير.

• ظهور مختلف أنواع الإصابات «الباثولوجية». حيث إن نظام العزلة يسرّع من وتيرة الشيخوخة الجسدية، وأبرز أعراضها: ضعف البصر والسمع، وظهور أمراض جلدية. إضافة إلى مختلف أنواع الأعراض والانحرافات النفسية، مثل تعكر المزاج وتقلبه، وتوتر الطباع والعنف، ومختلف النوبات العصبية التي يصل بعضها إلى حد «الشيزوفرينيا» (انفصام الشخصية).

وكل هذا يعدّ شكلاً من أشكال «التعذيب الأبيض» (غير الظاهر)، وهو يتنافى في شكل صارخ مع أبسط مبادئ حقوق الإنسان.

الفصل الثاني

حوار (٢)

قبل أن يستحق أسامة بن لادن صفة أشهر مطلوب في العالم، تمتع كارلوس بهذه الصفة على مدار ربع قرن قبل أن يحمل صفة أشهر سجين، في العالم. عشية الذكرى الأولى لهجمات نيويورك وواشنطن، أرسلت إلى كارلوس مجموعة أسئلة عن هجمات ١١ أيلول/سبتمبر وبن لادن ومحطات أخرى وجاءت أجوبته من سجنه الفرنسي بخط يده وهنا نص الحوار:

■ كيف عرفت بهجمات ١١ أيلول ٢٠٠١، وماذا كان شعورك لدى مشاهدتك انهيار برجي مركز التجارة العالمية؟ هل تمنيت لو أنك كنت وراء هذه الهجمات؟ وهل يبرر الحقد على الولايات المتحدة قتل آلاف المدنيين؟

ـ تابعت أخبار الهجوم من دون توقف منذ بدايته. ولا يمكنني أن أصف ذلك الشعور الرائع بالارتياح. وخطر لي أن تضحيتي الكبرى في الخرطوم لم تذهب هدراً.

في ربيع ١٩٩١ بعد الهجمات الجوية التي ألحقت دماراً هائلاً بالعراق، حضرت اجتماعاً مثيراً لكوادر من منظمات معادية للإمبريالية من مختلف المنابت والأيديولوجيات تم فيه التوصل في شكل عفوي وغير رسمي إلى ضرورة الرد بتفجيرات في الولايات المتحدة. وطرح الشهيد مير مرتضى بوتو، الأمين العام لمنظمة «ذو الفقار» الباكستانية، فكرة صدم المركز العالمي للتجارة في نيويورك بطائرة، وعدم الاقتصار على الأهداف المرشحة بداهة في واشنطن. الولايات المتحدة بالطبع بلد عظيم، بشعب ينشط في العمل، لكنه على قدر كبير من السذاجة. إنه شعب عظيم حقيقة ولا يستحق كره العالم بأسره. مع ذلك لا بد لكل محب للعدالة من أن يكره الإمبرياليين الأميركيين، الطغاة الأسوأ في تاريخ الإنسانية.

ضحايا الهجوم على البنتاغون لم يكونوا من المدنيين. أما مركز التجارة العالمية والمباني المجاورة فقد كان فيها الكثير من كبار العاملين في دوائر الاستخبارات. يبقى من الصحيح أن الغالبية الساحقة من الضحايا هناك كانوا من المدنيين العاملين في المضاربات المالية الأميركية الموجهة ضد بقية العالم، التي تكلف سكان العالم الثالث يومياً مليون ضحية من جراء الجوع وسوء التغذية والأمراض القابلة للعلاج.

■ هل ترى هجمات ١١ أيلول إرهاباً؟ وما هو رأيك بأسامة بن لادن؟ هل التقيته قبل دخولك السجن أو هل

حصلت مراسلات بينكما؟

ـ بمعنى واحد فقط، وهو أنهم أرعبوا العدو في كل أنحاء العالم. إن من المذهل أن واحداً من أبناء رجال الأعمال يختار ترك حياة الرفاه ليشارك في مقاومة السوفيات في أفغانستان، حيث تمكن من استعمال ثروته الخاصة لتعبئة وتدريب وتسليح وإدامة فيلق من المجاهدين الأجانب، وقيادته في المعارك لاحقاً.

وقد تقاطع دربانا في بيروت أوائل السبعينيات، حيث كان أسامة في شبابه يقضي إجازاته في لبنان.

■ **قبل ١٩٩٤ كنت نجماً والمطلوب الرقم واحد في العالم، والآن احتل بن لادن هذا الموقع، هل تشعر بالغيرة من نجوميته؟ هل تعتقد بأنه لا يزال حياً وأي مستقبل تتوقع له؟**

ـ الغيرة عاطفة منحطّة ومرفوضة. وأنا فخور بسير الشيخ أسامة بن لادن والمجاهدين الحقيقيين على الطريق الذي افتتحه الشهيد وديع حداد ورفاقنا وأنا.

آمل أنه لا يزال حياً. وإذا لم يكن قد نال الشهادة فلا بد من أنه سيلعب دوراً حاسماً (...).

■ **قبل دخولك السجن وقعت سلسلة أحداث بينها تفجير مقهى «لابيل» في برلين وانفجار «لوكربي» وانفجار طائرة «يوتا»، هل كانت لك أي علاقة بهذه الأحداث؟ هل ترى أن للشاب الليبي عبد الباسط المقرحي المعتقل علاقة فعلية بانفجار «لوكربي»؟ وهل لديك معلومات عن**

الجهات التي وقفت وراء هذه التفجيرات؟

ـ إننا لا نتحمل أي مسؤولية عن هذه الأحداث. لكن كان لدينا بعض المعلومات عن قضيتي «لابيل» و«لوكربي».

ونعرف أيضاً هوية غالبية الليبيين الذين أخطأت محكمة فرنسية «مضادة للإرهاب» عندما دانتهم غيابياً في تفجير (طائرة) «يو تي آي». إنني متأكد من عدم مسؤولية ليبيا عن تفجير طائرة «بان ام» فوق لوكربي. والاستخبارات البريطانية والأميركية على معرفة تامة بأن السيد المقرحي بريء. وليس هناك الكثير مما لا نعرفه عن المجريات في عالم العمليات الخارجية. إنني أصر على أن ليبيا لم تكن متورطة في هذا الهجوم بالذات.

■ **بلغني أنك قرأت ما نشرته صحيفة «لوموند» عن حلقات عاطف أبو بكر في «الحياة»، ما هو تعليقك وهل عرفت الرجل وكيف؟**

ـ أتذكر عاطف أبو بكر من أواخر السبعينيات، عندما كان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في براغ. كان شخصاً متواضعاً ذكياً ونزيهاً. كما كان مخلصاً في وطنيته ولم يكن عميلاً للاستخبارات التشيكوسلوفاكية (مثل كثيرين غيره آنذاك).

وعندما انضم إلى فتح ـ المجلس الثوري استغربت لناشط مثله ليس له هيئة قائد كوماندوس أن يتورط في حرب وحشية بين إخوان، حرب لا حدود لها ضد العدو وأيضاً ضد العرب المتعاملين مع إسرائيل. أعتقد بأن عاطف شخص صادق وشريف، مع ذلك أعترف بانزعاجي عندما قرأت ترجمة «لوموند» لتصريحاته في «الحياة».

■ قيل إن «أبو نضال» سعى بعد غياب الدكتور وديع حداد إلى استقطاب بعض الذين عملوا معه، فهل هذا صحيح؟ وقلت لي في حديث سابق إنه عرض عليك التعاون في ١٩٧٦، فهل التقيته، وأين، وهل حصل تعاون؟ وهل تعتقد بأن «أبو نضال» انتحر فعلاً؟

ـ لا أعرف أي تفاصيل عن سعي أبو نضال إلى ضم بعض أتباع أبو هاني.

وكنت في ١٥ أيار/مايو ١٩٧٦، قد قدمت استقالتي الخطية من الجبهة الشعبية إلى أبو هاني (مع نسخة إلى نائب الأمين العام للجبهة الشهيد أبو علي مصطفى). حصل ذلك في بغداد في مسكن خالة مسؤول عراقي كبير، وبحضور الشهيد ويلفريد بوز، الزعيم الرئيسي لمنظمة «الخلايا الثورية».

وبكى أبو هاني تأثراً. ثم أخبرنا أن «أبو نضال» عرض دعماً مادياً لمساعدة «الخلايا الثورية» على تصعيد الصراع ضد العدو المشترك في ألمانيا وغيرها، وأنه يريد لقاءه في مكتبه في بغداد لبحث الموضوع. ورفضت أولاً لأنني لم أعد معنياً بهذه الأمور، لكن إلحاح ويلفريد اضطرني في النهاية إلى الموافقة على الحضور بصفة مستشار له.

ونصحت ويلفريد برفض العرض البالغ السخاء الذي قدمه «أبو نضال». وأخذ الرجل بالنصيحة، على رغم استغرابه الشديد لموقفي. وأوضحت له لاحقاً المعلومات المفصلة التي قامت عليها نصيحتي، مركّزاً على خطورة التورط في الحروب الدموية داخل منظمة «فتح».

لا أعرف شيئاً عن موت أبو نضال غير ما نقله الإعلام، لذا تبقى

الاحتمالات مفتوحة. وليرحم الله روح صبري البنا.

▪ بماذا شعرت حين بلغك أن الدكتور حسن الترابي صار في السجن؟ هل تعتبره مسؤولاً عن الصفقة التي أوقعتك في يد الفرنسيين؟ وهل لديك المشاعر نفسها حيال الرئيس عمر البشير؟ وهل كنت على علم خلال وجودك في السودان بعلاقات النظام مع بن لادن ومجموعات أخرى؟

ـ فكرت أن العدالة يمكن أن تتحقق بأشكال غير متوقعة وضحكت كثيراً. وكان الدكتور الترابي قد أعلن شخصياً أنه أصدر أمر تسليمي إلى الشرطة الفرنسية في مطار الخرطوم ـ يليه في المسؤولية عن تلك الخيانة الرئيس البشير.

الشيخ أسامة كان شخصية شهيرة في الخرطوم، كما كان هناك حضور بارز لمجاهديه الأجانب، خصوصاً بسبب لحاهم وبشرتهم البيضاء.

▪ مواجهتك مع الأجهزة الفرنسية كانت طويلة، فهل حاولت ذات يوم إبرام اتفاق معك يقضي بعدم استخدامك الأراضي الفرنسية في مقابل توقفها عن تعقبك؟ وإذا كان الرد بالإيجاب فمتى، وكيف؟

ـ لا وجود لأي «صفقة» مع أجهزة الأمن الفرنسية. لكن كان هناك تفاهم سياسي على أرفع مستوى لطي الصفحة. ولم يمنع هذا الاستخبارات الأميركية من الاستمرار من خلال عملائها في فرنسا في محاولاتها «اصطياد كارلوس».

■ **لماذا اخترت الذهاب إلى الخرطوم وبأي ضمانة؟ وهل حاولت الذهاب إلى ليبيا ومتى كانت آخر زيارة لك إلى طرابلس؟**

ـ غادرت عمان إلى الخرطوم في آب/أغسطس ١٩٩٣ بهدف إنشاء قاعدة لتنظيم «منظمة الثوريين الأمميين» وإحداث اختراق استراتيجي في مجال العلاقات مع الجهاديين.

ولم تكن هناك حاجة إلى ضمانات رسمية في بلد لم تُكتم ثوريته.

الليبيون عاملونا بحياد ودّي، فهم لم يدعونا رسمياً إلى زيارة طرابلس ولم يمنعونا عن الزيارة. الوضع معهم كان غائماً.

آخر مرة سافرت فيها إلى طرابلس كانت في أيلول/سبتمبر ١٩٩١، لكنني أجبرت مع أسرتي على العودة على الطائرة السورية نفسها إلى دمشق بسبب استفزاز سوري ـ أميركي.

■ **هل زرت العراق بعد ١٩٩١، وما هو الغرض؟**

ـ لم أزر العراق منذ أواسط الثمانينيات، عندما تم الاتفاق على تجنب المزيد من المواجهات مع حلفائهم الفرنسيين.

الباب إلى العراق كان مفتوحاً أمامي مبدئياً. لكن على الصعيد العملي كانت هناك دوماً عوائق مصدرها الطرف العراقي أو نحن. ولم يشجعني ذلك على الذهاب إلى هناك، خصوصاً أن بغداد أصبحت طريقاً مسدوداً.

■ **تقول إنك أنقذت الملك عبد الله الثاني في ١٩٧١**

من عملية لخطفه، وإن ذلك سهّل الصلح مع الملك حسين ودخولكم إلى الأردن في بداية التسعينيات، ماذا عن عملية الخطف هذه وأين كانت مقررة ومن كان وراءها؟

ـ كان هناك قرار من الجبهة الشعبية لمبادلة أحد أفراد أسرة الملك حسين بسجنائنا في معسكر الجفر في صحراء جنوب الأردن. لكنني رفضت اختطاف الأمير عبد الله (كما كان وقتها) من مدرسته الداخلية البريطانية لأنه كان طفلاً. ورأيت أن حياته قد تتعرض للخطر إذا لم تسر الأمور على ما يرام. وقرر أبو هاني تبعاً لذلك إلغاء تلك العملية.

وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠ أرسل الملك حسين مبعوثاً إلي في دمشق يرحب بقدومي مع رفاقي إلى الأردن مع ضمان سلامتنا. لم يكن لذلك علاقة بقضية نجله عبد الله، بل جاء ضمن عرض لكل أطراف المقاومة الفلسطينية وحلفائها الذين كانوا في صراع مع الأردن، عدا أبو نضال و«فتح ـ المجلس الثوري». وارتبط توقيت العرض مع قرب الهجوم الأميركي على العراق، وكان فرصة تاريخية لإبلال الجراح القديمة وضمان دوام العرش الهاشمي في الأردن بعد الملك حسين الذي (كان) يعاني من مرض قاتل.

■ هناك من يقول إنك بحثت مع خصوم الرئيس علي ناصر محمد في اغتياله وأطلعته لاحقاً على هذه المسألة خلال لقاء معه في دمشق. فهل هذا الكلام دقيق وماذا عرضت عليه أيضاً؟

ـ كلا، هذا ليس صحيحاً.

لم ننحز إطلاقاً إلى جانب في الصراعات الداخلية بين الثوريين اليمنيين. كنا دائماً صريحين كلياً ومخلصين لرفاقنا اليمنيين، داخل السلطة وخارجها.

عندما فشل الرئيس علي ناصر محمد في محاولته الانقلابية على المكتب السياسي للحزب الاشتراكي اليمني الحاكم، أصدر الذين خلفوه حكم الإعدام غيابياً بحقه، وكانوا أيضاً أصدقاءنا وحتى أقرب إلينا، منذ وقت بعيد، بالمقارنة مع علي ناصر.

لم يُطلب منا إطلاقاً أن نقتل علي ناصر أو أن نتدخل في نزاعهم الداخلي أو صراعاتهم على السلطة. من جهة أخرى، أسر رئيس الاستخبارات الخارجية (عبد الله) فرحان وحكم عليه بالإعدام لدوره في محاولة الانقلاب الدموية. ولأنه كان صديقاً قديماً من أيام بيروت، وعلاقته وثيقة جداً بتنظيمنا، اقترحت رسمياً أن تجرى مبادلة حياته (ليس حريته بل فقط حياته) بحياة أي من الخونة اليمنيين الذين كانوا عملاء للأمبريالية في عهد الشيخ الحجري (...) الذي تم إعدامه في لندن على أيدي أحد ضباط الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بحضور عبد الله فرحان نفسه.

بعد فترة متوقعة من الصمت أعقبت اقتراحي، أبلغني أحد القادة الحاضرين تلقائياً أن من المستحيل إرجاء تنفيذ حكم الإعدام بـ (عبد الله) فرحان، لكن يمكنني أن أزوره كما أشاء قبل إعدامه. وأفتخر بأنني التقيت في اليمن عدداً من أروع الأبطال الثوار الذين عرفتهم وأكثرهم تفانياً وتضامناً.

■ **بعد أسابيع من عملية «أوبك» عقدت مع وديع حداد**

في مقره في عدن ثلاثة اجتماعات لتقويم ما حصل. ماذا تذكر من الحوار الذي دار بينكما؟

ـ الحقيقة هي أنه بعد عملية «أوبك»، اجتمعت مع أبو هاني أكثر بكثير من ثلاث مرات، في منزله في مقديشو ولاحقاً في عدن حيث عشنا معاً تحت السقف نفسه أيضاً. وكانت عملية «أوبك» موضوع حديث متكرر في ذلك الحين.

في عدن وفي معسكر التدريب في جعار، كانت هناك لقاءات عدة مع منظمات حليفة (لم تكن في الغالب متورطة في عملية «أوبك») كي نناقش هذه المسألة.

كانت هناك بالفعل في عدن مراجعة داخلية لعملية «أوبك» بهدف تعلم الدروس وتجنب تكرار الأخطاء في المستقبل. وكان الاستنتاج الذي توصل إليه أبو هاني أنه كنتيجة لهذه العملية فتحت أمامنا الآفاق على نحو مثير وبدأنا نجني ثمارها. لكنني انتُقدت لأنني لم أقتل الشيخ أحمد زكي اليماني كما أمر أبو هاني.

▪ **يقال إن وديع سألك لماذا خالفت التعليمات وكشفت هويتك، ولماذا لم تقتل الوزيرين، وسألك عما يتردد عن فدية دفعت، وإنه قال لك في النهاية «نحن في معركة ونخوض قتالاً ولسنا فريق كشافة»، الرجاء توضيح هذه المسائل.**

ـ أنا لم أكشف هويتي. نادى أحد «ضيوفنا» بصوت عال واضح «كارلوس» بعدما توقف إطلاق النار، وبدأت أتحدث إليهم باللغة الإنكليزية.

كان أبو هاني قد أمرني فقط أن أقتل وزير النفط السعودي الشيخ اليماني. أما القرار بإعدام الوزير الإيراني والمفاوض الرئيسي لـ «أوبك» جمشيد أموزيغار فقد اتخذته وحدي في فيينا، وأيد قراري ويلفريد بوز وأنيس النقاش بحماسة.

كان أبو هاني قد رفض بوضوح أي عرض لفدية خلال هذه العملية.

في ذلك الحين كان لدي شخصياً سجل عمليات نفّذتها لمصلحة المقاومة الفلسطينية، عدا العمليات الكثيرة التي قمت بإدارتها وتنسيقها أو التخطيط لها. ولم أكن بحاجة إلى من يذكرني آنذاك بأننا «نخوض حرباً». كان موقفي الفروسي خلال العمليات الكثيرة التي قدتها قد أدى فعلاً إلى التعليق بأننا «لسنا فريقاً من الكشافة». لا أستطيع أن أتجاوز أصولي، والتمسك بالتقاليد الإسبانية العريقة التي أعتز بها كثيراً.

■ **يقول الرجل الذي أشرف على تدريبك في معسكر عدن، إنك كنت مولعاً بالرماية بالمسدس وتابعت دورة متفجرات، فهل هذا دقيق، وماذا تذكر عن ذلك المعسكر؟ تدربت في الأردن واليمن الجنوبي، فهل تابعت دورات في لبنان والعراق، أين ومتى؟**

ـ كان أبو هاني القائد الصارم لمعسكر التدريب في جعار، وقد تركني مسؤولاً عن المعسكر عندما رحل في البداية إلى بيروت وبعدها إلى نيروبي. واصلت تدريب المقاتلين الذين أصبحوا، جميعاً، خبراء في الرماية بالمسدس تلقائياً، وفي القتال داخل منزل من غرفة إلى أخرى، وهو ما أدخلته في برنامج التدريب.

أما بالنسبة إلى التدريب الذي تلقيته في آب/أغسطس أيلول/سبتمبر ١٩٧٥، فكان بهدف استعادة لياقتي البدنية بعدما أصبت بتسمم إثر تناول ساندويش دجاج في الكويت. كنت بالفعل خبيراً بالأسلحة الخفيفة والمتفجرات، ولم يكن منهاج التدريب الممتاز على المتفجرات الذي يعطيه (...) يتضمن أكثر مما كنت أعرفه بالفعل كأحد مقاتلي حرب العصابات المجربين. أقيم المعسكر على قمة تلة، حول مخفر سابق للشرطة يرجع إلى فترة الاستعمار البريطاني في منطقة نفوذ سلطان جعار سابقاً. كان الجو رفاقياً حميماً، خصوصاً وسط قدامى المقاتلين الذين كانوا ينامون في الطابق الثاني. كان أبو حنفي بدوياً رائعاً من بئر سبع، ومقاتلاً محترفاً في جيش التحرير الفلسطيني في غزة. أما البقية فكانوا جميعاً مقاتلين محنكين شاركوا في عمليات كثيرة.

اعتدت الذهاب إلى لبنان للتدرب على رمي أهداف، واستمر ذلك إلى ١٩٩١. لم تكن لدينا منشآت تدريب في العراق.

▪ هل تعرفت خلال إقامتك في دمشق إلى الوزير اللبناني الراحل إيلي حبيقة؟ وهل ربطتك علاقة بآغوب آغوبيان (مجاهد) زعيم الجيش الأرمني السري؟ وماذا تذكر عن «مريم» من «الجيش الأحمر الياباني»؟

ـ التقيت إيلي حبيقة في دمشق، وأعطاني انطباعاً جيداً. كان الرئيس الأسد أطلعه على أخطائه، وانتقل بثبات إلى الجانب الوطني ضد إسرائيل.

كان الشهيد «مجاهد» (آغوب آغوبيان) مقاتل كوماندوس جسوراً. ولم يكن بطلاً للقضية الأرمنية فحسب، بل أحد أبطال القضية

الفلسطينية أيضاً.

التقيت فوساكو شيغروبو (مريم) للمرة الأولى في بيروت، في تموز/ يوليو ١٩٧١ وقدمها «باسم» الذي كان أحد زعماء التنظيم الذي قاد العملية في مطار اللد وقتل فيها.

كانت «مريم» امرأة تتحلى بشخصية مميزة وإيمان راسخ. وقادت منظمتها بكفاءة عالية.

■ كيف تفسر نجاح أنيس النقاش في أن يخفي عن المحققين الفرنسيين دوره في تنفيذ عملية «أوبك» على رغم إقامته سنوات في السجن الفرنسي لمحاولته اغتيال شهبور بختيار؟

ـ كان العدو يعرف جيداً أن أنيس شارك في عملية «أوبك» باعتباره مساعداً لقائدها. لكنهم تظاهروا بأنهم لا يعرفون (لتجنب تعقيدات لا ضرورة لها). وهذا هو السبب الذي دفعني إلى توجيه رسالة مفتوحة في ١٩٩٥ كي أحذر أنيس من دخول بلد يمكن أن يعرضه لخطر، بعدما رفض محاميه إبلاغه ذلك.

■ قلت في حديثنا السابق إن آخر زيارة لك إلى بيروت كانت في ١٩٩١؟ كيف دخلت وماذا كان الغرض من الزيارة؟

ـ أصبح لبنان موطني الثاني منذ ١٩٧١. وزرت بيروت للمرة الأخيرة في آب/أغسطس ١٩٩١. أتيت من طريق البر من سورية، مستخدماً وثائق سورية، مثل كل قادة المقاومة الآخرين المعروفين. استفدت من رحلاتي الأخيرة إلى بيروت في صيف ١٩٩١

للحصول على جواز سفر لأصغر بناتي، ولإجراء اتصالات سياسية.

■ **لو طلب منك اليوم أن تكتب رسالة إلى أسامة بن لادن، فماذا تقول فيها؟**

ـ سأبدأ بتحيات أخوية، ثم أشجعه على مواصلة الكفاح والمحافظة على حياته لأنه أصبح رمز الجهاد.

وسأطلب منه أن يواصل العمل الذي بدأه في الخرطوم، ويطور علاقات استراتيجية بين الحركة الجهادية ومنظمات أخرى غير دينية مناهضة للإمبريالية.

وقبل أن أختم، أود أن أكتب:

الله أكبر.

كارلوس

سجن لا سانتيه، أيلول ٢٠٠٢

الفصل الثالث

مراسلات كارلوس منذ اعتقاله

منذ اعتقاله في منتصف شهر آب/أغسطس ١٩٩٤، بعث كارلوس من زنزانته في السجن الفرنسي بمراسلات ووثائق مكتوبة عدة، بعضها كان موجهاً إلى المحامين الموكلين للدفاع عنه، وبعضها إلى السلطات القضائية الفرنسية. أما البعض الآخر فإلى شخصيات سياسية بارزة، بينها ملوك ورؤساء دول.

وبقطع النظر عن المناسبات الظرفية، المتفاوتة الأهمية، التي تمت كتابة هذه الرسائل ضمنها، فإنها تشكل وثائق مهمة تكشف المزيد عن شخصية الرجل وأفكاره. كذلك تتضمن الكثير من الخفايا والأسرار. ونقدم في ما يلي تلخيصاً لأهم مراسلات كارلوس من السجن، كما وردت إلينا وفق تسلسلها الكرونولوجي:

١٠ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٨: «وصية»

كتب كارلوس هذا النص خلال الإضراب عن الطعام الذي أعلن آنذاك أنه لن يتوقف عنه حتى الموت. ولم يتراجع عن قراره سوى بعد ٣ أسابيع، إثر تلقّيه رسائل كثيرة من رفاق دربه السابقين، أبرزها رسالة من الدكتور جورج حبش تطلب منه الكف عن الإضراب، وتوقف بعد تلقيها مباشرة.

وجاء في نص «وصية» كارلوس، التي حملت عنوان «في حال موتي»:

لست ناقماً على فرنسا.

أحب فرنسا، فرنسا الأبدية. وسأعتبر التعرض باسمي لسلامة أي مواطن فرنسي خيانة لي.

في المقابل أطالب، في أمنية أخيرة لي، كشهيد حي، بأن عدواً أميركياً أو صهيونياً يجب أن يُقتل في مقابل كل يوم أمضيته في السجن في فرنسا. وأعتبر تحقيق هذا المطلب واجباً على رفاقي، وكل المجاهدين، وكل الثوار عبر العالم.

فلسطين واحدة ولا تتجزأ.

الله أكبر.

التوقيع: كارلوس.

□□□

١٠ تشرين الثاني ١٩٩٨: «اغتيال بومدين»

أرفق كارلوس وصيته برسالة حررها بالإنكليزية، وخاطب فيها روح الشهيد وديع حداد. جاء في الرسالة:

العزيز أبو هاني،

أكتب إليك في هذا اليوم الثالث من الإضراب عن الأكل والشراب.

إن شاء الله سألتحق بك في الأسبوع المقبل، وبكل رفاقنا الذين رحلوا.

سوف نلعب «البينغ ـ بونغ»، وسنربح مجدداً.

أنت المسيحي البروتستانتي، الذي كان يحب الاستماع بشغف إلى صوت الأذان ونداء «الله أكبر» في القاهرة، وأنا الذي اعتنقت الإسلام وفزت من زمان بمكاني في الجنة، كلانا كنا نتقاسم التفاني نفسه من أجل القدس والبقاع المقدسة المباركة التي لا تتجزأ.

إن الأيدي الغادرة التي اغتالتك هي الأيدي ذاتها التي اغتالت هواري بومدين، وتشارك اليوم في اغتيالي أنا.

الوفي لك في الثورة إلى الأبد.

الله أكبر.

التوقيع: «سالم».

□□□

٣٠ آب ١٩٩٨: «مبايعة» أسامة بن لادن

بعث كارلوس بهذه الرسالة إلى بشير بن ياحمد، الصحافي التونسي الشهير، ومدير مجلة «جون أفريك» في باريس، في أعقاب تفجيري «نيروبي» و«دار السلام»، والضربات الجوية الانتقامية الأميركية ضد السودان وأفغانستان. وفيها يتحدث كارلوس عن هذين التفجيرين كـ «امتداد تاريخي» للعمليات التي كان يقوم بها في السبعينيات. مما اعتُبر في حينه «مبايعة» من كارلوس لأُسامة بن لادن خليفة له على عرش «الإرهاب الدولي». وجاء في الرسالة:

سيدي العزيز،

عطفاً على الاهتمام الذي أبداه المتعاونون معكم، أكتب إليكم تعليقاً على الاعتداء الأميركي ضد الشعبين السوداني والأفغاني.

وبحسب ما أعرفه، الحكومة السودانية ليس لها أي ضلوع في عمليات ثورية مسلحة.

والاعتداء الإمبريالي عليها يهدف إلى:

ـ منع السودانيين من التحرر من تبعيتهم للخارج، وترسيخ حضور الجمعيات غير الحكومية التي تعد بمثابة «حصان طروادة» بالنسبة إلى الدول الغربية في هذا البلد.

ـ دعم التمرد الجنوبي، بهدف الرقابة الاستراتيجية على منابع مياه النيل لعرقلة تحوّل السودان إلى «مخزن حبوب» يمد كل العالم العربي وأفريقيا. وأيضاً لعرقلة المد الإسلامي الذي يحرر الأفارقة من عُقدهم الاستعمارية.

وأما الاعتداء على أفغانستان، فإن أهدافه هي:

ـ بسط نفوذ عملاء الاستخبارات المركزية الأميركية والباكستانية على حركة «طالبان»، عبر استراتيجية «العصا وحبة الجزر».

ـ تفكيك البنى والقواعد السياسية والعسكرية للتنظيمات الثورية الإسلامية على جانبي الحدود الباكستانية ـ الأفغانية.

ـ عزل الضباط ذوي الميول القومية في صفوف جيش أول قوة نووية إسلامية، لإرغام باكستان على أن تصبح عضواً خاضعاً في ما يشبه «حلف بغداد» جديداً.

ولا شك في أن قضية مونيكا لوينسكي القذرة، شكلت دافعاً آخر للبيت الأبيض في هذين الاعتداءين.

وتفجيرا «نيروبي» و«دار السلام»، أعتبرهما بمثابة الاستمرار التاريخي للعمليات التي بدأناها نحن، قبل ربع قرن، في ضرب الأهداف الصهيونية في منطقة شرق أفريقيا، أرضاً وبحراً وجواً.

وبانتظار قراءة ما تكتبونه، أجدد لكم تحياتي الثورية.

التوقيع: كارلوس.



١٥ تشرين الثاني ١٩٩٩: إنقاذ الملك عبد الله

بعث كارلوس بهذه الرسالة إلى العاهل الأردني الملك عبد الله، لمناسبة الزيارة التي قام بها آنذاك إلى باريس. وجاء في الرسالة:

صاحب السمو الملكي عبد الله الثاني

سيدي،

أطلب منك علناً «الأمان» لزوجتي الفلسطينية لانا عبدالسلام أدهم جرار، التي ولدت في عمان، بتاريخ ١٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٨، وهي من رعايا مملكتكم الهاشمية.

لقد تزوجنا في عمان، خلال ربيع العام ١٩٩٣. وقد اختُطفت لانا برفقتي في الخرطوم، من قبل رجال الشرطة الفرنسية، يوم ١٥ آب/أغسطس ١٩٩٤، واختفت منذ ذلك الحين.

إنني أشكر المولى لأنه وجّه خطاي، حين قمت بإجهاض عملية اختطاف كانت تستهدف شخصكم، سنة ١٩٧١، مما سمح لنا بالصلح مع والدكم الملك الحسين بن طلال، في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٠. (...)

الوفي لكم في الثورة.

التوقيع: كارلوس.

□ □ □

١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٠: رسالة إلى الرئيس بوتفليقة

بعث كارلوس بهذه الرسالة إلى الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة لإبلاغه بتهديدات ضد محاميته الفرنسية إيزابيل كوتان بير، من مساجين جزائريين يشتبه كارلوس في أن لهم صلة بالاستخبارات الجزائرية. وجاء في الرسالة:

إلى السيد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

أخي العزيز،

في السابق، حين كانت الجزائر تتحدث، كان العالم بأكمله ينصت لما تقول. وكان الجزائريون يسافرون بحرية أينما يشاؤون، فخورين ومحترمين.

وها أنت تخاطر بحياتك في هذه الفترة الانتقالية من أجل استكمال التطلعات الديموقراطية التي يصبو إليها الجزائريون، كامتداد لتقاليد ثورة التحرير، ووفق القيم والمبادئ الإسلامية.

إن طبع الوفاء الذي أتسم به نحو أهلي ورفاقي يدفع بي اليوم إلى الكتابة إليكم.

فخلال جولتي الانفرادية في ساحة السجن مساء البارحة، سمعت سجيناً جزائرياً يدعى كريم محمد العرباوي، محكوم عليه بالسجن لمدة طويلة، يصيح وهو يخاطبني عن بُعد، بأنه أبلغ «الإخوة» أن محاميتي إيزابيل كوتان بير (الموكلة أيضاً عن السجين الجزائري عبد الحميد حكار، وعن مساجين سياسيين جزائريين آخرين في فرنسا) هي من «عملاء» الاستخبارات الجزائرية، كونها تزور السفارات العربية، واشتركت أخيراً في الاحتفال الأخير بالعيد الوطني الجزائري في باريس.

ولا شك في أن دور «ماتا هاري» هذا سوف لن يثير سوى الضحك لدى المحامية. لكن هذا النداء الذي يعتبر أمراً بالقتل، جاء من قبل شخص على رغم أنني أعرف أنه مغمور وبلا قيمة، إلا أنه يلازمني عن بعد منذ خمس سنوات كاملة. وذلك سواء

في قسم العزلة في سجن «فرين» أو سجن «لاسانتيه»، أو عبر البريد الذي يواظب على إرساله لي في شكل متواصل، من المراكز والسجون التي يُنقل إليها.

ونحن واعون منذ خمس سنوات بطبيعة «اللعبة» التي تتخفى وراء هذه الاستفزازات. لكن «العرباوي» قطع شوطاً جديداً على درب السفالة الذي أظهره دوماً، حيث إنه هددني أمس صراحة بابن عمه «الكولونيل في الأمن العسكري».

وليس هذا بجديد، فقد كنت شاهداً في السابق على تصرفات ضباط جزائريين مرتدّين وخونة، في بيروت ولوزان والخرطوم وباريس، بعد أن أُطلق لهم العنان من دون أي قيد، إثر إحالة الجنرال محجوب الأكحل عياط على التقاعد. وهؤلاء الضباط تورطوا في تواطؤات غير طبيعية مع الضابط الفرنسيين وضباط حلف الأطلسي.

إن كل التهديدات والضغوط والاستفزازات التي تُمارَس من جانب «المصالح» الفرنسية لم تنجح في منع المحامين الموكلين عني من التمسك بشرفهم والعهد الذي قطعوه على أنفسهم كمحامين.

وباسم الصداقة التي بيننا، أُشهِدكم سيدي الرئيس، أنتم والشعب الجزائري الشقيق، أنه لو حدث مكروه للمحامين الموكلين عني، إيزابيل كوتان بير وفرنسيس فيلمان، أو أي محام آخر من المخلصين لقضيتي، فإن ذلك سيكون فعلة مدبرة من ضباط جزائريين خائنين للوطن بالتواطؤ مع شركائهم الفرنسيين، وليس من فعل «جماعة إسلامية مسلحة» ما، بعد أن أصبحت هذه التسمية في متناول الجميع لاستعمالها كما يشاء للتمويه على كل البشائع.

إنني أطالب بإجهاض «قضية مسيلي جديدة». (في إشارة إلى اغتيال المعارض الجزائري علي مسيلي من جانب الاستخبارات الجزائرية في باريس، بالتواطؤ مع أجهزة الأمن الفرنسية، سنة ١٩٨٧).

وأذكّركم، سيدي الرئيس، أن جورج إبراهيم عبد الله لا يزال في السجن، ضحية الإخلال بـ «كلمة الشرف» التي مُنحت له من فرنسا، بضمانات جزائرية. وأشير أيضاً إلى قضية الجزائري عبد الحميد حكار، الذي هو ضحية مؤامرة قضائية حقيرة في فرنسا. وهما لا بد من أن يطلق سراحهما، وأن يحصلا على التعويضات اللازمة، قبل أن يعودا إلى أرض الوطن.

ووفاء لذكرى شهدائنا، أقبّلكم أخوياً.

مع تحياتي الثورية.

التوقيع: كارلوس.

□□□

لاحقاً تلقيت من كارلوس، بواسطة محاميته، وبخط يده الرواية الكاملة لعملية فيينا

مقر «أوبك»

فيينا، في الواحد والعشرين من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥

أنا اللاعب الوحيد في العملية الخارجية التاريخية للمقاومة الفلسطينية التي تميزت ببعدها الدولي الجيد، إذ واكبتها منذ إعدادها مروراً بمراحلها كلها، من التحضير إلى التنفيذ والمتابعة في

ما بعد، التنفيذ لا سيما على الصعيد الأمني واللوجستي والسياسي والديبلوماسي. وأنا مخطط هذه العملية وقائدها العسكري، وذلك يمنحني الكفاءة لسرد سيرها بأدق تفاصيلها.

«العقل المدبر»: العقيد معمر القذافي

التنسيق الاستراتيجي: كمال خير بك

الإعداد: الدكتور وديع حداد

التخطيط: إليش راميريز سانشيز

التنسيق الخارجي: ويلفريد بوز

التنسيق العربي: أنيس نقاش

كان الراحل كمال خير بك[١] من الطائفة العلوية[٢]. ولد في منطقة القرداحة[٣]، وجلس على مقاعد الدراسة إلى جانب رفعت الأسد[٤]. حكم على كمال صورياً بالإعدام إثر اتهامه باغتيال عدنان المالكي[٥] سنة ١٩٥٥ في ملعب رياضي في دمشق.

انطلقت عملية «أوبك» مع كمال الذي كان عضواً في المجلس الأعلى للحزب السوري القومي الاجتماعي، وشارك في تأسيس منظمة أيلول الأسود[٦] إلى جانب الراحل فؤاد الشمالي[٧] وفؤاد عوض[٨] والشهيد علي حسن سلامة[٩]، بتمويل من ياسر عرفات[١٠] الذي قدم مليون دولار لهذه الغاية.

استقبل قائد الثورة الليبية «الأخ العقيد معمر القذافي» كمال في طرابلس الغرب نهاية تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٥ واقترح عليه... أو بالأحرى سأله إن كان بإمكانه تنفيذ عملية «أوبك» في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر، عارضاً عليه تزويده المعلومات والأسلحة والنفقات اللازمة. فأجاب كمال: «مستحيل، ليس لدينا الوقت الكافي... كارلوس هو الوحيد الذي يمكنه تحضير مثل هذه العملية في وقت قصير». وكان الدافع الأولي للقذافي إقدام السعودية على خفض أسعار النفط إلى أدنى المستويات.

التقى كمال خلال زيارته طرابلس الغرب رئيس الأركان اللواء أبو بكر يونس جابر ورمضان، المسؤول عن العلاقات الدولية في حزب الاتحاد الاشتراكي العربي (الحزب الحاكم الوحيد) والذي أوكلت إليه مهمة متابعة العملية، وأعطاه ٣٠ ألف دولار لتغطية النفقات الأولية وتكاليف السفر إلى عدن (عاصمة جمهورية اليمن الديموقراطية التي تم توحيدها مع اليمن الشمالي).

سافر كمال أوائل تشرين الثاني/نوفمبر إلى خور مكسر[١١] حيث اجتمع معي فور وصوله. وأعطيته موافقتي شرط الحصول على رد إيجابي من زعيمنا وديع حداد (أبو هاني)[١٢] الذي قال لاحقاً: «هؤلاء ليسوا جادين» وسألني إن كان لدينا الوقت الكافي لتنفيذ المخطط. وإذ تحدثت عن الموضوع مع ويلفريد بوز[١٣]، أجبته «طبعاً»، إن باشرنا فوراً.

وافق أبو هاني على العملية شرط أن يقدم الليبيون المعلومات والأسلحة، رافضاً تسديدهم نفقات العملية تجنباً لأي حيلة مالية قد يلجأون إليها، وأوكل مهمة تسديد كل النفقات إلى «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين». وفوضني أبو هاني كامل الصلاحيات لتنفيذ العملية، وحملت إلى بيروت رسالة وجهها إلى المسؤول

الإداري عن العمليات الخارجية في «الجبهة الشعبية» وعضو اللجنة المركزية.

وصلت بصحبة ويلفريد إلى مطار بيروت في خضم الحرب الأهلية اللبنانية، وتوجهنا فوراً إلى منزل كمال. بعدها، ذهب ويلفريد لملاقاة أصدقائنا في حركة «الجيش الأحمر» الذين كانوا تحت حماية أبو الحسن. وقدم لي أبو محمد ٢٣ ألف دولار من أصل الخمسين ألفاً التي كنت قد طلبتها منه. وأعطيت إثر ذلك تعليمات باستحضار اختصاصي في المتفجرات من بغداد يدعى يوسف وهو فلسطيني الأصل، كنت أثق به تمام الثقة.

سافر كمال خلسة إلى دمشق، متوجهاً إلى السفارة الليبية للاجتماع بحسونة شاويش معاون رمضان، الذي أكد له أن الأسلحة والمعلومات ستصل قريباً إلى فيينا، وأعطاه ١٠٠ ألف دولار لتغطية نفقات العملية. غير أن المسؤول في «المجال الخارجي» أوقف التمويل من باب الحذر والاحتياط لكون الليبيين لم يقدموا المعلومات المطلوبة. وقررنا أنا وكمال وفؤاد عوض وويلفريد اقتناص هذه الفرصة التاريخية، وطلبت من كمال إعطاء ويلفريد ٤٠ ألف دولار للسفر إلى زوريخ.

اختار كمال شاباً لبنانياً أوروبي المظهر للانخراط في الكوماندوس، غير أن الأخير قتل مع رفاقه في مكمن نصبته «القوات اللبنانية»، فاستبدله كمال بحارسه المخلص جوزف وهو ضابط صف في كتيبة رماة البحرية. بعدها استدعى كمال أنيس نقاش[١٤] الذي أصبح معاوني في مرحلة لاحقة.

وصلت إلى فيينا في القطار مع ويلفريد وهانز يواكيم كلاين[١٥] الذي كان سيحل مكان ويلفريد في الكوماندوز. كنت أرفض

تعريض الأخير للخطر على رغم قدراته العسكرية (دربته بنفسي) لأنه كان قائد حرب العصابات الألمانية حينها، وكنت أرى فيه خلفاً لي في النضال في حال حصول أي مكروه. سافر أنيس إلى بيرن لزيارة عمه سفير لبنان آنذاك، ومن ثم لاقاني في فيينا وكان قد طلب من معاونه الخاص (اختصاصي ممتاز في المتفجرات) البقاء في جنيف لتأمين استمرارية التواصل. وقابل أنيس سفير ليبيا في فيينا الرائد عزالدين الغدمسي الذي لم يكن على علم بالمخطط، ثم عاد بسرعة إلى بيروت.

عاد كمال إلى دمشق واجتمع بحسونة شاويش الذي وعده بأن الأسلحة والمعلومات ستصل قريباً إلى فيينا.

في التاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر ١٩٧٥، وصلتنا التجهيزات في منتصف الليل، في سيارتين تابعتين للسفير الليبي وكنا في مكان يواجه أوبرا فيينا. إلا أن المعلومات التي أتى بها حسونة كانت مشتتة غير دقيقة، باستثناء الخبر المتعلق بتمديد المؤتمر (مؤتمر أوبك) حتى الأحد ٢١ كانون الأول/ديسمبر، نهار الانقلاب الشمسي.

وصلت ندى المناضلة في سبيل القضية الدولية، حاملة رسالة من أبو هاني أمرنا فيها بوقف العملية تخوفاً من تسبب الليبيين بكارثة. وعندما رأت ندى أن كل شيء أصبح حاضراً، عادت إلى مركز القتال، كما كان متفقاً عليه.

قسمت الكوماندوز إلى ثلاث فرق ثنائية:

كارلوس، القائد: رشاش بيريتا + مسدس براوننغ الفائق القوة (HP) + قنبلتان يدويتان

أنيس النقاش، القائد الثاني للعملية: مسدسان من طراز براوننغ (HP) + قنبلتان يدويتان

ندى: مسدس توكاريف + قنبلة يدوية

يوسف: توكاريف + قنبلة يدوية + متفجرات ـ أدوات تفجير

كلين: براوننغ (HP) + مسدس سميث أند ويسون + قنبلتان يدويتان

جوزف: رشاش بيريتا + براوننغ (HP) + قنبلتان يدويتان

كانت القنابل الدفاعية (الشظوية) التي في حوزتنا من صنع روسي. أمَّن لنا اللوجستية والحماية واحتياطي المقاتلين (مقاتلين اثنين) في فيينا ١٦ مناضلاً دولياً من جنسيات مختلفة، تحت قيادة ويلفريد بوز.

قمنا بكل التحضيرات بمساعدة الليبيين من دون حساب النفقات، كما أقدمنا بإمكاناتنا الخاصة على تخزين الذخائر لتسليح ١٢ مقاتلاً. وخططنا لعمليات دعم وحددنا طريقاً تخولنا الانسحاب باتجاه تشيكوسلوفاكيا.

روقب الهدف في صورة متواصلة حتى اليوم الأخير، ونجحنا (كنت من ضمن الفرقة) في الدخول إلى مقر «أوبك» مرات عدة. وتمكنا من إطلاق العملية ابتداءً من ٢٠ كانون الأول/ديسمبر، من دون أي تدخل من الليبيين.

صعدنا في الترامواي أنا وويلفريد وزميل آخر، نهار ٢١ كانون الأول/ديسمبر، ومن ثم مشينا بضعة أمتار ووصلنا إلى وجهتنا. كانت أبواب المبنى الذي يقع مقر «أوبك» في الطابق الأول منه،

مقفلة باستثناء الباب الرئيسي. وكان في البهو ثلاثة شرطيين، أحدهم يحرس الباب الرئيسي، أما الاثنان الآخران فكانا موجودين مع الصحافيين، مقابل الدرج ومصعدي المبنى. وكان في الطابق الأول قرب الاستعلامات ما يقارب الاثني عشر شخصاً، بينهم شرطيون نمساويون باللباس المدني وطايع عبد الكريم، الحارس الشخصي لوزير النفط الإيراني. أما الحراس الآخرون بمن فيهم أولئك التابعون لجهاز السافاك[١٦] فكانوا ينتظرون قرب سيارات الليموزين في الساحة النصف دائرية المعبدة والمؤدية إلى المدخل الرئيسي.

دخلت المبنى أولاً ولحقني الآخرون واحداً خلف الآخر، وكنا نتكلم بالإنكليزية للإيحاء بأننا من طاقم الصحافيين. صعدنا الدرج باتجاه الطابق الأول وشنيت الهجوم بتغطية من أنيس، مسيطراً بالكامل على الموجودين في قاعة الاستعلامات. لكن بدلاً من انتظاري، مشى أنيس نحو اليمين ودخل قاعة المؤتمرات في آخر الممر، حيث أُطلقت النار عليه. فوصلت خلفه وأحكمت السيطرة على القاعة بعد إطلاق للنار أدى إلى مقتل الكابتن يوسف إزمرلي، معاون الوزير الليبي، وإصابة مفوض كويتي بذراعه.

بعدها، تمركزت ندى ويوسف مكاننا في قاعة الاستعلامات، وعندما حاول شرطي نمسوي وموظفة في المبنى الفرار، أمرتهما ندى بملازمة مكانهما، وأصابت الشرطي برصاصة في ظهره، فعادت الموظفة أدراجها.

وكان يوسف وكلاين في مركز المؤخرة، يغطيان المصعدين والدرج. نزع كلاين سلاح الشرطي الممدد على الأرض، ومن ثم وضعه في المصعد بمساعدة ندى التي ضغطت على زر الطابق الأرضي، وتوفي الشرطي لاحقاً في المستشفى.

التقط الملازم العراقي علاء حسن الذي تزيد قامته على قامة ندى بثلاثين سنتيمتراً يدها من الخلف لنزع سلاحها. وعلى رغم أنه كان مصاباً بذراعه، استمر في الإمساك بها من الخلف. فالتفت كلاين الذي كان دمّر جهاز الاتصالات برصاصات (أصابت إحداها السماعة التي توضع داخل أذن موظفة الاتصالات) وأصاب الملازم العراقي برصاصة في جبينه. فترك علاء حسن يد ندى، ومشى ببطء قبل أن يسقط في المدخل. عندها، توجه كلاين نحوه وأخذ مسدسه الذي كان داخل القراب. وشهد على هذه الحادثة ما يقارب الاثني عشر نمسوياً.

طلبت من أنيس مراقبة الموفدين الممددين أرضاً وفتشت المكاتب، ومن ثم أمرت الجميع (أكثر من مئة شخص) بالدخول إلى قاعة المؤتمرات. إثر ذلك طلبت من أفراد الكوماندوز الانتشار في الممر المؤدي إلى الصالة، حيث كنا موجودين أنا وأنيس. وضع يوسف العبوة الناسفة في زاوية من الصالة، وكانت معدة للانفجار في ثلاث حالات:

١ ـ إن أمرت يوسف بذلك.

٢ ـ إن قتلني أحدهم أمام عينيه.

٣ ـ إن دخل مقاتلون إلى الصالة.

كان يوسف وكلاين متمركزين عند أول الممر، في الجهتين اليمنى واليسرى، وأتت ندى فيما بعد لمساندتهما، وترددت إياباً وذهاباً باتجاه الصالة. أطلقت الكويتي الجريح الذي استخدم حزامه لتضميد جرحه، وتبعه المترجم البريطاني الذي أوكلنا إليه نقل مطالبنا إلى السلطات. هاجمنا فوج التدخل التابع للشرطة، ونجح

القائد السابق للفيرماخت في دخول قاعة الاستعلامات، وأطلق ثلاث رصاصات باتجاه يوسف، لكن الرصاص ارتدَّ على كلاين، فأصيب برصاصة في أسفل بطنه، أما الرصاصتان الأخريان فثقبتا سترته ورجْل سرواله. إثر ذلك أصاب كلاين النمسوي برصاصة في مؤخرته. وتواجد الاثنان فيما بعد في الغرفة ذاتها في المستشفى.

رمى جوزف قنبلة يدوية بأمر مني، أدت إلى شل الهجوم. بعدها أطلقت سكرتيرة الأمين العام لـ «أوبك»، وهي امرأة فائقة الجمال طويلة القامة، لمساعدة الشرطي الجريح على الخروج من المبنى إن اقتضت الحاجة، وإخبار السلطات بأننا سنقوم بعملية قتل جديدة سيكون نائب الوزير السعودي أول ضحاياها. وخرج الشرطي الجريح من المبنى وهو يقفز على رِجله، حاملاً سلاح الـ «عوزي» الخاص به من طرفه الأعلى بيده اليسرى (بالإبهام والسبابة)، وكنت أرافقه وفي يدي قنبلة نزعت صمامها.

عاد الروتين بعد هذه الأجواء المشحونة. فكان البيان المترجم إلى الفرنسية يتلى في صورة منتظمة عبر الراديو، وحضر سفراء وقائمون بأعمال من العراق والجزائر والسعودية وإيران وفنزويلا وليبيا (بعد عودة سفيرها من زيارته السريعة الفاشلة إلى بودابست، حيث كان مفوضاً أيضاً) للتكلم مع وزرائهم في الممر. وكلف رياض العزاوي وفق تعليمات أتت من العراق، مهمة تأمين الوساطة مع المستشار كرايسكي.

توزع زوارنا على الشكل الآتي:

١ ـ أصدقاؤنا: العراقيون والجزائريون والليبيون والكويتيون.

٢ ـ أعداؤنا: السعوديون والإماراتيون والقطريون.

٣ ـ الحياديون: الإندونيسيون والنيجيريون والغابونيون والإكوادوريون والفنزويليون.

٤ ـ موظفو المبنى.

اجتمعت بالوزراء الأحد عشر الموجودين، وكان وزيرا قطر والإمارات العربية المتحدة قد غادرا الليلة الفائتة إثر العرقلة السعودية. وخلال الاجتماعين اللذين قابلت فيهما الشيخ اليماني في مكتب الأمين العام، طرحت عليه الأسئلة التي تهمنا. وتكلم الشيخ بطلاقة لكنه أجاب عن أسئلتي بأقل ما يمكن، حتى أنه حاول رشوتي بطريقة حاذقة. وأعلمت طايع عبد الكريم بأن زعيمنا هو أبو هاني.

عاين الوزيرُ النيجيري الطبيب، كلاين ونصح بإدخاله إلى المستشفى سريعاً. بعدها، حمل الوزيرُ الجزائري بلعيد عبد السلام كلاين إلى الطابق الأرضي، وأجرى أول اتصال سياسي قبل العودة إلى القاعة كما كان متفقاً عليه.

فرح الكويتي كثيراً لكونه اعتبر ثورياً هو والوزيران الإندونيسي والإكوادوري (الجنرالان الانقلابيان المعاديان للشيوعية)، الأمر الذي يسّر التبادل، من دون أن يضفي عليه طابعاً حميماً. وكان الوزير الغابوني الشديد اللطف من مؤيدي القضية الفلسطينية، فوجه إليّ دعوة باسم الرئيس عمر بانغو لزيارة بلاده. كنت أمضي أوقات الراحة برفقة ثلاثة فنزويليين ضاق صدرهم من الانتظار لشدة خوفهم. وكان الموفدون الثلاثة التابعون لدولتي قطر والإمارات تائهين من دون وزرائهم. واستدعيت أخيراً جمشيد أموزيغار الذي أصيب بحال من الذهول منذ بداية العملية.

اقترب الأخير من الطاولة التي كنت قد وضعتها بجانب يوسف، وبدا كأنه في طريقه إلى المشنقة. مددت له يدي، فأمسكها بيديه الاثنتين وحاول تقبيلها. فشعرت بالحرج فسحبت يدي وأمرته بالعودة إلى مكانه من دون إصدار أي صوت... كان أموزيغار الوحيد بين أكثر من مئة رهينة الذي أهان نفسه أمامي.

أمر المستشار برونو كرايسكي جميع رؤساء الوفود بتدوين رسالة خطية، لطلب تصريح بمغادرة المكان معنا بإرادتهم الشخصية. فنفّذ جميع الوزراء الطلب باستثناء الموفدين الإماراتيين والقطريين الذين كانوا في حال ذعر. ولم يطاوعوا المستشار إلا بعد أن أتى الشيخ اليماني ووبخهم، بتشجيع مني. وبعد قراءة الرسائل أعطيناها لرياض العزاوي الذي سلمها إلى المستشار. وسمحنا للموفدين بأن يبرقوا إلى حكوماتهم وعائلاتهم من دون مراقبة، ووعدناهم بأن البرقيات سترسل على شكل رسائل مغلقة.

تحدثت مرتين في الشارع مع وزير الداخلية عن الطريقة التي سنغادر وفقها المكان، والتقيته مرة ثالثة تحت الجسر المؤدي إلى طائرة «DC9» النمسوية. وفي اليوم التالي، نحو الساعة السابعة، استقللنا الباص باتجاه المطار تاركين في قاعة المؤتمرات موظفي «أوبك» على اختلاف جنسياتهم، حيث العملية التي نفذناها لم تكن موجهة ضد المنظمة، وكذلك موظفي المبنى الذين كانت غالبيتهم من الجنسية النمسوية لأن النمسا دولة مؤيدة للقضية الفلسطينية، فضلاً عن وجود مقر «أوبك» خارج نطاق الأراضي النمسوية. ووقف قسم كبير من موفدي الدول المحايدة عند باب الباص لتقليل عدد الركاب.

في المطار كانت تنتظرنا طائرة مع طاقم مؤلف من متطوعين نمسويين ذوي كفاءة. وكان كلاين على متن الطائرة وكمامة

الأوكسجين على فمه، وبجانبه الدكتور رويندوزي الكردي العراقي المنفي البطل الذي رافقه حتى الجزائر العاصمة، حيث وصل كلاين وهو في غيبوبة. شكلت العاصمة الجزائرية محطتنا الأولى لكون الرئيس بومدين كان قد عرض علينا اللجوء إلى بلده. وقام بوتفليقة بدور حاسم لدى المستشار كرايسكي اليهودي الأصل والمناهض للصهيونية.

قرر المشاركون الثلاثة الرئيسيون (ليبيا ومنظمتان تابعتان للمقاومة الفلسطينية) إعدام الوزير السعودي الشيخ أحمد زكي اليماني لأسباب مختلفة، ومتناقضة أحياناً...

فكر كمال في طلب فدية، غير أن أبو هاني شرح لنا بهدوء أن علينا الامتناع عن الدخول في أي صفقة مالية خلال العملية، كي لا نعرضها للخطر. وتم الاتفاق على أن الدول المعنية ستدفع لاحقاً، وهذا بالفعل ما حصل. رفضت الخمسين ألف دولار التي عرضها عليّ ولي العهد السعودي (الملك فهد حالياً) وخلتباري، وزير العلاقات الخارجية الإيراني. واضطر الأخير إلى تلقّي المخابرات الهاتفية مكان رئيس الوزراء الأمير عباس هويدا الذي استدعاه الشاه فوراً (كانوا يريدون إنقاذ حياة وزيريهم). وكذلك لم يصل إلى خزينة المقاومة الفلسطينية المبلغ الذي قدمه الأمير فهد، كما أن الشاه لم يدفع حصته البالغة خمسة وعشرين مليون دولار.

عندما علمت في فيينا أن الوزير أموزيغار كان على رأس الوفد الإيراني، قررت قتله فوراً بمؤازرة ويلفريد وأنيس. وبعدما ساعدت كلاين والدكتور رويندوزي على النزول من الطائرة، استقبلني بوتفليقة والكولونيل أحمد درايا (مدير الأمن العام) والكولونيل محمد بن أحمد عبد الغني (وزير الداخلية) الذين يحتلون على

التوالي كلاً من المركز الثاني والثالث والرابع في مجلس الثورة. إثر ذلك، أطلقنا أفراد الوفود المحايدة وشاباً سعودياً شديد السمنة.

كان مفترضاً أن تستغرق العملية بين سبعة وعشرة أيام، عقب نهاية اجتماع استثنائي لوزراء خارجية دول الجامعة العربية في القاهرة، للتنديد بتوقيع «اتفاقات الكيلومتر ١٠١ في سيناء» بين مصر وإسرائيل اللتين مهدتا الطريق نحو الخيانة. في هذه الأثناء كنا نتنقل بين المطارات «الصديقة» على متن طائرة الـ «بوينغ ٧٠٧» السعودية (أكبر من DC9 «خاصتنا») التي استقللناها لاحقاً باتجاه طرابلس الغرب.

عمدنا إلى إطلاق سراح عدد من الموفدين في كل محطة جديدة، بعد أن بثينا عبر الراديو البيان الطويل الذي حرره كمال باللغة العربية باسم «ذراع الثورة العربية»، وهي التسمية التي أطلقها أبو هاني على جماعتنا الحالية. وأوكل إلى أنيس الاهتمام بـ«المفاوضات» في المطارات العربية، وكان مقرراً أن يحل مكاني في حال حصول أي مكروه خلال الهجوم على مقر «أوبك». واتخذ دور أنيس طابعاً جوهرياً في آخر مراحل العملية في القاهرة. وبعد إعدام أموزيغار واليماني، كنا سننتقل إلى بلد صديق (كانت أمامنا خيارات كثيرة) حيث كان مقرراً إطلاق آخر الموفدين، لا سيما الإيرانيين والسعوديين.

عندما حطت طائرتنا في طرابلس الغرب، وصل الوزيران الليبي والجزائري، وكان الأخير قد رفض البقاء في الجزائر العاصمة مع باقي أفراد وفده. صعد رئيس الوزراء الليبي الرائد عبد السلام جلود إلى الطائرة فور فتح الباب وكان بالكاد يقظاً، وتصرف وكأنه لم يكن على علم بشيء (في الواقع، لم يكن يعلم شيئاً حتى أنه كان يجهل هويتي). توجهت إليه بالتأنيب بعدما انتهى

من إلقاء التحية على الوزراء وأرسلته مع أنيس لتوضيح الأمور خارج الطائرة. التقى أنيس اللواء أبو بكر يونس جابر في المطار وتأخر في العودة (كان العقيد القذافي اختفى في الصحراء الليبية حينها). نزلت إلى المطار ولاحظت أن الليبيين غير متعاونين. وعاد أنيس لرؤيتي وفي حوزته معلومات، وقال لي قبل دخوله الطائرة أن الأمور ليست جيدة. فجأة، بدأوا بتوبيخنا عبر الراديو من برج المراقبة، طالبين منا مغادرة البلد. وبما أنه لم يكن لدينا البرنامج المعلوماتي الذي يخولنا التوقف في طبرق لبلوغ بغداد بسرعة، اضطررنا إلى العودة أدراجنا وقررنا انتظار طائرة «بوينغ ٧٠٧» السعودية في مطار قرطاج في تونس، حيث رفض المسؤولون السماح لنا بالهبوط ليلاً فقطعوا الكهرباء عن المنطقة بأكملها، ما أجبرنا على العودة إلى الجزائر العاصمة.

وبعد مرور ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ من دون نوم، كنا مرهقين من التعب. وفشلت مخططاتنا الأولية عندما رفض الجزائريون منحنا اللجوء السياسي، إذا أعدمنا المتهمين الاثنين على أراضيهم. كذلك عجز القبطانان النمسويان المرهقان عن الإقلاع. كنا جميعنا نلتقط آخر أنفاسنا وكانت الكارثة تقترب. كانت تلك النهاية.

تركنا زوارنا على متن الطائرة، وأبرزنا سلاحنا إلى وزير الخارجية وسلمناه إياها. لكن الأخير أعاد لي مسدسي بسرعة ووضعه في حزامي.

قدمنا نتائج سياسية ومالية للمقاومة بأجمعها، وكبحنا جماح غطرسة الطغاة طوال خمس سنوات. «خير الأمور أحمدها مغبة!».

سان مور، ٣١ تموز/يوليو ٢٠٠٣

هوامش

(١) كمال خير بك: متحدر من الأرستقراطية العلوية. مسؤول بارز في الحزب السوري القومي الاجتماعي. آمن بمشروع سورية الكبرى. حكم بالإعدام في سورية فالتجأ إلى لبنان حيث بقي حتى فشل الانقلاب الذي دبره الحزب السوري القومي على الرئيس اللبناني فؤاد شهاب. طلب اللجوء السياسي إلى فرنسا، وعاد إلى لبنان بعد صدور العفو العام سنة ١٩٦٩. اغتيل سنة ١٩٧٩ في مشاكسة حصلت بين سائقين، لم يكن متورطاً فيها.

(٢) العلوية أو النصيرية: طائفة متحدرة من الإسماعيلية التي انفصلت عن الشيعة الاثني عشرية، وللعلوية اليوم أتباع في تركيا وسورية ولبنان. كان العلويون فلاحين فقراء صادقين، محبين للعمل ومتمسكين بوطنيتهم، استغلهم الإقطاعيون العلويون.

(٣) القرداحة: ضيعة صغيرة في جبل أنصارية شمال سورية، وهي عرين الرئيس الراحل حافظ الأسد.

(٤) رفعت الأسد: جنرال سوري منفي، الأخ الأصغر لحافظ الأسد.

(٥) عدنان المالكي: مقدم ورئيس أركان الجيش السوري، ينتمي إلى عائلة سنية مرموقة من دمشق. اغتيل على يد «كوماندوز» (انتحاري) مؤلف من ثلاثة مقاتلين تابعين للحزب السوري القومي الاجتماعي، بينهم ابن عم زوجة الرئيس حافظ الأسد.

(٦) «أيلول الأسود»: منظمة أسسها الشهيد علي طه (مسلم من القدس، من قدامى المشاركين في العمليات الخارجية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بالتضامن مع الخمسمئة عنصر التابعين لفتح (حركة التحرير الوطني الفلسطيني)، من مناصري أبو علي إياد، وعرف بمناهضته لياسر عرفات. هو المسؤول الفلسطيني الوحيد الذي اغتيل على يد الجيش الأردني (اعتقل في نهاية المعارك التي شهدها الأردن من أيلول/سبتمبر ١٩٧٠ إلى تموز/يوليو ١٩٧١). تبعت هذه المنظمة ثلاث جماعات حملت الاسم ذاته وكانت أيضاً مرتبطة بحركة «فتح».

(٧) فؤاد الشمالي: لبناني من الطائفة المارونية الكاثوليكية، عضو في المجلس الأعلى للحزب السوري القومي الاجتماعي. نفي إلى باريس مع كمال. توفي في

سويسرا من مرض اللوكيميا وكان في مراحل المرض الأولى، ويقول بعضهم إنه قتل نتيجة لعملية نفذها موساد. أرملته إليسار هي البنت الصغرى للزعيم أنطون سعادة، الإيديولوجي الكبير ومؤسس وزعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي المناصرة لسورية سلمه الرئيس السوري الزعيم حسني الزعيم الذي قام بأول انقلاب عسكري في سورية وأعدم رمياً بالرصاص بموافقة الحكومة اللبنانية العميلة للغرب سنة ١٩٤٩ بتهمة أنه كان أول من فهم طبيعة الصهيونية، ووضع استراتيجية لمحاربتها لا تزال صالحة حتى اليوم. ودفع الرئيس السوري ورئيس مجلس الوزراء اللبناني رياض الصلح حياتهما ثمن سياستهما هذه.

(٨) فؤاد عوض: لبناني من الطائفة المارونية الكاثوليكية. المسؤول السياسي للحزب السوري القومي الاجتماعي، عضو المجلس الأعلى. هو من قاد القوات المتمردة في الأول من كانون الثاني/يناير ١٩٦٢. قائد سلاح الفرسان. توفي متأثراً بمرض السرطان سنة ١٩٩٨. كان من أبرز المسؤولين في «منظمة الثوريين الدوليين». وكان مستعداً للتضحية بحياته، وكانت شجاعته تفوق شجاعة أي منا (بمن فيهم أنا) وكان يخشى على حياة زملائه.

(٩) علي حسن سلامة المعروف بـ «أبو حسن»: المسؤول عن «قوات ١٧»، جهاز أمن الرئيس ياسر عرفات. ابن الشيخ حسن سلامة أحد أكبر القادة العسكريين سنة ١٩٤٨ الذي سقط في معركة مع الصهيونيين. كان عضواً في الوفد الذي رافق مفتي القدس الكبير الشيخ أمين الحسيني إلى برلين. لفت الأنظار إليه نتيجة اللهجة الحادة التي استخدمها مع أدولف هتلر، إذ كان مقتنعاً بأنه يمثل الأمة الإسلامية التي كانت حينها في حال حرب مع الاستعماريين الفرنسي والبريطاني (كان البريطانيون أطاحوا الاستعمار الإيطالي)، والصهيونية.

(١٠) ياسر عرفات: الاسم الحربي لمحمد عبد الرؤوف عرفات القدوة، وهو متحدر من أكبر العائلات الفلسطينية. شارك في تأسيس حركة «فتح» في الكويت (الشعبة الأثرى للحركة والتي طغت لاحقاً على الشعبة المركزية في دمشق وسيكون عرفات المتكلم باسمها). احتل منصب رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية خلفاً لأحمد شقيري سنة ١٩٦٩. هو الزعيم الملهم للشعب الفلسطيني ورئيس السلطة الفلسطينية.

(١١) خور مكسر، مطار وقاعدة جوية في البرزخ القائم قرب شبه جزيرة عدن.

(١٢) وديع حداد المعروف بـ «أبو هاني»: ولد في صفد في الجليل الأعلى لعائلة

فلسطينية تنتمي إلى الطائفة الإنغليكانية. درس الطب في الجامعة الأميركية في بيروت (أفضل جامعة في العالم العربي). شارك في تأسيس حركة القوميين العرب أوائل الخمسينيات و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» الماركسية اللينينية (سنة ١٩٦٧) التي خلفت حركة القوميين. تسلّمت الجبهة الوطنية للتحرير (شعبة حركة القوميين العرب جنوب اليمن) الحكم منذ الاستقلال سنة ١٩٦٧. يعد أبو هاني المبدع الخارق للنضال المسلح عبر الحدود، والمبتكر السبّاق للعمليات الخارجية للمقاومة الفلسطينية.

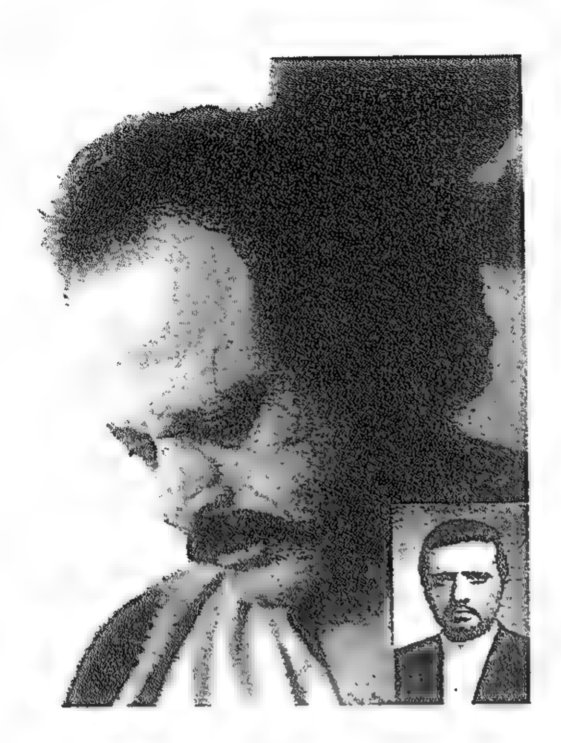
(١٣) ويلفريد بوز: طالب جامعي من ألمانيا الغربية. كان بين المؤسسين الثلاثة لمنظمة الخلايا الثورية الألمانية، وهي المنظمة الثالثة لحرب العصابات في ألمانيا والوحيدة التي لا تزال تتابع نشاطها حتى اليوم. سقط في معركة مع ستة من زملائنا، واجه فيها فرق الكوماندوز الإسرائيلية التي خسرت ٥٩ رجلاً أوائل تموز/يوليو في عنتيبي (أوغندا) إثر خطف طائرة الإيرباص التي كانت تؤمن رحلة تل أبيب ـ أثينا ـ باريس. كان ويلفريد في هذه الفترة يشرف على الاتصالات واللوجستية والعلاقات الخارجية في ثلاث منظمات ألمانية، هي منظمة الخلايا الثورية الألمانية، وحركة الثاني من حزيران وحركة «الجيش الأحمر».

(١٤) أنيس نقاش: مهندس معماري لبناني مكتنز الجسم قصير القامة، شعره أحمر ووجهه منمّش، ويضع نظارتين سميكتين. شكله لا يوحي برجل الكوماندوز المهيب الذي لا يعرف الخوف، والذي اعتقل بعد عشر سنوات في فرنسا، إثر محاولة اغتيال شهبور بختيار، آخر رئيس وزراء في عهد شاه إيران. ملازم في جهاز الاستخبارات العامة في مصر. منح وساماً لمواجهته الإسرائيليين ببطولة مع رجاله في جنوب لبنان. ضابط في حركة «فتح»، ورئيس «أنصار الثورة»، المنظمة التي أسسها طلاب «فتح» في الجامعة العربية في بيروت. سعدت برفقته كمعاون، إذ كان من أبرز الكوادر السياسية العسكرية. كنا نعلم أنه من المقربين إلى ياسر عرفات، وكنا نهدف إلى إشراك أكبر عدد من المنظمات في العملية في أسرع وقت ممكن.

(١٥) هانز يواكيم كلاين: مشاغب يتيم الأم. كانت والدته مسيحية لكنه كان يقول للجميع إنها يهودية. والده شرطي من مدينة فرانكفورت الواقعة على نهر الماين. تمرس في الرماية خلال الخدمة العسكرية، واستخدمه ويلفريد بوز لخدمته. ترك ويلفريد سنة ١٩٧٧ باحثاً عبثاً عن «حق العودة إلى إسرائيل». بقي تحت حماية الشرطة طوال عشرين سنة لكن صدر قرار بتوقيفه وترحيله إلى ألمانيا. على رغم طلب الترحيل الذي أصدرته السلطات النمسوية، حكم

في فرانكفورت بالسجن تسع سنوات، بعد محاكمة زائفة من دون شهود تم خلالها تحوير شهادتي، وحدث ذلك في إطار مهزلة علنية شهدها قصر العدل في باريس، في الثامن والعشرين من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠.

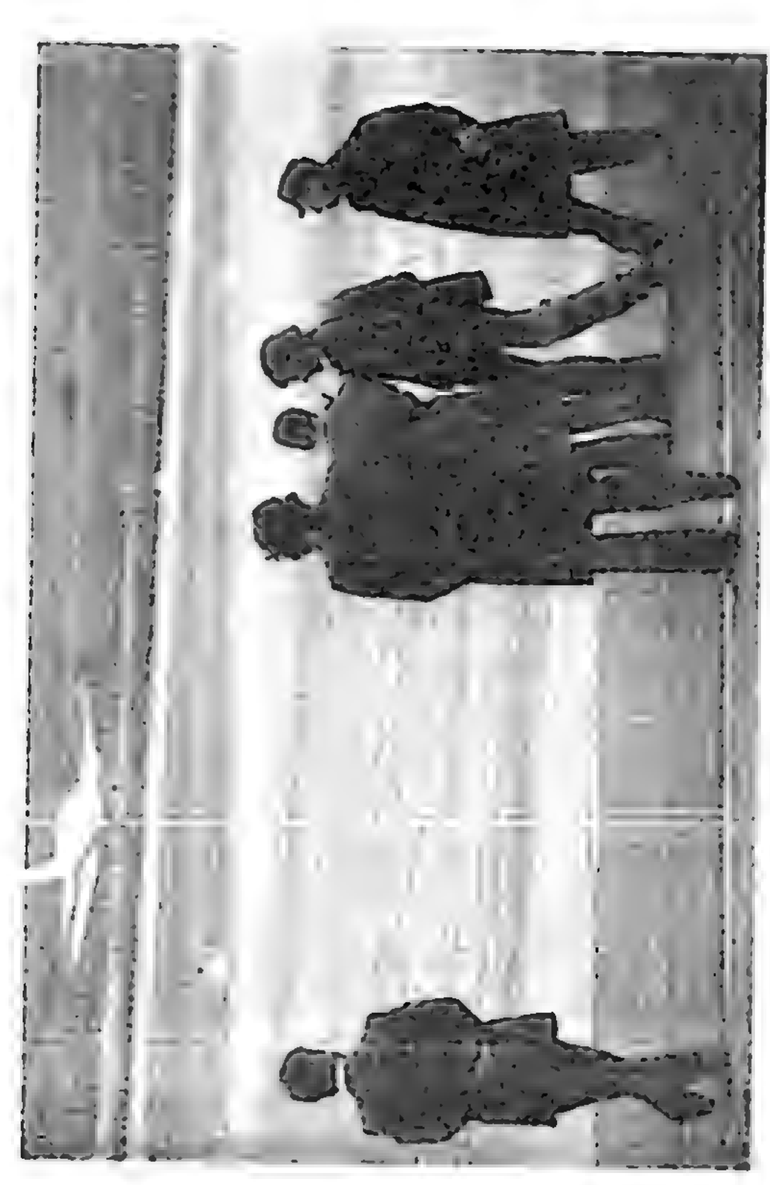
(١٦) سافاك: جهاز الاستخبارات التابع لشاه إيران. كان جمشيد أموزيغار أقسى مديري الجهاز احتل بعدها منصب وزير الداخلية وكان المفاوض الأساسي لدى «أوبك».



كمال خير بك
وفي الإطار فؤاد
الشمالي



كارلوس في سجن لاسنتيه الفرنسي
أثناء اضرابه عن الطعام



كارلوس (الثاني من اليمين) في مطار الجزائر



الطائرات التي خطفتها الجبهة الشعبية إلى الأردن

Ilich Ramírez Sánchez
Écrou 268461/F
Q.I.7

La Santé, le 19 decembre 2000

Me. Isabelle Coutant Peyre

Chère Maître,

Ci-joint mes réponses aux 41 questions posées par le Rédacteur en Chef de "AL WASAT", Monsieur Ghassan Charbel. J'autorise Al Wasat de publier mes 41 réponses seulement in extenso, sans être abregées ou tronquées. Monsieur Charbel doit s'engager par écrit à le faire.
Cette précaution est indispensable, vu que "l'interview" de Al Wasat avec Anis Naccache n'est pas bona fide (il y a manipulation, j'en suis convaincu), et le reportage sur Anis diffusé par la chaîne T.V. "Arte", est carrément bidonné.

Je vous prie de faire parvenir à titre de témoignage, copie de cette lettre-ci (avec le questionnaire de Monsieur Charbel, et mes réponses) auprès du Président Gehrke, de la Cour d'Assises de Francfort-sur-le-Main, et des avocats défenseurs de Klein et Schindler (par voie de Me. Euler).

Je vous en rémercie pour votre dévouement professionnel et pour votre courage.

Amitiés révolutionnaires,

(Carlos)

رسالة من كارلوس إلى محاميته إيزابيل كوتان بيير
تجيز للمؤلف نشر الحوارات

(1)

SIÈGE de l'OPEP, Vienne, le 21 décembre 1975.

Je suis le seul intervenant dans cette historique action extérieure de la Résistance palestinienne, avec son glorieux caractère internationaliste, depuis sa conception, dans toutes les étapes de sa préparation, exécution, et suivi post-opérationnel, de sécurité, logistique, politique et diplomatique. Je suis aussi le planificateur et le commandant militaire. Ceci me donne l'autorité pour faire une rélation circons-tanciée de son déroulement.

"INCEPTOR" : Colonel Mo'ammer El Kadaffi

Coordination stratégique : Kamal Kheir-Beik

Conception : Dr. Wadih Haddad

Planification : Ilich Ramírez Sánchez

Coordination non-arabe : Wilfred Böse

Coordination arabe : Anis Naccache

وثيقة بخط كارلوس تكشف أسماء أصحاب
الأدوار الأساسية في عملية فيينا

cherchant en vain de bénéficier du "Droit de retour en Israël". Protégé par la police pendant 20 ans, il est décidé de l'arrêter et de l'extrader en Allemagne, en dépit de la demande d'extradition autrichienne. Il sera condamné à Francfort à la très légère peine de 9 ans, après un procès truqué, avec des témoins oculaires, où mes déclarations accablantes ont été faussées dans la transcription pendant une mascarade publique au Palais de Justice de Paris le 28 novembre 2000.

17) SAVAK : service de renseignement du Shah d'Iran. Jamshid Amouzegar avait été son plus terrible directeur, avant de devenir Ministre de l'Intérieur, et aussi, Négociateur principal auprès de l'OPEP.—

Carlos

Saint Maur, le 31 juillet 2003.

Ilich RAMIREZ SANCHEZ

La Santé, September 200[illegible]

Ghassan Charbel Esq.

Dear Sir,

I am pleased to enclose my answers to your questions in English.

I hereby authorize you to publish in AL HAYAT my 20 answers, in extenso, duly translated into Arabic, as long as the spirit and the letter of my words are respected.
I try to be as clear and objective as circumstances allow.

Please thank the Publishers and the Editorial Board of Al Hayat, on my behalf and to transmit my greetings TO your readers.

Yours in Revolution, Carlos

رسالة من كارلوس السجين
تجيز نشر حواره في جريدة «الحياة»

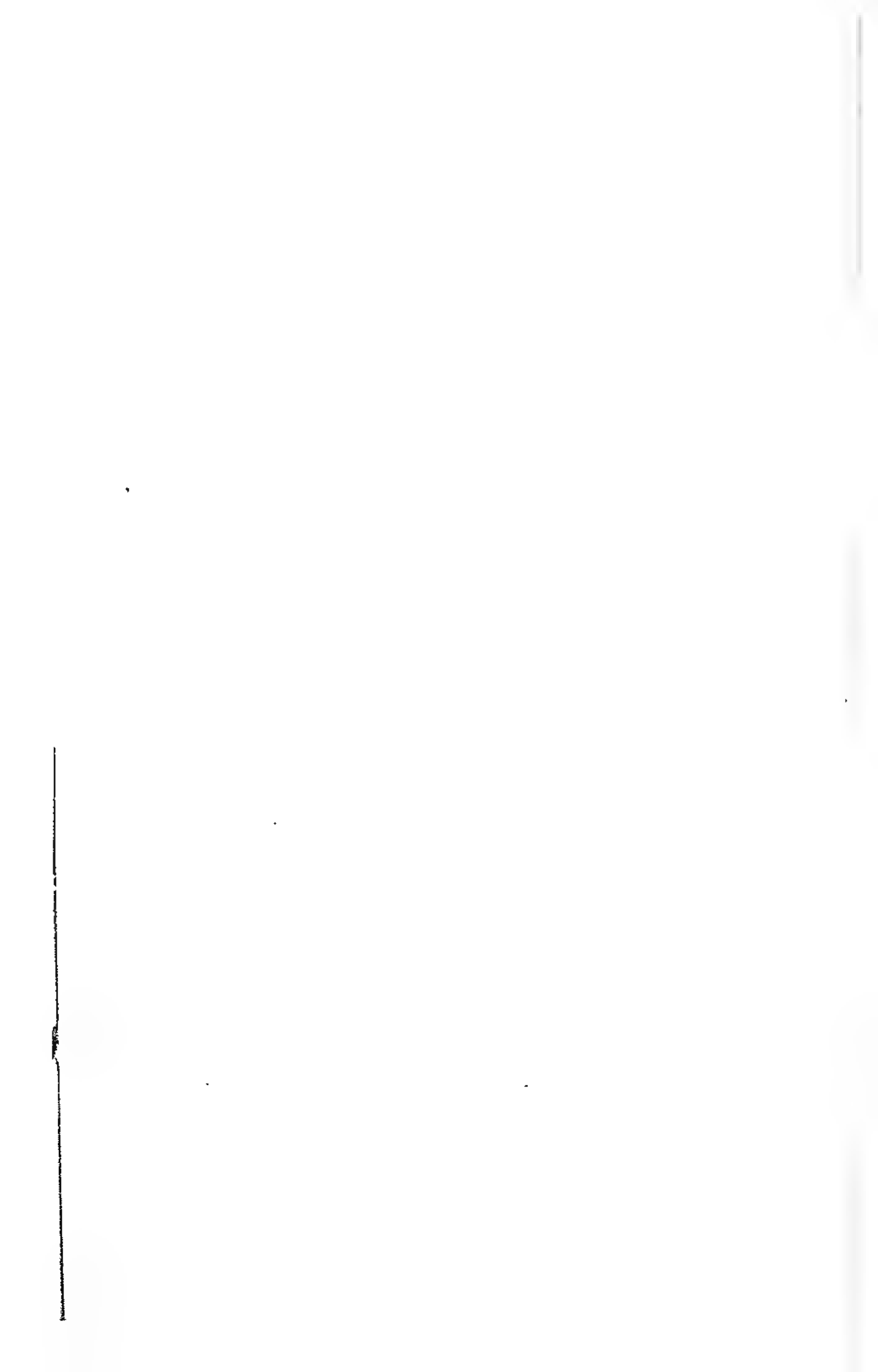
AL HAYAT

I) I followed the attacks, step by step, on the news, since the outset.
I am unable to describe the wonderful soothing feeling; it dawned upon me that my terrible sacrifice in Khartoum had not been in vain.
In the spring 1991, following the air raids which monstrously destroyed Iraq, I attended a colourful meeting of anti-imperialist responsible cadres of different origins and ideologies; an informal consensus was reached in a rather spontaneous manner, that the United States of America should be bombed in retaliation.
Mustafa Mir Mustafa Bhutto, Secretary General of Pakistan's AL ZULFIKAR Organisation, aired the idea of crashing an airplane against the World Trade Center in New York, and not only against the obvious targets in Washington D.C.
The U.S.A. is evidently a great country, and its population, hard working and very naive, are indeed a great people, who deserve much better than to be hated by the whole world; nonetheless, every Justice loving person has reason to hate U.S. imperialism, the worst oppressor in human history.
The casualties at the Pentagon are not civilians; those in the Twin Towers and surrounding buildings harboured a high level intelligence community, even though the vast majority were civilians involved in the continental U.S. financial operations war against the rest of the world, which

II) I would start with brotherly greetings; then I would encourage him to keep fighting and to preserve his own life, because he has become the symbol of the Jihad.
I would ask him to restart the work we had started in Khartoum, and develop strategic relations between the Jihadist movement and other non-religious anti-imperialist organisations.
Before signing off I would write,
ALLAHOU AKBAR!

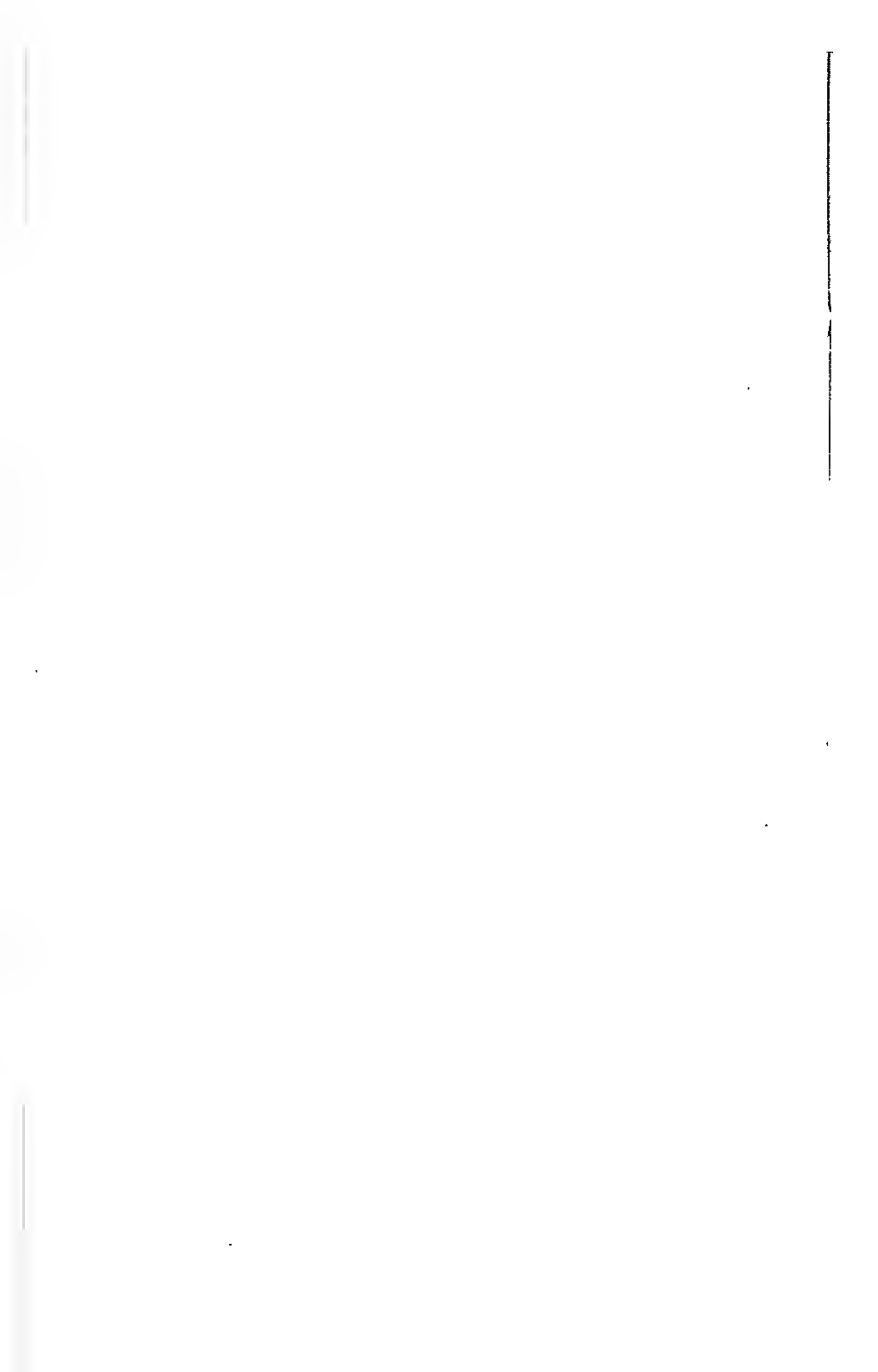
Carlos

La Santé, September 2001





أنيس النقاش



توطئة

عرف الشرق الأوسط قبل شبان الانتفاضة الذين يهشمون هيبة جيش الاحتلال الإسرائيلي بالحجارة، شباناً أشد خطورة نقلوا الحرب إلى عواصم بعيدة. لقد فعلوا كل شيء. سافروا بجوازات مزورة. مرروا أسلحة عبر المطارات. زرعوا عبوات وأطلقوا قذائف واحتجزوا رهائن. ودفعوا العالم مرات كثيرة إلى كتم أنفاسه. وبين شبان السبعينيات وشبان الانتفاضة اليوم خيط الثورة الفلسطينية من دون أن ننسى البركان الإيراني وشظاياه.

من بين هؤلاء، رجل ينام على سر كبير وخطير فشلت أجهزة الاستخبارات في فضحه ولم ينتبه المحققون إليه على رغم إقامة الرجل سجيناً بين أيديهم على مدار عقد كامل.

إنه أنيس النقاش.

كان اسمه «خالد» حين شارك، إلى جانب كارلوس، في عملية احتجاز وزراء نفط «أوبك» في فيينا. وكان اسمه «مازن» خلال عمله الطويل في حركة «فتح». هذا إذا تناسينا أسماء أخرى على جوازات سفر مزورة. اليوم لم يعد أنيس النقاش يحتاج إلى الأسماء المستعارة. إنها مرحلة كاملة انتهت وهو ما سهّل البوح بأسرارها.

ولد أنيس محمد خير النقاش في بيروت في ١٩٥١. تشرّب في المنزل الاهتمام بالقضايا الوطنية والقومية وتأثر بعمه المربي زكي النقاش. تعلّم في مدرسة المقاصد الإسلامية التي كانت «مدرسة للعلم وقاعدة للنضال». كان في السادسة من عمره حين التحق بالمتظاهرين الذين كانوا يهتفون تأييداً للمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد وكاد يضل طريق العودة إلى البيت لولا خط السكة الحديد.

شارك في إنشاء «اتحاد طلبة المقاصد» وفي الإضراب الشهير الذي أعقب العدوان الإسرائيلي على مطار بيروت في ١٩٦٨. وفي تلك الفترة انتسب إلى التنظيم الطالبي لحركة «فتح» وخضع لتدريب عسكري. عيّن مسؤولاً عن الخلايا السرية التي أنشئت في قرى عند الحدود اللبنانية ــ الإسرائيلية وشارك في «الجبهة الفلسطينية» التي فتحت في منطقة العرقوب خلال حرب تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧٣. وفي السنة نفسها اعتقله الجيش اللبناني لخرقه نظام منع التجول خلال الصدامات بينه وبين عناصر المقاومة الفلسطينية.

بدأت رحلة النقاش الفعلية حين تعرف إلى خليل الوزير (أبو جهاد) عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح» وحين اختار أن يعمل في أمن الثورة من خارج المؤسسات الأمنية المعروفة. حدثان كبيران ميزا

مسيرته: الأول عندما عمل مع مجموعة وديع حداد وشارك في عملية فيينا، والثاني حين ذهبت به العلاقة مع الثورة الإيرانية إلى حد ترؤس الفريق الذي حاول اغتيال رئيس الوزراء الإيراني السابق شهبور بختيار في باريس في ١٩٨٠.

في ١٩٨٠ اهتزت فرنسا. وتناقلت وكالات الأنباء اسم هذا الشاب اللبناني الذي انضم باكراً إلى الثورة الفلسطينية، وها هو يحاول اغتيال شهبور بختيار رئيس الوزراء الإيراني السابق. نجا بختيار، لكن فرنسيين قتلا في الحادث، أحدهما شرطي، وأصيب نقاش وحكم عليه بالسجن المؤبد. ومنذ لحظة اعتقاله سيتحول ملف النقاش هاجساً لدى المسؤولين الفرنسيين لأنه تداخل مع مجريات الحرب العراقية ـ الإيرانية وأزمة الرهائن الفرنسيين في لبنان وضاعف من تسميم العلاقات بين باريس وطهران التي كانت تشترط إطلاقه.

لكن القضاة الفرنسيين سيكتشفون بعد قراءة هذه السطور أن النقّاش ارتكب ما هو أهم وأخطر من محاولة اغتيال بختيار، ولم يدر في خلدِهم السؤال عن السر أو الاقتراب منه أو محاولة الوصول إليه.

وها هو أنيس النقاش يعترف بأنه كان شريك كارلوس في عملية احتجاز وزراء النفط في «أوبك» في فيينا في ٢١ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٧٥ وأنه شارك في التخطيط والتنفيذ. ويكشف النقّاش انه أقنع كارلوس بعدم تنفيذ أوامر وديع حداد بإعدام الوزيرين الإيراني والسعودي، والذي كان مقرراً أن يحصل في بغداد أو عدن، بعد تحقيق الهدف الأول من العملية وهو الحصول على فدية قيمتها عشرة ملايين دولار. ويروي أن خلافاً وقع بين حداد وكارلوس بعد العملية بسبب امتناع الثاني عن إعدام

الوزيرين وتقديم نفسه علانية خلال تنفيذها خلافاً لأوامر الأول.

ستة شاركوا في عملية فيينا: كارلوس والنقاش ولبناني اسمه الحركي «جوزف» وفلسطيني اسمه الحركي «يوسف» والألماني هانز يواكيم كلاين والألمانية غابرييل توجمان واسمها الحركي «ندى».

قصة مثيرة ومعقدة. انتمى النقاش باكراً إلى التنظيم الطالبي لحركة «فتح» وعمل مع عضو اللجنة المركزية فيها خليل الوزير (أبو جهاد) واختار خدمة الأمن السياسي للثورة من خارج أجهزتها الأمنية. دخل عالم الأسرار وأقام فيه بأسماء مستعارة إلى أن سقط في أيدي الشرطة الفرنسية.

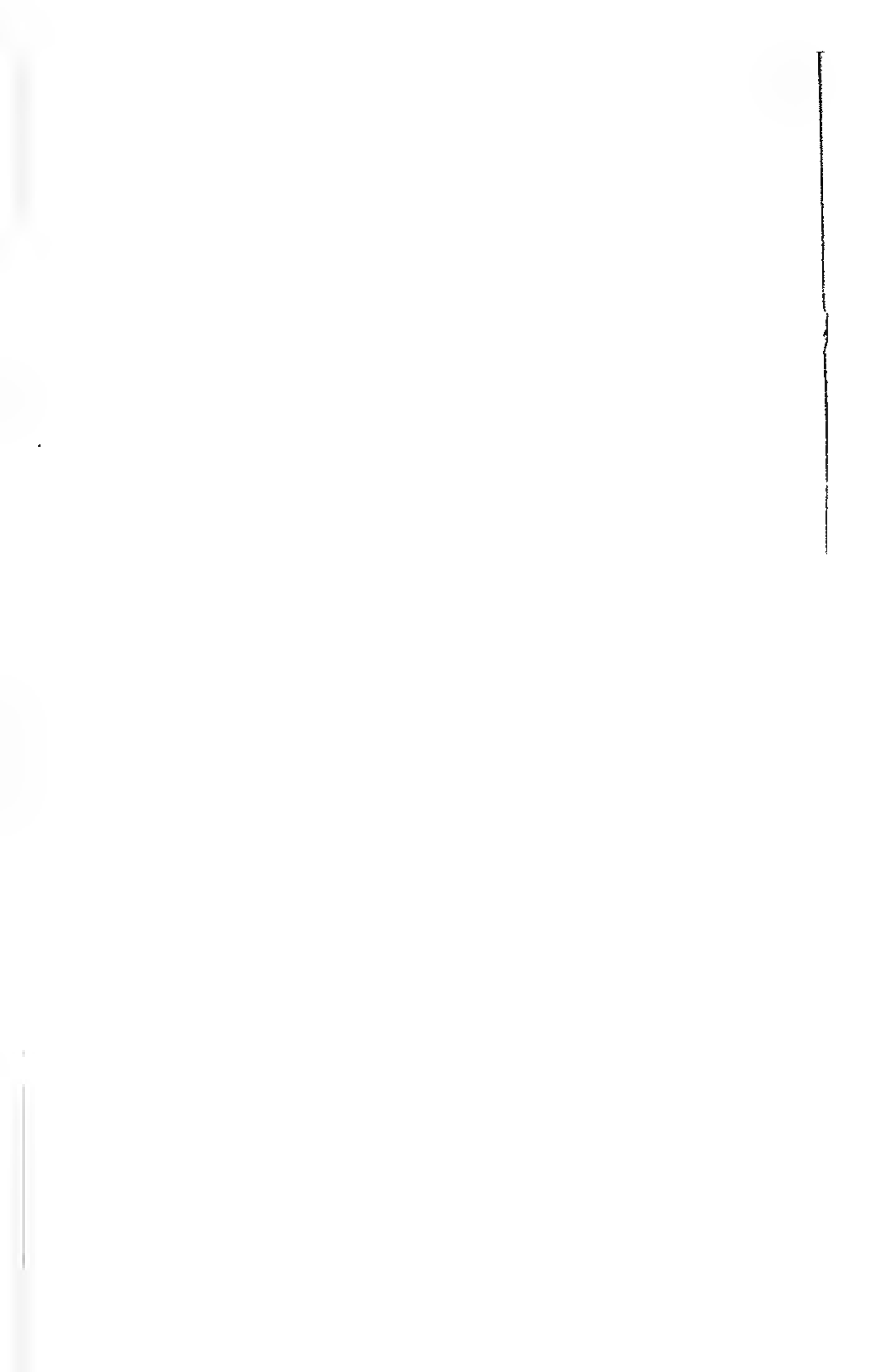
يروي النقاش في هذا الحوار أنه شارك في استقطاب أوروبيين للقيام بعمليات استطلاع داخل إسرائيل. وأنه في النصف الأول من السبعينيات قرر اختراق مجموعة وديع حداد التابعة أصلاً لـ«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» لمعرفة المجموعة والحيلولة دون أن تمس عملياتها أمن الثورة. ويقول إنه كلف لاحقاً المشاركة في الإشراف على تدريب الإيرانيين المعارضين لنظام الشاه، وكان أول من طرح فكرة إنشاء «الحرس الثوري».

يقول النقاش الذي واكب ولادة «الحرس الثوري» وربطته علاقات بمسؤوليه، إنه شارك في نقاشات هناك انتهت إلى أن بختيار رجل خطير وأنه الرمز الذي تحاول الولايات المتحدة استخدامه لانقلاب عسكري يطيح الثورة الإيرانية التي شكل قيامها كسباً كبيراً للثورة الفلسطينية. ويضيف أن «محكمة إيرانية قضت بإعدام بختيار وأن الإمام الخميني أقر الحكم. فتطوعت للتخطيط ثم قدت عملية التنفيذ».

ويكشف النقاش في الحوار أنه حصل عبر وكالة الصحافة الفرنسية على رقم مقربين من بختيار، وأنه زار منزله مدعياً أنه صحافي عربي، وأجرى، بهذه الصفة، حديثاً كاملاً تمكن خلاله من استطلاع المكان والحراسات ونقل النتائج إلى طهران، فصدر قرار التنفيذ. لم ينشر الحديث وعاد النقّاش لإجراء حديث آخر تتم خلاله عملية الاغتيال، لكن إجراءات الأمن فرضت تغييراً في الخطة التي تحولت عملية اقتحام. وينفي أن تكون المجموعة أخطأت في الشقة، مؤكداً أن المرأة التي قتلت أصيبت بالصدفة وأن الباب المصفح هو الذي أنقذ بختيار خلال الاشتباك الدامي. ويحكي عن وعود الاشتراكيين والديغوليين بإطلاقه وكيف أعطي هاتفاً دولياً للمساهمة في إطلاق الرهائن الفرنسيين في لبنان. ويشير إلى أسماء المسؤولين الإيرانيين الذين كانوا على علم بقصة بختيار. وفي ٢٨ تموز/يوليو ١٩٩٠ أصدر الرئيس فرنسوا ميتران عفواً عن النقّاش فعاد مع أفراد المجموعة إلى طهران.

ويكشف النقاش أيضاً كيف خططت مجموعة وديع حداد لاغتيال السفير الأميركي في بيروت غودلي والمبعوث الأميركي دين براون والملحق العسكري الفرنسي والدور الذي قام به «أبو جهاد» و«أبو حسن سلامة» في إفشال هذه الخطوة بعد اطلاعهم عليها قبل تنفيذها.

يقول النقاش إنه وافق على التحدث لوضع هذه التجربة في سياق التجارب الثورية وتجارب الأمن السياسي أمام شبان الانتفاضة.



الفصل الأول

مع وديع وكارلوس
شراكة أم اختراق؟

■ **فكرة عملية فيينا، كيف ولدت، وأين كنت في تلك المرحلة؟**

ـ عملية فيينا سبقتها مجموعة عمليات خُطط لها، وكان الهدف منها التمويل. مع بوادر الحرب الأهلية في لبنان كانت مجموعة وديع حداد في حاجة إلى تمويل. وكانت تعتقد أن أكثر من طرف فلسطيني، من بينهم «الجبهة الشعبية»، سيفيد منه. وأول برنامج أو هدف لعملية التمويل، بعدما وضعت احتمالات عدة، كان التفكير في خطف مهدي التاجر، الثري الإماراتي الذي كان سفيراً لبلاده في لندن. وفي شتاء ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥، بدأ التحرك للإعداد لهذه العملية. وكلفت مجموعة تضم بعض الشباب اللبنانيين وامرأة ورجلاً ألمانيين الإعداد الأولي، كان المطلوب تحضير المجموعة وإعداد

الوثائق اللازمة لها مثل الجوازات. والجوازات التي كان من الممكن الإفادة منها كانت بوليفية. اجتمعت المجموعة في باريس للتحضير لمراقبة الأماكن المطلوبة في بريطانيا وتحديدها.

وبسبب خطأ فني حصل في الجوازات، وعدم تمكن كل أفراد المجموعة من الدخول إلى لندن، تقرر تأجيل العملية. وفي هذه الفترة تفاقمت الأزمة في لبنان وأخّرت الحرب الأهلية هذه المسألة قليلاً، إلى أن أعيد طرح ضرورة التمويل مرة أخرى.

■ **من اتخذ قرار خطف مهدي التاجر؟**

ـ وديع حداد.

■ **ودور كارلوس في هذه العملية؟**

ـ كان موجوداً ضمن المجموعة التي ستنفذها.

■ **هل ذهب إلى باريس؟**

ـ كان موجوداً أصلاً في باريس، فقاعدته في باريس وكان يتنقل بين باريس ولندن. بكل بساطة، لم تحدث العملية إطلاقاً. العملية لم تفشل أي أنهم لم يقصدوا المكان ولم ينجحوا في الخطف. الأمر لم يكن كذلك، فجلّ ما فيه أن ثمة هدفاً حدد ووضع له عنوان وبوشر الإعداد له لوجستياً مع مجموعة التنفيذ. واستدعى الأمر أن تبدأ عمليات الاستطلاع، وتهيئة المكان اللوجستي: سيارات وفيللا وغيرها قبل الانتقال إلى مرحلة التنفيذ.

كنا في المراحل الأولى تقريباً، أي تحديد مكان المجموعة التي ستشارك، وتحضير الجوازات ووضع السيناريو الأولي للاقتراب، وهو

كان يقضي بأن يكون هناك رجل وامرأة مظهرهما محترم، وأن يكون لديهما فيللا كغطاء، وهي الفيللا التي كان سيحتجز فيها مهدي التاجر.

■ ما الذي كانت تقتضيه الخطة؟ وكيف كانت ستتم عملية الخطف؟

ـ لم نكن قد وصلنا بعد إلى مرحلة التنفيذ. كان المطلوب أولاً أن يكون ثمة مكان لاحتجاز الرهينة. فمن البديهي أن كل عملية خطف تحتاج إلى مكان لوضع الرهينة خلال المفاوضات. لذلك ينبغي أولاً تأمين المكان للرهينة، وفي الوقت نفسه، هناك مجموعة تراقب تحركات الرهينة لتحدد المكان الأفضل لخطفه: من منزله، على الطريق، في عمله. لم تكن الصورة قد اكتملت بعد.

■ أنتَ كنت في المجموعة المكلفة التنفيذ؟

ـ نعم كنت ضمن المجموعة المكلفة التنفيذ.

■ وكنت في باريس؟

ـ نعم.

■ حصل إذاً اجتماع في باريس؟

ـ نعم حصل اجتماع في باريس ضم ميشال مكربل الذي كان ضمن المجموعة، وعلى علم. لكن اسمه لم يكن مطروحاً للمشاركة في التنفيذ.

■ من حضر الاجتماع أيضاً؟

ـ كان هناك كارلوس وميشال مكربل، وشخص ينبغي ذكر اسمه لأنه محوري، هو كمال خير بك، وكان شاعراً وعضواً في الحزب السوري القومي الاجتماعي، وعضواً في مجموعة «بو ضيا» (محمد بو ضيا) التي كانت تضم فؤاد الشمالي أيضاً. وبعد وفاة فؤاد الشمالي، كان العضو الأبرز في المجموعة كمال. وهو أخذ على عاتقه الاتصال والانتقال من علاقته بـ «فتح» إلى علاقة خاصة بوديع حداد.

هذه المجموعة اجتمعت في باريس، والهدف كان مهدي التاجر. وضمت المجموعة شخصاً وامرأة ألمانيين وكارلوس وأنا، للتنفيذ. وكان هناك فؤاد عوض مع امرأة أخرى (للإيقاع بالرهينة)، أي أن يسكنا في الفيللا ويؤمّنا الغطاء أو التمويه. ففؤاد شخص متقدم في السن يقيم مع امرأة، وهذا ما يجعلهما يبدوان على مقدار من الاحترام. لم تتم العملية، فنشوب الحرب الأهلية في لبنان أخّرها.

وفي هذه المدة الفاصلة ما بين تأخير عملية مهدي التاجر وبداية الحرب الأهلية وانفجارها، تردد في لبنان وضمن أوساط الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية أن دولة عربية خليجية وإيران، وبتشجيع أميركي، ساهمتا في تمويل أطراف في بدايات الحرب الأهلية في لبنان.

من هنا، أصبح الهدف، بدلاً من مهدي التاجر، إعادة الكرة إلى ملعب الطرفين اللذين قيل إنهما موّلا الحرب. ووضع هدف عملية فيينا كعملية تمويلية لإجبار الطرفين اللذين قيل إنهما موّلا الأطراف المعادية، على دفع جزية لتمويل العمل الفلسطيني. من هنا برزت فكرة خطف وزراء النفط وتمويه العملية بأنها نابعة من موقف

سياسي يحتاج إلى إصدار بيان وتكراره في الإذاعات، ومن دون إعلان الهدف الحقيقي الذي كشف أثناء المفاوضات مع السعودية وإيران ومطالبتهما بدفع مبلغ عشرة ملايين دولار.

■ **من أخذ القرار بعملية فيينا؟ وأين؟**

ـ أبلغني القرار كمال خير بك بعد لقاء عقد بينه وبين وديع حداد في عدن، وكان الهدف اجتماع وزراء النفط في فيينا. كذلك صُرف النظر عن عملية مهدي التاجر. وكان المفترض أن نعود ونتحرك.

في الفترة الفاصلة بين عدم الذهاب إلى لندن لأسباب لوجستية وعملية فيينا قتل ميشال مكربل. كان ميشال قد عاد إلى بيروت لإعداد جوازات أخرى وإعادة تهيئة الأجواء لعملية مهدي التاجر. وهنا حصل له حادث في مطار بيروت، إذ أوقفه الأمن العام اللبناني وأجرى معه تحقيقاً، في حضور مندوب عن السفارة الفرنسية.

■ **لماذا في حضور مندوب عن السفارة الفرنسية؟**

ـ لأنه ذاهب إلى فرنسا، وبالتالي استدعوا مندوباً عن السفارة ليعرفوا من هو هذا الشخص الذاهب إلى فرنسا وفي حوزته جوازات. وهذا نوع من التنسيق الأمني بين لبنان وفرنسا. والخطأ الذي ارتكب، أنه بدلاً من أن يبقى في بيروت ويصرف النظر عن السفر، توجه إلى باريس وهو يعلم أنه أصبح مكشوفاً. حين أوقف مكربل في مطار بيروت وفي حوزته جوازات سفر قال في التحقيق إنه مناضل عربي، تابع للجبهة الشعبية إلخ. ثم تركوه يسافر.

■ **من هو ميشال مكربل؟**

ـ ميشال مكربل لبناني توجهاته قومية ووطنية. وفي باريس التحق بطريقة ما، أجهلها، بمجموعة «بو ضيا» ولاحقاً علمت أنه كان آخر شخص أعاره «بو ضيا» سيارته التي انفجرت به وقتلته. كون ميشال آخر من قاد السيارة قبل «بو ضيا» رسم علامات استفهام. عرفت هذا الأمر بعد سنوات من عملية فيينا. حين ذهب ميشال مجدداً إلى باريس، كان تحت المراقبة، اتصل بكارلوس ليعلمه أنه صار مكشوفاً وأن عليه أن يجمع الأغراض أو أن يترك باريس. وبعد أيام من الملاحقة، عاد واعتقل في باريس حيث حقق معه الأمن الفرنسي. ورأى ميشال أنه بعدما أخبر كارلوس، بات من المفترض أن يكون هذا الأخير ترك البلد. وهكذا دلّ ميشال الأمن الفرنسي إلى أحد المخابئ التي كانت المجموعة تستخدمها، وهي الشقة التي حصلت فيها عملية إطلاق النار. صودف أن كارلوس لم يترك البلد وكان حاضراً في الشقة. وهنا علامة استفهام كبيرة، لماذا اضطر ميشال إلى كشف مكان الشقة؟ هل خضع لتعذيب حقيقي فأدلى بما يعرفه؟ أم أنه استخف بالموضوع ظنّاً منه أن ما من أحد سيكون موجوداً في الشقة، فدلّهم إليها.

المهم أن ما حصل هو أن ميشال دخل برفقة مسؤولي الأمن الفرنسي إلى الشقة، وكان كارلوس هناك، وحصل إطلاق نار، وقتل اثنان من رجال الأمن وجرح واحد. وقتل ميشال أيضاً. كارلوس قتله.

■ هل كان ثمة أشخاص آخرون مع كارلوس؟

ـ كان وحيداً. ثم فرّ. وعلى أثر الحادث لم يعد في استطاعتنا التفكير بمهدي التاجر ولا بغيره.

▪ من ضمن قصة مكربل تردد اسم آلان بوفييه، ما هي قصته؟

ـ حين دهمت الشرطة الشقة وفتشتها إثر الحادث، وجدت جوازات بوليفية. وهنا ظهر اسم كارلوس. فكارلوس لم يستخدم هذا الاسم من قبل. في الدول العربية كان يعرف بـ «سالم» وفي أوروبا بـ «جوني». لكن في ذاك الجواز كان يوجد اسم كارلوس إلى جانب صورته. وبعد نشر الصورة والاسم في الصحافة بات يعرف باسم حركي جديد هو «كارلوس». ومع جواز كارلوس كان ثمة جواز باسم آلان بوفييه، كان لفؤاد عوض الذي كان يفترض به أن يشارك في عملية مهدي التاجر كما ذكرنا أيضاً.

كُتب الكثير عن آلان بوفييه، إلى حد التضخيم، ولم تعرف شخصيته. وأفادت بعض الكتب التي أُلّفت والأجهزة بأنه ضابط من جهاز «كي جي بي» السوفياتي ومسؤول عن التعامل مع كارلوس. كل هذا غير صحيح. وهذا أخّر البحث في أي عملية أخرى.

▪ إذاً، فؤاد عوض استطاع الخروج من هذه القصة؟

ـ خرج فؤاد عوض من القصة في سهولة إذ لم توجه إليه أصابع اتهام، وبحسب المعلومات، فقد بادر إلى الاتصال بالأمن العام ليستبق أي عملية بحث. وكان قد طلب في ما مضى من الجبهة الشعبية جوازاً يسهل تنقلاته في أوروبا لأن اسمه كان مرتبطاً بعملية انقلاب سابقة في لبنان. أعطوه هذا الجواز الذي وقع خطأً في أيدي رجال الأمن. لم يتعرض له أحد في لبنان.

▪ هل فؤاد عوض كان يعمل مع وديع حداد؟

ـ كان فؤاد عوض صديقاً لكمال خير بك وضمن مجموعة فؤاد الشمالي. وأعتقد أنه لم يشارك في عمليات «أيلول الأسود». لكن فيما بعد عندما انضم كمال إلى مجموعة وديع حداد، واحتاج إلى أشخاص جدد، اتصل بفؤاد وشرع في إقناعه بالعمل إلى جانبه. اتسمت المرحلة التي ذكرناها بالضبابية، أي بلا أهداف أو عمليات أخرى، إلى أن تقررت عملية فيينا. وخلال التحضير لها، برز هدف آخر هو أن يتم إعدام أحمد زكي اليماني وزير النفط السعودي ونظيره الإيراني جمشيد أموزيغار، من ضمن مجريات العملية.

■ **ولماذا الإعدام ما دام الهدف هو التمويل؟**

ـ الهدف تمويلي والإعدام كان للتصعيد، بحسب ما قيل آنذاك، تصعيد العلاقة مع الدولتين لأنهما اتهمتا بتمويل أطراف لبنانية، وعليهما أن تدفعا الثمن من طريق إعدام وزيريهما. إلا أن خلفية المسألة أعمق من ذلك. وفي رأيي، أن من روّج لفكرة عملية الاغتيال لم يكن بريئاً بتاتاً، فأبعادها خطيرة جداً. وتحديداً كانت منظمة «أوبك» مستهدفة آنذاك من الغرب بسبب النزاع مع وضع العالم الثالث ورفع الأسعار. إذاً، كانت المنظمة مستهدفة. وأي عملية اغتيال من هذا النوع لوزيرين تابعين لبلدين عضوين في المنظمة، ومن ثم توجيه الاتهام إلى دول أخرى أعضاء أيضاً في المنظمة، في شأن علاقتها بالاغتيال يمكن أن يدمرا المنظمة ويثيرا حروباً. فوديع حداد كانت له قواعد في عدن والعراق، وكان من الممكن توجيه التهم إلى تينك الدولتين. إذاً كان الهدف الآخر غير بريء بتاتاً.

■ **قرار عملية فيينا اتخذ في عدن، وأبلغك إياه كمال خير بك. أين استقرت المجموعات التي ذهبت إلى فيينا؟**

ـ عندما بُلّغت القرار، بُلّغت أنني سأكون مسؤولاً عن المجموعة. ولم يكن وارداً أن يشارك كارلوس في العملية.

■ **وما كان اسمك هنا؟**

ـ خالد. لكن أثناء التحضير، بُحث الأمر في عدن وارتؤي أن مشاركة كارلوس في العملية قد تجعلها أكثر أماناً بسبب خبرته، شرط أن أكون أنا المسؤول السياسي عن العملية وعن المفاوضات.

■ **هل ذهبت إلى عدن من أجل هذا الموضوع؟**

ـ لم أذهب إلى عدن. بدأنا بالتحضير في بيروت إبان أجواء الحرب في لبنان. أي أن مركز الانطلاق كان بيروت.

■ **وأين كنتم في بيروت؟**

ـ في منطقة قريطم (يضحك قائلاً قرب بيت الحريري) في شقة استأجرها كمال خير بك، وكنا نعقد الاجتماعات فيها. وجاء كارلوس إلى بيروت واستقبلته في المطار، وعقدنا أكثر من اجتماع لتحضير العملية.

■ **هل حضر كارلوس إلى تلك الشقة؟**

ـ نعم. تم التحضير هناك وبلّغت بوجود شخصين ألمانيين في عدن وشخص فلسطيني اسمه الحركي «يوسف» سيشاركون في العملية إضافة إلى شخص لبناني اسمه الحركي «جوزف»، وكنت أعرفه لأنه كان ضمن مجموعتنا في لبنان. وكنت قد تعرفت إلى كارلوس سابقاً في باريس. لكن الشاب والفتاة الألمانيين لم أكن أعرفهما.

كُلفت أولاً عمليات الاستطلاع الأولى. وذهبت مرة أولى إلى فيينا بجواز لبناني عادي. جنيف أولاً ثم بالقطار إلى فيينا حيث مكثت هناك نحو ١٠ أيام لأتقصى الأجواء والأماكن: مركز أوبك والشوارع والشقق. أي عملية استطلاع كاملة. وكان يرافقني شاب آخر عديم التجربة، وكان هذا مشواره الأول إلى أوروبا في عملية استطلاع وبغرض تدريبه. ولم يكن له أي دور لاحقاً.

■ **هل دخلت إلى مركز أوبك خلال عملية الاستطلاع؟**

ـ نعم.

■ **وبأي حجة؟**

ـ في مبنى أوبك كانت توجد السفارة الكندية وشركة نفط. صعدت إلى طابق أوبك بحجة أنني ظننته طابق السفارة. ودخلت المركز ولم تتسن لي رؤيته بكامله. لكنني ألقيت نظرة على المدخل والسلم والمصعد، وإلى ما هنالك من تفاصيل وأمور. ثم اعتذرت عن «الخطأ» في الطابق وخرجت. رجعت إلى بيروت، وكان كارلوس موجوداً وتداولنا المعلومات. ثم قررنا الانطلاق للتنفيذ. هنا خرجت بجواز لبناني من طريق زوريخ. وفيها بدّلت الجواز إلى جواز قبرصي كي أدخل إلى فيينا. واكتملت المجموعة في فيينا.

■ **من أين أتى كارلوس؟**

ـ لا أعرف تماماً. لكنني أعرف أنه كان في لبنان. والاحتمال أن يأتي إما من طريق سويسرا وإما إيطاليا. ولم يكن مطلوباً مني أن أعرف أي وجهة ستسلك العناصر إلى فيينا.

▪ أين كان الموعد؟ وكيف التقيتما في فيينا؟

ـ الموعد كان على الشكل الآتي: في الأيام المفردة أذهب إلى الأوبرا من السادسة إلى السابعة ليلاً، وأنتظر هناك وهو يأتي. ولم أعرف من أي طريق أتى والجواز الذي استخدمه. كذلك، هو لم يكن يعرف طريقة دخولي.

▪ هل ذلك من الشروط الأمنية؟

ـ نعم. فالتنسيق مع كمال كان أن أعرف طريقي وكارلوس يرتب طريقه من دون علمي.

▪ هل كان كمال يدير العملية من بيروت؟

ـ نعم من بيروت.

▪ ووديع؟

ـ من عدن. تم اللقاء في فيينا. وكان أول الواصلين كارلوس وأنا. بعدها، وصل الشاب والفتاة الألمانيان. وآخر الواصلين يوسف (الفلسطيني) وجوزف (اللبناني).

وكانت علاقتي بالاثنين الأخيرين مباشرة لأؤمن لهما سكناً في الفندق. وطريقة الالتقاء كانت نفسها أي عند الأوبرا. وكارلوس اهتم بالآخرين. كارلوس كان يقيم في شقة وأنا في فندق. حين اكتملت المجموعة، كثفنا عمليات الاستطلاع، انطلاقاً من أماكن إقامتنا، وكي يكون كل أفراد المجموعة على علم بالتفاصيل.

واستناداً إلى زيارتي مقر أوبك، وكان كارلوس قد ذهب إلى هناك

بالطريقة نفسها، أي بحجة أنه أخطأ بين المقر والسفارة، وبناء على دراستي هندسة الديكور استطعت أن أضع مخططاً للمبنى وأن أقدّر أين تقع قاعة الاجتماعات. ثم حددنا يوم العملية. وقبل التنفيذ بـ٤٨ ساعة، وصل ألمانيان (شاب وفتاة) من خارج المجموعة ومعهما الأسلحة. واقتصرت مهمتهما على جلب الأسلحة فقط. وكانا ينتميان إلى «الألوية الحمر» الألمانية. سلّمانا الأسلحة فقط. ثم قررنا عقد اجتماع في آخر ليلة قبل العملية. وبتنا في الشقة نفسها، شقة كارلوس، حيث تلقى كل فرد منا التعليمات اللازمة. وفي الصباح الباكر، غادر الألمانيان اللذان أتيا بالأسلحة. أما نحن فبقينا إلى أن حان وقت العملية.

ركبنا قطاراً (تراموای)، عبر خط يوصلنا إلى محطة تبعد نحو ١٥ متراً عن مقر أوبك. ووضعنا الأسلحة في حقائب رياضية، ولم يكن الجميع في حاجة إلى حقائب. فأنا كنت أحمل مسدسين، ومن كان يحمل رشاشاً احتاج إلى حقيبة وتحديداً كارلوس وجوزف.

خرجنا من المحطة وكان البرد قارساً، وشاهدنا عنصرين من الشرطة هناك وكنا نرتدي المعاطف. كان كل شيء مموهاً في شكل جيد، ولم يلاحظ الشرطيان شيئاً. حتى إننا، وبكل بساطة، سألناهما عن مكان المؤتمر. فظنّا، من الحقائب التي معنا، أننا صحافيون. فدلاّنا إلى المكان. طبعاً كنا نعرف الطابق الذي يقع فيه مقر أوبك، إلا أننا بادرنا الشرطيين بالسؤال أولاً قطعاً للطريق على أي اشتباه أو التباس. وأكملنا أسئلتنا عن موعد المؤتمر ومكان القاعة. أي مجرد أسئلة روتينية اعتيادية. دلّنا الشرطيان إلى الطابق الأول. صعدنا إلى المقر وبدأ الاقتحام. وبحسب الخطة، انقسمنا مجموعتين: الأولى تسيطر على المدخل الأساسي مع السنترال والسكرتيرة، والأخرى

تكمل الاقتحام. وهذه الأخيرة انقسمت قسمين كل واحد يتولى تفتيش جهة من الممر. توليت أنا تفتيش الجهة اليمنى وسلاحي في يدي. وفتحت أربع غرف أو خمساً فيها موظفون. وكانت قاعة الاجتماعات آخر غرفة. عندها ناديت بقية العناصر، ولم نكن قد ارتدينا الأقنعة بعد. إلا أني كنت أعتمر قبعة من الفرو وقبة الكنزة عالية فلم يلحظ أحد ملامحي، خصوصاً أنني كنت أتحرك في سرعة. ولما دخلنا القاعة وضعنا الأقنعة كي لا يتأملوا طويلاً في وجوهنا.

الجميع كانوا في الاجتماع. وفور دخولي أطلقت رصاصتين نحو السقف. فانبطحوا أرضاً. وكانت المجموعة الثالثة قد ساقت الموظفين إلى القاعة. وكانت هناك مجموعة حراس شخصيين في قاعة الانتظار. وقُتل منهم اثنان عراقي وليبي. بقية الوزراء لم يكن لديهم حراس. وقد حاول الحارسان المذكوران استهداف الفتاة المشاركة معنا ظنّاً منهما أنها الأضعف لكنها عاجلتهما بالرصاص وأردتهما.

تم تجميع كل الموظفين في القاعة. وحصل اشتباك بسيط مع الشرطيين اللذين كانا على مدخل المبنى، عندما صعدا لمعرفة ما الذي يحصل. ثم أتت مجموعة من قوات خاصة وحصل اشتباك، جُرح خلاله رفيقنا الألماني. إلا أننا بقينا مسيطرين على الوضع. بحسب الخطة، كان من المفترض، أن نقسّم الوزراء والموظفين مجموعات. مجموعة الأعداء مؤلفة من إيران والسعودية، ومجموعة الحياديين تضم الكويت والنيجر وإندونيسيا ومن ليس له علاقة... ومجموعة الدول شبه الحليفة للقضية الفلسطينية تضم العراق والجزائر وليبيا، أي دول «جبهة الصمود».

وبعد التقسيم على هذا الشكل انكشفت نياتنا. فكانت البشاشة بارزة على وجه الوزير العراقي مثلاً، ولم يظهر على الباقين من مجموعته أي قلق.

أما المجموعة الأولى، أي السعودية وإيران، فقد اعتراها قلق رهيب. وقد حاول الوزير أحمد زكي اليماني الكلام على أنه مؤيد للقضية الفلسطينية، وليس لديه أي شعور بالعداوة. لكننا لم نجبه بشيء. ثم أعلنّا عن أنفسنا، أننا مجموعة عربية ثورية لدعم القضية الفلسطينية، وأننا أخذناهم رهائن ونحن نتفاوض مع الحكومة النمسوية. طلبنا أولاً أن يحضر السفير الليبي في فيينا. لكنه كان مسافراً، ثم أتى القائم بالأعمال العراقي وأبلغناه أن لدينا بياناً يجب أن يذاع في نشرات الأخبار النمسوية دعماً للقضية الفلسطينية.

■ ما كان اسم المجموعة؟

ـ «ذراع الثورة العربية».

■ وهل بدأت المفاوضات؟

ـ عملياً لم تجر مفاوضات حقيقية مع النمسويين. فكل المطلوب منهم ظاهرياً إذاعة البيان. وقد استجابوا الطلب وسمعنا البيان من راديو صغير كان في حوزتنا. النقطة الثانية هي عملية الإخلاء. وكان من المفترض أن يوفّر النمسويون لنا طائرة تقلنا. أما عن الخطة، فكانت هناك خطة علنية وخطة ضمنية. الأولى قضت بأن نتفاوض معهم لإعلان البيان وللخروج مع الرهائن سالمين من فيينا. أما الخطة الضمنية فقضت بأن يكتب الرهائن رسائل إلى سفاراتهم وحكوماتهم كما يحلو لهم. والهدف من ذلك أن نضع اليد على

رسالتين تحديداً من أموزيغار واليماني. ثم أملينا عليهما ما يجب أن تتضمنه رسالتاهما، أي يجب على كل من الحكومتين تحويل مبلغ قيمته ٥ ملايين دولار... ما مجموعه ١٠ ملايين دولار. وهذا ما حصل. ومن الطريقة التي عومل بها اليماني وأموزيغار، أدرك الاثنان أنهما الهدف وأنهما سيعدمان إذا لم تنفذ المطالب.

أما النمسا فقبلت أن تضع طائرة في تصرفنا شرط إطلاق الموظفين النمسويين. ونحن وافقنا على ذلك.

صباح اليوم التالي، حصلت طرفة من السفير العراقي، وكان وجد نفسه مرتاحاً، كأنه يشاهد فيلماً سينمائياً لا يعنيه، قال إننا فوتنا عليه حفلة الختام في فندق «هيلتون»، على شرف الوزراء. فاستجبنا طلبه جدياً وطلبنا من الحكومة النمسوية أن تحضر المآكل التي كانت ستقدم في حفلة الهيلتون، إلى الرهائن. وبالفعل جاؤوا بالصحون. وأصبحنا على استعداد للانتقال إلى الطائرة.

أطلقنا الرهائن النمسويين مع عدد آخر لا أذكره من رهائن من جنسيات أخرى، لأن الحافلة التي كانت ستقلنا إلى الطائرة لم تتسع لهم كلهم. وانطلقنا إلى الحافلة، وكان كارلوس أول من تفقدها. هنا لا بد من العودة إلى أمر حصل خلال التحضير وهو مهم جداً، أي حين كنت وكارلوس وحدنا في فيينا، إذ بعدما ذهب واستطلع بنفسه مقر الأوبك، جلسنا في مقهى خلف المبنى. وطلب مني كارلوس أن أدلي برأيي في العملية، فبادرته بأن لدي استفهاماً عن عملية الإعدام (إعدام الوزيرين الإيراني والسعودي) لأنني رجل مسيّس وأدرك أبعاد تنفيذ قرار خطير من هذا النوع. بحسب الخطة، كان علينا أن نتوجه بالطائرة بعد الحصول على الأموال، إلى العراق

أو عدن لإعدام الوزيرين. وأنا لا أستطيع أن أتصور ما الذي سيحصل بعد الإعدام، أكان في بغداد أم في عدن. ففي بغداد سيكون نسف لكل اتفاقات إيران مع العراق ووقف الحرب الكردية والتدخلات بين البلدين، بحسب اتفاق الجزائر. أما إذا تم الإعدام في عدن، البلد الصغير المتهم أساساً، فإنه سيتعرض بالتأكيد لضغوط من الدول المعنية وربما لأكثر من ضغوط. وأنا لا أعتقد بأننا نكون بذلك أسدينا خدمة حسنة لرفاقنا في عدن.

كانت لوديع قاعدة في عدن. وعملية من هذا النوع (أي الإعدام) ستحرج هذا البلد بالتأكيد وتوجه إليه الاتهامات وتليها المقاطعات. فوجئت بأن كارلوس تجاوب معي في سرعة، ولم يتأخر ليؤيد وجهة نظري في أن هذا الهدف (أي الإعدام) ليس طبيعياً وسليماً.

▪ إذاً كانت الخطة تقضي بأخذ الوزيرين إلى بغداد، لإعدامهما هناك؟

ـ إما بغداد وإما عدن. وكارلوس لم يعلن موافقته على أن هذه المسألة يجب ألا تحدث. لكن طريقة تجاوبه معي كانت واضحة، إذ قال: «من الواضح أنك تفهم في السياسة كثيراً». وأيدني في خطورة هذا الموضوع.

وفي المقابل، كانت لديه تعليمات بألا يظهر بتاتاً في العملية. أي أن ما من أحد يجب أن يدري أن كارلوس هو من المجموعة. والمسؤول عن المفاوضات وإدارتها هو أنا. فطرح هو في المقابل، أن يكشف عن نفسه ضمن المجموعة. فإذا علموا بالأمر ازداد خوفهم وأدركوا مدى جدية العملية وخطورتها. وافقته الرأي، فاسم كارلوس له وقعه. وكان أن أيد واحدنا الآخر من دون إعلان ذلك. وكانت

المعضلة تكمن في أنني لا أستطيع الطلب منه مخالفة الأوامر وعدم اغتيال الوزيرين، ولا هو يستطيع أن يلقي علي مسؤولية الكشف عن نفسه في المفاوضات.

ولـمّا نُفّذت العملية وبدأت المفاوضات، شرعت أنا في طلب السفير الليبي ومن ثم العراقي. وعندما جاء القائم بالأعمال العراقي، قدّم له نفسه على أنه كارلوس. وأنا لم أعارض، أي أنني تركت له المجال. وفي رأيي كانت هذه الخطوة إيجابية، أي أن وجوده العلني ضمن المجموعة أرعب الأجهزة وأضفى مزيداً من الجدية على العملية تمثلت في أن شخصاً مطلوباً من الأجهزة العالمية ويجرؤ على كشف نفسه أمام العالم، ما يعني أنه مصمم على الذهاب إلى الأخير. وفي صباح اليوم التالي، توجهنا إلى الطائرة ومررنا بمرحلة مفاوضات كي نأخذ الألماني الجريح. وتم إخلاء الجريح المصاب بمعدته. ثم بُلّغنا أن حاله خطيرة، فقررنا كمجموعة ألا نتركه وراءنا في أي شكل من الأشكال والأفضل أن يموت في الطائرة على أن يبقى بين أيدي السلطات وتحقق معه. أصررنا على أن يأتي معنا، فتمت الموافقة. وعندما وصلنا إلى الطائرة صعد كارلوس إليها، وتأكد من وجود المصاب فيها ومعه طبيب كردي تطوّع للذهاب معنا.

توجهنا من النمسا إلى الجزائر التي وصلنا إليها صباحاً. وبدأت المفاوضات مع الحكومة الجزائرية في المطار. أولاً، بدا الجو متوتراً. لكن فجأة، أتى رجال أمن وسمح لهم كارلوس بالصعود إلى الطائرة ليتفقدوا الرهائن، خصوصاً أن الوزير الجزائري كان في الطائرة ثم نزل، وصعد لاحقاً مع كارلوس. هنا فهمت أن صفقة ما أبرمت مع الجزائر، بدليل الارتخاء في الأجواء. ومن الجزائر توجهنا إلى ليبيا.

■ كم وزيراً كان بين الرهائن؟

ـ ١١ وزيراً، نزلنا في مطار ليبيا وكان الوزير الجزائري لا يزال معنا في الطائرة على رغم أننا طلبنا منه البقاء في الجزائر. لكنه أصرّ على مرافقتنا. ولما وصلنا إلى ليبيا، سمح له كارلوس بأن ينزل ويتفاوض مع الليبيين. وهنا تأكدت من وجود صفقة أكبر وإلا فما معنى هذه المناورات؟

آنذاك، أنا لم أسأل، لكنني أحسست أن شيئاً ما يحصل وأعطيت كارلوس بعض المجال. ثم قال لي كارلوس إنني سأكون المسؤول مع الليبيين، وكأن دوره انتهى. انتظرنا طويلاً في مطار ليبيا قبل أن يأتي الرائد عبد السلام جلود الذي تولى عملية المفاوضة. ثم نزلت مع رَجُلي أمن إلى أرض المطار وقابلت الرائد جلود وكان مطلبنا تغيير الطائرة.

طائرتنا كانت من طراز «دي سي ١٠» لا تصلح لقطع مسافات طويلة، من الجزائر إلى عدن مثلاً. وكان لا مفر من المحطات على الطريق. وقد نضطر إلى النزول في مصر التي كانت خطرة جداً آنذاك، ولم نكن نريد النزول فيها.

وفي المفاوضات طلبت منهم طائرة «بوينغ ٧٠٧». لم يكن لديهم طائرة ولم يكونوا مستعدين لاستئجار واحدة لنا. عندها وصلنا إلى طريق مسدود. وأنا لم أصرّ كثيراً، فلم أكن متحمساً للوصول لا إلى بغداد ولا إلى عدن. غادرنا ليبيا وطلبنا النزول في تونس فأقفلوا المطار، ولم يكن طلبنا النزول فيها جدياً، وتوجهنا مجدداً إلى الجزائر.

■ ماذا حصل في الجزائر؟

ـ مفاوضات لم تدم طويلاً، انتهت باتفاق على أن نفرج عن الرهائن ونسلّم أنفسنا. كنت مسروراً بالنتائج ومتفاهماً مع كارلوس. رفيقتنا الألمانية لم تفهم ما يحصل وكانت في حال عصبية، لأن الوزيرين لم يعدما فشعرت بما يشعر به عسكري لم ينفذ الأوامر. سلّمنا أنفسنا في حضور مسؤولين، بينهم وزير الخارجية عبد العزيز بوتفليقة (الرئيس الحالي) ومسؤولون أمنيون. وفهمت لاحقاً أن عملية تحويل الأموال تمت خلال الرحلة من الجزائر إلى ليبيا ثم العودة إلى الجزائر.

نقلنا الجزائريون إلى فيللا على تلة كي نستريح. وبعد أيام حلّ عيد الميلاد فتولى طباخ إعداد وجبة قريدس جيدة.

■ هذه معاملة جيدة للإرهابيين؟

ـ (يضحك).

■ وبعد ذلك؟

ـ طلبت من الجزائريين أن أكون أول المغادرين كي أتصل بالمعنيين. هنا ارتكبت عملاً لا أعرف هل كان خطأ أم صواباً. التقيت بناء على طلبي مسؤول الأمن في العاصمة الجزائرية وكشفت له أنني أعمل أصلاً مع (القيادي الفلسطيني خليل الوزير) «أبو جهاد». وليتأكد من المعلومات استدعى الشخص الجزائري المسؤول عن مكتب فلسطين وطرح علي هذا الشخص مجموعة أسئلة وبعدما تأكد، سألني ماذا أريد، فطلبت التوجه إلى بيروت من طريق سورية بسبب وجود «أبو جهاد» هناك. طلبت منهم كتم المعلومات عن علاقتي بـ «أبو جهاد». أعدوا لي جوازاً جزائرياً وذهبت إلى دمشق.

في العاصمة السورية التقيت «أبو جهاد» وأخبرته. هنا يجب أن أوضح مسألة. خلال الإعداد لعملية فيينا راودني شعور أنها قد لا تنفذ وأنها يمكن أن تصطدم بصعوبات لوجستية كما حدث لخطة خطف مهدي التاجر. وفي تجاربنا الكثير من الأمثلة من هذا النوع، لهذا لم أخبر «أبو جهاد» شخصياً بالعملية واكتفيت بإبلاغ قائد الميليشيا في لبنان جواد أبو الشعر، وهو صديق يمتاز بحسه السياسي وهدوئه. أبلغت جواد لأن علاقتي بمجموعة وديع حداد كان يفترض أن تبقى سراً وألا يعرف بها إلا «أبو جهاد» وأبو الشعر على رغم كون العمل أمنياً. أنا لم أكن أثق بأجهزة الأمن الفلسطينية وأبقيت تحركي بعيداً من تشكيلاتها الكلاسيكية. قال لي جواد: اذهب إلى أوروبا... وسنرى لاحقاً. بعد عملية الاستطلاع الأولى حاولت الاتصال بـ «أبو جهاد». قصدته إلى دمشق فقالوا لي إنه غادر إلى بيروت. جئت إلى بيروت فاكتشفت أنه غادر إلى دمشق. «أبو جهاد» كان من النوع الزئبقي يصعب العثور عليه فيما يعثر عليك حين يريدك. وقلت في نفسي أبلغه لاحقاً. في الليلة التي سبقت ليلة عملية التنفيذ، هبّت على فيينا عاصفة ثلجية منعتني من التوجه إلى الشقة المقرر أن نجتمع فيها وبالتالي تأخرت العملية التي كانت مقررة مع افتتاح مؤتمر أوبك. حاولت الاتصال بـ «أبو جهاد» لأخبره، لكن الوضع كان حساساً. ورحت أسأل نفسي ماذا سيفعل وهل يبلغون الأمن النمسوي لإفشال العملية؟ وشعرت أنني ألعب بمصيري! وفي النهاية سرت في العملية وهدفي منع تنفيذ عملية الإعدام وبأي ثمن.

■ وكيف تسربت فكرة إعدام الوزيرين إلى هذه المجموعة؟

ـ لا أعرف من أوحى بها، لكن أوامر وديع حداد التي نقلها كمال

خير بك كانت تقضي بإعدام الوزيرين في بغداد أو عدن.

■ **قيل إن دولة عربية كانت تقف وراء فكرة خطف الوزراء ووجهت اتهامات إلى العراق وليبيا؟**

- ليس لدي أي دليل. لا أعرف هل هناك إيحاءات. لقد رأيت الإعدام خطيراً وليس من مصلحة الثورة الفلسطينية، وكنت أستند إلى سوابق عمليات «أيلول الأسود». مثلاً حين فجرت «أيلول الأسود» مخازن النفط في تريستا في إيطاليا، من كان المستفيد؟ وحدها شركات التأمين، وأولها «لويدز» البريطانية، كانت المستفيدة من ارتفاع رسوم التأمين على بواخر النفط من الخليج.

■ **لنعد إلى لقائك «أبو جهاد»؟**

- فوجئ «أبو جهاد» بمشاركتي في العملية، بمجرد وجود كارلوس رأى أن وديع حداد وراءها. رويت له ما حدث. وكالعادة سجل بعض المعلومات، وقال: الحمد لله على السلامة يا أخ. لاحقاً قدم «أبو جهاد» تقريراً إلى القيادة الفلسطينية عن الموضوع.

■ **ماذا فعل كارلوس؟**

- بقي كارلوس في الجزائر ثم انتقل إلى عدن. هناك حصل خلاف بين وديع حداد وكارلوس لأن الثاني لم ينفذ الأمر بإعدام الوزيرين ولأنه كشف هويته في العملية فيما كانت أوامر وديع تقضي بعدم كشفها. حدثت أزمة لكنها لم تسفر عن انشقاق بمعنى الانشقاق. إلا أن كارلوس تغير حجمه ولم يعد وديع يرغب في إشراكه.

■ متى رأيت كارلوس للمرة الأولى؟

ـ التقيته في باريس خلال الإعداد لخطف مهدي التاجر. كنت التقيت ميشال مكربل قبل ذلك في بيروت. قال لي مكربل: ستذهب إلى باريس وسيكون جوني هناك. وجوني هو الاسم الذي استخدمه كارلوس في تلك المرحلة. واكتشفت أن جوني خبير في تزوير الجوازات. من الناحية التراتبية كان مكربل أعلى من كارلوس في تلك الفترة وكان يعامله بنوع من القسوة والازدراء.

كان كارلوس شاباً متحمساً ومتفائلاً وقريباً من القلب. كان مقتنعاً بالثورة العالمية وتربيته في المنزل يسارية وشيوعية. وهو جاء إلى الثورة الفلسطينية انطلاقاً من قناعاته.

■ والتفجيرات التي حدثت في فرنسا وكان كارلوس وراءها؟

ـ كان «الجيش الأحمر» قد احتجز رهائن في لاهاي وللضغط على الحكومة الفرنسية حصلت التفجيرات. أي كان الغرض مساعدة العملية الجارية في لاهاي.

■ ومتى التقيته للمرة الأخيرة؟

ـ في الجزائر في ختام عملية فيينا. والسبب أن المسؤولين الجزائريين الذين كشفت لهم أنني أعمل مع «أبو جهاد» لم يكتموا السر وأبلغوا كمال خير بك به.

■ ألم يفكر وديع حداد في اغتيالك لأنك اخترقت المجموعة؟

ـ لم يتوصلوا إلى تقويم واضح لمدى خطورة وجودي معهم. لم يكن لديهم أي دليل على أنني طعنتهم أو كنت سبباً في فشلهم. وحين أبلغوا أنني أعمل مع «أبو جهاد» قالوا: نحن نعرف ذلك.

■ **من كلّفك اختراق هذه المجموعة؟**

ـ لا أحد. هكذا كنت على مدى حياتي، أتحرك باستقلالية في خدمة الثورة والمبادئ التي أؤمن بها. بدأت القصة على الشكل الآتي: كان لدي صديق من أيام المدرسة جاءني ذات يوم وقال لي أنت تعمل مع المقاومة لكن هناك مجموعة تعمل أكثر وبفاعلية أكبر. الواقع أن الشاب هو اللبناني الآخر الذي شارك في عملية فيينا وكان اسمه الحركي «جوزف». سألته من هم؟ فقال «أيلول الأسود». هل تريد أن تتعرف إليهم؟ أكدت رغبتي وتظاهرت أنني لا أعرف من هم «أيلول الأسود». عرّفني إلى كمال خير بك، وخلال الحديث فهمت أن كمال كان يعمل في إطار «أيلول الأسود» وأنه ومجموعة معه اتصلوا بوديع حداد فقررت الدخول في هذا الخط. دخلت لأعرف أكثر ولأخدم الأمن السياسي للثورة الفلسطينية.

■ **هل كنت تعرف فؤاد عوض؟**

ـ كنا نلتقي دائماً في اجتماعات مجموعة كمال خير بك وهي مجموعة «بو ضيا»، والاسم نفسه استخدمه كارلوس ومكربل.

■ **ألم تلتق وديع حداد؟**

ـ لا. ربما كان علي أن أسعى إلى ذلك. لم أزر عدن. كان يعرف عني من كمال خير بك وكان له مندوب في لبنان لقبه «أبو فادي»

الذي حضر معنا اجتماعين ورفع تقريراً إلى وديع.

■ بماذا شعرت عندما اعتقل كارلوس؟

ـ شعور بالاستياء من الدولة السودانية التي أعتقد أنها وقعت ضحية الإعلام الدولي الذي صوّر كارلوس مغامراً أو مرتزقاً، وهو ليس كذلك. كارلوس مناضل حقيقي، أما أسلوب عيشه فهو أسلوب شباب أميركا اللاتينية ويجب ألا نحاكمه بمنظور الفكر الشرقي.

■ هل كان كارلوس شجاعاً؟

ـ شجاع جداً، ويلقي بنفسه في النار. المرتزق لا يفعل ذلك. شجاعته وليدة اقتناعه. يوم كان يعمل مع وديع حداد لم تكن له مكاسب مالية، لاحقاً، حكى عن مكاسب مالية.

الفصل الثاني

مهمات إيرانية؟
شمولية الثورة

■ **ما هي العلاقة مع إيران التي دفعتك إلى تنفيذ مهمة إيرانية؟**

ـ قرأت كتاباً لأحد الاستراتيجيين يتحدث عن دور التحالفات العسكرية والتوزيع الاستراتيجي في العالم. وفهمت من خلاله دور حلف شمالي الأطلسي وتركيا وإيران، وطريقة الدول الكبرى في التخطيط لمصالحها. بعد التفكير في ما تضمنه الكتاب وجهت رسالة إلى «أبو جهاد» عنوانها «الإمبريالية تخطط بشمولية وعلى الثورة أن تخطط بشمولية»، اقترحت فيها توسيع علاقتنا مع الحركات الثورية وحركات التحرر لإقامة شبه تحالفات ثورية مضادة لتلك القائمة. ولم يكن «أبو جهاد» بعيداً عن هذه الأجواء، ولم

يكن ينتظر رسالتي ليفكر بهذه الطريقة. فهو كان يتبع الأسلوب نفسه في المعاملة التي تلقاها من الصين والجزائر بمدّ يد العون للفلسطينيين. فأخذ على عاتقه أن يساعد أي حركة تحرير ثورية تطلب هذه المساعدة.

وبناء على اقتراحي الذي ركز على إيران وتركيا، طلب مني القيام بما يمكن أن أحققه في هذا المجال. فبدأت بإقامة علاقات مع مناضلين أتراك وإيرانيين، لم يكونوا يتصلون بحركة «فتح» وحدها بل بمنظمات أخرى أيضاً. وهكذا تمكنت من تأسيس علاقة مع شبكة من الأتراك الموجودين في لبنان وتركيا، وتعرفت، عن طريق أحد الإيرانيين الذين كانوا في لبنان وعملوا معنا (الشهيد محمد صالح الحسيني)، إلى مجموعات إيرانية أخرى.

تطورت هذه العلاقة من مدّ يد العون إلى تبادل الخدمات. إذ يمكن هؤلاء أن يدخلوا الأراضي المحتلة بجوازاتهم من دون سمة دخول. وكان يمكن الإيراني والتركي أن يدخلا هذه الأراضي للاستطلاع وتزويدنا المعلومات. وأرسلنا مجموعات منهم لهذه الغاية. وفي المقابل، كانت هذه المجموعات تتلقى منا مساعدات لدعم أنصارها في الداخل. وكانت هناك معسكرات تدريب على الأسلحة والمتفجرات ودورات سياسية للعمليات التنظيمية والأمنية. وبعد مدة، رفعت تقريراً تقويمياً وتبين لي أن المنظمات التركية اليسارية التروتسكية وغيرها لا تؤدي إلى نتيجة في تركيا. يمكن أن تقوم ببعض الأعمال المساعدة في بعض الجوانب، لكنها لا تؤثر جدياً في النظام التركي، فيما المنظمات الإيرانية، وهي متعددة، من «مجاهدي خلق» و«فدائيي خلق» والمجموعات الإسلامية، أكثر جدية في عملها وارتباطها بالناس. وبالتالي هناك أمل بأن تؤثر في النظام القائم.

وأوضحت في التقرير وجوب ألا يكون أي نوع من المساومة بين منظمة التحرير وبعض هذه الأنظمة لوقف الدعم لهذه المجموعات في مقابل اعتراف هذه الدول بمنظمة التحرير وفتح سفارات لها فيها. فركزت على إيران لأن العمل فيها جدي. لكن تركيا لا أمل منها، وهذا ما حصل، إذ جرى نوع من التفاوض وتوقفت المنظمة عن الدعم، فيما استمر في إيران.

في بداية تحرك الثورة الإيرانية، أثبتنا سلامة تحليلنا، وإيجابية علاقتنا الاستراتيجية بهذه القوى، على رغم أننا كنا نخسر سياسياً بتعزيز عدائنا لنظام هو أصلاً معاد. وكان انتصار الثورة الإيرانية انتصاراً لنا، في ضوء إسهامنا في دعمه، فأفرز تغييراً استراتيجياً في المنطقة، بقلب أقوى الأنظمة لجهة عدد السكان والجيو ـ سياسة والجيش والإمكانات المادية والنفطية، من دولة معادية لنا متحالفة مع إسرائيل إلى العكس. وبعد هذا الانتصار، كان طبيعياً أن أذهب إلى إيران وأتابع العمل مع أصدقائي الذين تبوأوا مناصب.

بعد هذا الانتصار بأسبوع وعودة الإمام الخميني وتعيين حكومة مهدي بازركان، كان ما زال من المعارضة الإيرانية في بيروت محمد صالح الحسيني وجلال الدين فارسي الذي ترشح لرئاسة الجمهورية. وفي منزلي، دار حديث مع جلال الدين فارسي أبدينا خلاله تخوفاً، بعد انتصارنا، من أن تعود «تجربة مصدق» لأن الجيش غير ممسوك، على رغم خروج الشاه. إذ يستطيع الجيش أن ينفذ انقلاباً ويعيد الأمور إلى الصفر. فاقترحت بناء جيش موازٍ للجيش القائم، من دون تسليحه كأي جيش. ويكفي أن يتمكن من مقاومة أي عملية انقلابية. وهذا نوع من تسليح للشعب ضد هذا الاحتمال.

طلب مني جلال فارسي أن أكتب هذا المشروع. في اليوم التالي، زارني محمد صالح في منزلي، وكنت قد انتهيت من وضعه وسميته «الحرس الثوري». وقضى بتأسيس حرس بسلاح خفيف من نوع «كلاشنيكوف» و«آر بي جي»، يتمركز في ثكن الجيش لمنع حدوث أي عملية انقلابية. ويتكون من الشعب والقوى التي أسهمت في السلطة. فحمل محمد صالح المشروع إلى الإمام منتظري الذي كان في سورية، وهو يعدّ محرك المجموعات الإيرانية الآتية من إيران والتي كانت تتلقى التدريبات في سورية ولبنان. وكان مركز استقطاب.

بعدما زرت طهران سمعت أن الحرس الثوري أنشئ، واستوضحت طريقة التأسيس، فأجابوا «بكل بساطة ذهبت مجموعة من خمسة أشخاص إلى إحدى ثكن الجيش، فخاف الضابط منهم، وسألهم ماذا يريدون؟ فأجابوه «الثكنة مطوّقة ويجب أن تسلّموها». فتجاوب». وفي اليوم الثاني، نشر خبر تأسيس الحرس الثوري متضمناً دعوة إلى الراغبين في الالتحاق به، أن يقصدوا هذه الثكنة لارتداء الزي العسكري وتسلّم السلاح.

لم ينل هذا المشروع موافقة حكومة بازركان، لكن الإمام أيده ورأى أن مجلس الثورة فكرة سليمة ويجب تأسيس هذا الحرس. فتحول المشروع من فكرة مجموعة صغيرة إلى فكرة تبناها النظام الثوري في إيران. وعُيّن «بو شريف»، وهو من المعارضين المقيمين في بيروت وقد تلقى فيها تدريبات، لقيادة هذا الحرس. ثم أصبح مؤيداً لبني صدر ولجأ إلى باكستان. هذا هو دورنا المتواضع في نجاح الثورة الإسلامية في إيران، لأن الفضل للشعب الذي اضطلع بدور أساسي. وكان جزء من القاعدة الأساسية للقوى الثورية التي تتحرك

من الخارج موزع بين أوروبا ولبنان.

■ **أين كانت تتدرب هذه القوى؟**

ـ كانت غالبية المعسكرات موجودة في سورية بإشراف الفلسطينيين وتحديداً «أبو جهاد»، وقرب صور (جنوب لبنان) بعدما هدأت الحرب. تحقق الانتصار وذهبت إلى إيران للمشاركة في إنضاج الفكر السياسي وتنسيق العلاقات. في هذه الأثناء كان بختيار هرب من طهران وبدأ يدعو من الخارج إلى قلب النظام الإسلامي في ضوء وجود الجيش على الحدود الكردية ـ العراقية، وحصول انفجارات في طهران. فأجمعنا على أن بختيار خطير. وكانت التظاهرات تسير في الشوارع تدعو بالموت لأميركا ولبختيار. ناقشنا موضوع هذه التظاهرات ومطالبة الشعب بالموت لبختيار، فرأينا وجوب أن يُعدم. فهناك معلومات تفيد بأن بختيار يتحرك بقوة ويمثل نقطة استقطاب في الخارج ويتحرك أكثر من الشاه لإعادة قلب النظام، فعُقد اجتماع في المساء، ضم محمد منتظري (نجل آية الله منتظري الذي استشهد في عملية نسف المركز الجمهوري) ومحمد صالح وطرحنا الموضوع وأيده، ورأى أنها فكرة سليمة لأن بختيار أعلن غير مرة مسؤوليته عن تحركات تهدف إلى إطاحة النظام.

■ **يعني أنك عرضت اغتيال بختيار وتطوّعت؟**

ـ في ذلك الوقت، كنت أشعر أنني من الذين شاركوا في إنجاح الثورة وأتحمل مسؤولية استمرارها وتقويم وضعها.

■ **إذاً، لم يكن هناك جهاز إيراني؟**

ـ بعدما طرحنا الفكرة في هذه الجلسة، رأى محمد منتظري عرض

الفكرة على الإمام واتخاذ موقف منها والحصول على فتوى من المحكمة الثورية وبالتالي البحث عمّن يساعد في التنفيذ. فكُلّف محمد صالح البحث في هذا الموضوع مع كادر الحرس الثوري والحصول على القرار من الإمام. فاتضح أن هناك محكمة ثورية في إيران كانت قد أصدرت حكم الإعدام في حق بختيار، وكذلك فتوى الإمام بالمصادقة على قرار المحكمة من دون إعلانها. وتمت الموافقة على تنفيذ العملية بقيادة الحرس، مع الإشارة إلى أن «أبو شريف» (القائد) لم يتدخل في الموضوع وتم البحث فيه مع محسن رضائي (قائد الحرس الذي استقال) ومحسن رفيق دوست الذي أصبح وزيراً للحرس.

لم يكن للحرس في تلك الأيام أجهزة أو عناصر، فسئلت عمن يمكن أن يقوم بذلك. فتطوعت. فتساءلوا كيف، إذ يعرفون أنني كنت أدعم الثورة سياسياً ومالياً وبجوازات السفر، ولا يعرفون أنني منفذ عمليات في الخارج وصاحب خبرة. فأوضحت لهم قدرتي على الإشراف على التنفيذ، على أن يختاروا اثنين أو ثلاثة من العناصر الإيرانيين للمساعدة.

في البداية، كان القرار بأن أساعد في تحديد موقع بختيار واستطلاعه وإعداد الخطة وتهريب الأسلحة، على أن ينفذ العناصر الإيرانيون العملية. لكن أثناء الإعداد للعملية، وجدت أن الشابين الإيرانيين اللذين اختيرا يتكلمان الإنكليزية، ولم يكن ثمة تنبّه إلى أن مكان إقامة بختيار هو فرنسا. وهكذا، لم يكن في استطاعتهما التحرك والتنفيذ وحدهما، فتورطت تدريجاً في الإشراف على التخطيط والتنفيذ. فتم شراء الأسلحة من بيروت وإعداد جوازات السفر كذلك، وزارها الشابان الإيرانيان وأمضيا فيها ١٥ يوماً، واضطررت

إلى ضمّ شابين آخرين إليهما، لبناني وفلسطيني، لاستكمال عملية الاستطلاع وتوسيع المجموعة.

وتمت عملية تهريب الأسلحة عبر المطار في حقيبة رياضية إذ لم تكن هناك تدابير أمنية مشددة. وفي مطار أورلي، كنت على علم بثغرة هناك. اذ عند الوصول وقبل النزول إلى الجمارك، لا يخضع حامل حقيبة صغيرة للتفتيش، ونادراً ما يتم ذلك. فأعطينا التعليمات لحامل الحقيبة، وهو اللبناني، بأن يخرج من دون أن يمرّ بمركز تسليم الجمارك. فوصل بكل بساطة.

أين تدرّب العنصران الإيرانيان؟

- في مخيم صبرا، حيث كان ثمة معسكر صغير لإطلاق النار من أسلحة خفيفة. وكان اللبناني والفلسطيني قد تلقيا التدريبات سابقاً.

من هي الجهة الفلسطينية التي كانت على علم بهذه العملية؟

- لمعرفتي بالاتفاق بين منظمة التحرير وفرنسا على عدم القيام بعمليات على الأراضي الفرنسية، أخفيت الموضوع تماماً عن القيادة الفلسطينية. وأخذت العملية على عاتقي مع محمد صالح إذا اتفقنا على ألا نخبر أحداً في ضوء وجود الاتفاق بين المنظمة وفرنسا. فمشاركتي أو عدمها، بحيث ينفذ الإيرانيان فقط، يمكن أن يدفع الجهاز الفلسطيني إلى اعتبار نفسه ملزماً بهذا الاتفاق مع الفرنسيين ويبلّغ عن العملية. وبالتالي، لم أبلّغ أحداً، حتى «أبو جهاد»، على رغم ثقتي به وإقامتنا في المبنى نفسه والروابط العائلية بيننا.

وأدى إخفاء هذا الأمر عن «أبو جهاد» إلى أزمة بينه وبين أبو عمار

الذي لم يصدق عدم علمه بالعملية لأنه كان يدرك تماماً مدى علاقتنا. واضطر «أبو جهاد» إلى أن يوضح للسفير الفرنسي أنه يعرفني ولم يكن على علم بالعملية، لتبرير الموقف حيال الفرنسيين. لم يكن أحد من القياديين الفلسطينيين على علم بالأمر. ولم أحتج إليهم نظراً إلى علاقاتي ومعرفتي بطريقة تأمين السلاح، وكان يمكن تأمين كل شيء في بيروت.

■ ما هي جنسية الجوازات؟ وأين أعدّت؟

ـ كان معنا ثلاثة جوازات سورية، أما أنا فاستعملت جوازي العادي على أساس أنني لست منفذاً. لكن، عندما حصل التنفيذ، كنت أملك جوازاً سورياً باسم آخر، وقبل وقت قصير من السفر، وجدت أن أرقام الجوازات متسلسلة وتكهنت في حال شُكك في أحدها أن تكشف العملية. فخاطرت بحمل جوازي الخاص فإما أن أكشف وإما لا. وهم لن يفتشوا عن اللبناني المنفذ للعملية. فوزعت الشباب على شقة وفنادق وكنت أملك شقة أخرى وبدأنا عملية الاستطلاع.

■ وماذا بعد ذلك؟

ـ عندما بدأت البحث عن بختيار وجدت أن مراسلاً من وكالة الصحافة الفرنسية حاوره، فاتصلت بالوكالة بصفتي صحافياً عربياً وأريد أن أقابل بختيار، وطلبت عنوانه. فأعطوني رقم الهاتف في مكتبه (بولفار راسباي في باريس). اتصلت بالمكتب وعرّفت عن نفسي بصفتي صحافياً عربياً وأريد مقابلة بختيار، فطلبوا مني معاودة الاتصال في اليوم التالي. وظننت أنهم سيعطونني موعداً لمقابلته في المكتب لكنهم أعطوني عنوان البيت وحددوا موعداً للمقابلة.

■ أين أقمت تلك المدة؟

ـ كنت أملك شقة مفروشة في الدائرة ١٥٧، بالقرب من فندق «ميكو». وذهبت إلى منزل بختيار لإجراء المقابلة بصفتي صحافياً، واستطلعت منزله ومن يحميه وتحرك الشرطة العسكرية حوله، وجمعت المعلومات. عندها فوجئ الإمام بمعرفتي بهذه المعلومات في أسبوعين، لأن الإيرانيين كانوا يعتقدون أنه لاجئ في لندن، إذ كان يخطب في «الهايد بارك»، ومن ثم اكتشفت خلال عملية التنفيذ في مرحلة ثانية أن الاستخبارات الفرنسية كانت توزع معلومات صحافية خاطئة لحمايته. ففي وقت كنا نراقب منزله، قرأت في «لوموند» أن بختيار يتفقد القوات الموالية لنظام الشاه في كردستان التي قال إنها ستحرّر إيران. والواقع أنه كان موجوداً في منزله.

■ ماذا كانت مشاعرك حياله في المقابلة؟

ـ كنت أشعر بالارتياح، لأنني تمكنت من دخول منزله واستطلاع المعلومات، وأنه لا يتمتع بحماية أمنية كبيرة باستثناء وجود أربعة عناصر من الشرطة الفرنسية. جلسنا وشربنا الشاي وأجاب عن كل الأسئلة معلناً أن «هذا النظام لن يستمر، وسنعيد الديموقراطية». أنجزت الحديث، وأبدى استعداداً لأي مقابلة أخرى. ثم أعددت الخطة بالطريقة نفسها، أي عن طريق إجراء مقابلة ثانية، يرافقني فيها، ونحن مسلحون، صحافي ومصور للتنفيذ.

■ هل نشرت المقابلة؟

ـ كلا، كان يمكن أن يطالبني بذلك في الزيارة الثانية. فالمهم أن هناك إمكاناً لدخول المنزل مرة أخرى.

■ من اطلع على العملية في إيران؟

ـ أطلعت محسن رفيق دوست مسؤول الأركان الإدارية في الحرس، ومحسن رضائي عضو الأركان. واتفقنا على أن تتم بهذه الطريقة. لكن، ويا للأسف، عندما انتقلت مع الشبان إلى باريس في المرحلة الثانية، كنت جالساً في «كافيه دولابيه» أقرأ الصحف، وأجمع أكبر عدد منها للاطلاع على ما يحدث، فوجدت تصريحاً في «فرانس سوار» لآية الله خلخالي يقول فيه «أرسلنا مجموعة لتصفية بختيار في فرنسا». فاعتبرت أن العملية احترقت وكُشفت في ضوء هذا التصريح الخاطئ. فاتصلت لأبلغهم أن ما حصل خطأ، فأجابني محمد صالح أن «هذا الأمر خطأ كبير، وليس على علم به». وعادة، يخيف خلخالي العالم ويقول إنه أرسل كارلوس إلى أميركا اللاتينية وراء الشاه. مجرد تهديدات لا أكثر. بدأت المعلومات عن بختيار ونشاطه تتراكم، ولا تقتصر على التهويل والتخويف وتصريحات في الصحف، لكن هناك بالفعل سيناريو وتمويل أميركي لبختيار والاتصال بمجموعة ضباط للقيام بانقلاب برئاسته. ورأينا أن ضربه في هذا الوقت مهم، فوقعنا في مأزق، ولم يعد في الإمكان تنفيذ الخطة، إذ كلما كنت أتصل بمكتبه، كان يقال لي إنه غير موجود ـ وأنا أعرف أنه موجود لأن منزله تحت المراقبة وبالتالي هناك وضع غير طبيعي. ثم اكتشفت أن الحراسة شددت بوضع أربعة عناصر مدنيين من الصباح إلى المساء، وأنه لا يعطي مواعيد. لكن ضرورة التنفيذ وخطورة الموضوع، أصبحتا تحتّمان القيام بأي عمل، ولو خطِراً، فاتخذنا القرار باقتحام المنزل من دون موعد. وقررت استخدام كل المجموعة التي تضم خمسة أشخاص بمن فيهم أنا، بحيث يتمركز اثنان في الخارج ويدخل الثلاثة. وفعلاً تمكنّا من الوصول إلى الباب، وليس كما كتب في الصحف، أننا أخطأنا الشقة، حيث قتلت امرأة.

ووصلنا إلى أمام الباب في سيارة واحدة، وكنا ثلاثة فقط، على أن يلحق بنا الاثنان في الباص ويتوقفا في المحطة القريبة. دخلنا بصفتنا الصحافية ولم أُسأل عن بطاقتي. دخلنا وطلب رجل الأمن من زميله المتمركز في الأعلى النزول للتأكد. فأصبح الوضع حرجاً، لأنه سيسأل بختيار إن كان لدينا موعد. فاشتبكنا معهما لنصعد بالقوة نحو الباب، فقُتل شرطي وجُرح آخر، واخترقت رصاصة طائشة باب منزل الجيران حيث كانت المرأة خلف الباب تستطلع سبب الضجة في الطابق، وهي ضجة لم تكن صادرة عنّا بل من فتيات كنّ يتغازلن مع الشرطة، لأن العملية حصلت بكواتم للصوت، فأصيبت من الرصاصة الطائشة برأسها وهي وراء الباب. لم يرَ أحد المرأة. كان إطلاق النار على الشرطي، فيما ذهبت مع الشاب الثاني إلى باب بختيار وقرعنا الجرس ليفتح. وعندما تقدم مرافقه ليفتح كان هناك جنزير أمان من تحت، خلافاً للعادة، وكنت أنتظره، فلم يرَ إلا المسدس ولم يتمكن من التعرف إليّ. فرمى بنفسه وأقفل الباب. وحاولنا خلع الباب، فلم نتمكن لأنه كان مصفّحاً ضد الحريق والسرقة وكانت عملية اختراقه صعبة، ولم تعد تنفع كواتم الصوت. فقررت استخدام رشاش «الماغ» الخاص بالشرطة الذي لم ينفع أيضاً... عندئذ قررنا الانسحاب.

لكن بقي الشرطي الواقف في الحديقة الذي لم نشتبك معه، فتنبه إلى حصول الاشتباك وطلب النجدة باللاسلكي. وصادف حظنا السيئ، مرور قوميسيير في الشرطة في المكان مع سائقه وسمع النداء، فلم تحتج الشرطة إلى وقت لتصل، فحصل الاشتباك وأصبت وقبض علينا. ثم اقتادونا إلى مركز الشرطة للتحقيق. أرسلوني إلى المستشفى حيث خضعت لجراحة على مرحلتين. في المرة الأولى

لنزع الرصاصة وفي المرة الثانية ليكشف عليّ طبيب العظام. وبعد ١٠ أيام نقلت إلى مستشفى آخر، داخل سجن «فرين» الشهير الذي سجن فيه المناضلون الجزائريون. وبدأ التحقيق.

■ **متى حصلت العملية؟**

ـ في ١٨ تموز/يوليو ١٩٨٠، وكان الحكم الأقصى آنذاك الإعدام. لكن مع مجيء الاشتراكيين في ١٩٨١، ومرورنا بالمحكمة أوائل العام ١٩٨٢، كانت القوانين قد عُدّلت ليصبح الحكم الأقصى هو المؤبد. فصدرت أحكام بالمؤبد في حق أربعة منا و٢٠ سنة سجناً في حق الخامس.

■ **هل اعترفت خلال التحقيق بالخطة؟**

ـ تم توقيفنا في الاشتباك. واعترفنا في إطار تحليل سياسي، وفسرنا الهدف من اغتيال بختيار بأنه عدو للثورة ويدّعي الديموقراطية، وعدو للشعب لكون الثورة شعبية. وبالتالي هو لا يمثل أحداً، ويتآمر مع الأميركيين، كما فعلوا مع مصدّق، لقلب النظام. وبالتالي لا يحق له ذلك. وأنتم في الحكومة الفرنسية تخطئون في حماية أشخاص كهؤلاء لأنهم ليسوا لاجئين سياسيين. فاللجوء السياسي لا يكون بالتآمر على الشعب الإيراني. هذا كان الهدف من العملية. ثانياً، نحن نشكّل مجموعة لبنانية ـ فلسطينية ـ إيرانية تتضامن مع الثورة الإسلامية، ولنا الحق في الدعم.

■ **هل كشفتم مصدر قرار الاغتيال؟**

ـ قلنا إن هناك قراراً صادراً عن المحكمة.

■ ما هو اسم القاضية التي حققت معكم؟ وماذا سألت؟

ـ كان اسمها مدام ريشييه. وطرحت بعض الأسئلة، فأجبتها بأنني لا أهتم بالجهة التي أمرت بذلك. فأنا أعرف شخصاً إيرانياً وأتضامن مع الثورة الإيرانية وقررت أن أقوم بالعملية.

■ هل صرّحت باسمه؟

ـ كلا، أعطيت اسم أحمد. لم تكن التحقيقات مهمة، إذ كنا نركز على الجانب السياسي.

■ ألم تُسأل عن تاريخك وعلاقاتك؟

ـ كان جوابي أنني أؤيد الثورة الفلسطينية، وأن ليس لها علاقة بالعملية. وأثبتوا هذا الأمر من خلال علاقتي بالمنظمة لكن ليس هناك دليل.

اعتُقلنا، وبعد التحقيقات، صدر قرار المحكمة بالمؤبد وأقمنا في السجن عشر سنوات؛ جرت خلالها مفاوضات لإطلاقنا.

■ ماذا فعل الإيرانيون؟ هل مارسوا ضغطاً على الفرنسيين، من خلال عمليات أمنية مثلاً؟

ـ سمعت بعمليتي خطف طائرات، لم يكن للإيرانيين علاقة بهما، بل لشباب عرب طالبوا بإطلاقنا.

■ متى حصلت هاتان العمليتان؟

ـ عمليتا خطف لطائرتين فرنسيتين إلى مطار طهران، وفُجّر في واحدة منها جزء من الطائرة.

■ من نفذهما؟

ـ لا أعرف، لكن علمت من الإذاعات أنهم كانوا يطالبون بإطلاقنا.

■ تحوّل أنيس نقاش بنداً أول في ملف العلاقات الفرنسية ـ الإيرانية.

ـ بعد اعتقالنا بأسابيع، بدأت الحرب العراقية ـ الإيرانية، وبالتالي أصبح الوضع في إيران حرجاً ولم يعد هناك إمكان للاهتمام بنا. لكن بعد أربع سنوات أو خمس، تغيّر الوضع على الجبهة العراقية ـ الإيرانية لمصلحة إيران. وتورطت فرنسا أكثر في تلك الحرب، وتحوّل تسليح العراق من سوفياتي إلى فرنسي. وتمادى هذا التورط إلى أكثر من التسليح، إذ أجّر الفرنسيون العراق طائرات تم سحبها من سلاح البحرية. وهذه العملية تحصل للمرة الأولى في التاريخ، لا للتدريب بل لخوض حرب، وكان التورط الفرنسي بالأدلة الحسية ومعلوماتياً وعلى مستوى خبراء، وصواريخ مضادة للطائرات فوق بغداد. كذلك تورّطت البحرية الفرنسية في الخليج، بعمليات تنصّت ودعم معلوماتي لتصويب الأهداف على إيران. في هذا الوقت حصل تحرك غير إيراني يساند إيران، كان الهدف منه توجيه ضربات إلى الحكومة الفرنسية لإجبارها على إعادة التوازن، إذا رفضت إعادة النظر في تحالفاتها. وهذا حق مشروع، لأن التورط الفرنسي كان أهم من السوفيات لكونهم باعوا السلاح للعراق، ولم يسحبوه كما فعل الفرنسيون.

أصبح الوضع حساساً بين فرنسا وإيران بعد اندلاع الحرب العراقية ـ الإيرانية وتحديداً بعدما فتحت فرنسا أبوابها للمعارضة الإيرانية

المسلحة التي نفذت عمليات إرهابية ضد إيران بدعم لوجستي فرنسي. ولم تخفِ فرنسا ذلك، فحصلت أكثر من عملية خطف لطائرات إيرانية إلى باريس ومنها طائرة «جمبو». وبعدما سلّم الخاطفون أنفسهم للحكومة الفرنسية، حُكم عليهم بالسجن ستة أشهر، وهذا مستغرب... كان ذلك نوعاً من التواطؤ. ورداً على هذه العملية، خُطفت طائرة فرنسية. فزارني الأمن الفرنسي في السجن ليسألني هل أعلم شيئاً عن العملية؟ فأجبت بالنفي لأنني مسجون.

▪ هل سألك الأمن الفرنسي إن كنت مسؤولاً عن إدارة العملية في الخارج؟

ـ سُئلت إن كان لدي معلومات في ضوء المطالبة بإطلاقنا. وذكّرتهم بالطائرة الإيرانية التي خُطفت قبل أشهر، وحُوكم خاطفوها بستة أشهر سجناً، مخففة إلى ثلاثة. وقلت لهم ألا ترون ذلك تواطؤاً، وأنتم تعملون على محاربة الإرهاب؟ كيف تصورون الحكم على خاطفي الطائرة الفرنسية في إيران؟ وأنا سأطالب الحكومة الإيرانية بحكم لا يتجاوز ثلاثة أشهر. وأعطيتهم مثلاً عن عقوبة سرقة راديو سيارة في فرنسا، فهي قد تصل إلى ستة أشهر. فكيف يمكن معادلتها بخطف طائرة؟ هذا تواطؤ فاضح.

ثم وقعت حرب ١٩٨٢ في بيروت وعملية خطف الديبلوماسيين الإيرانيين، وفي رأيي كان ذلك نموذجاً، ولم يُعرف عنهم شيء. وتورط الأميركيون والفرنسيون أكثر في صراع الشرق الأوسط بتدخل قوات الحلف الأطلسي في بيروت لمصلحة فريق ضد آخر، فاجتمعت كل هذه العوامل ودفعت بعض القوى إلى احتجاز رهائن في لبنان، بهدف المساومة عليهم. ومن المواضيع التي تمّت المساومة عليها وجودنا في فرنسا.

تم التحول الأساسي أوائل عام ١٩٨٦، حين فوجئت بزيارة محاميّ، أنطوان كونت، في السجن ليعلمني أن مفاوضات أجريت لإطلاق الرهائن الفرنسيين في مقابل إطلاقي. وتعهد الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران إطلاق الأربعة الآخرين بعد مدة. وتم الاتفاق على ذلك بوساطة سورية. عارضت هذا الاتفاق إذ لا ضمان بعد خروجي، بأن يخرج الأربعة الآخرون. واعتبرت أن الحل هو تخفيف الأحكام علينا من دون إعلان ذلك، فنضمن خروج كل المجموعة. استغرب المحامي إصراري. ثم علمت أن الطرف الفرنسي المفاوض في الحكومة تمثل بالوزير رولان دوما، الذي استغرب رفضي الخروج من السجن وسأل عمّا يمكن القيام به، فارتؤي في ضوء المفاوضات الجارية بوجود طرفين أن يبحث المفاوض الإيراني مع أنيس (أي معي) لإقناعه. فزارني الشخص الإيراني وفوجئت بأنه شقيق الشهيد محمد صالح، واسمه محمد صادق الحسيني، إذ استفاد الأطراف المعنيون منه بصفته الصحافية ولكونه شخصاً مقرّباً مني للقيام بهذه الوساطة. لم يأت ليفاوضني بل ليبلغني أن هذا القرار ناجم عن مفاوضات، ولا يجوز رفضه. فأجبته أن للشورى دوراً، وأرى إمكان حصول الأمر بشكل أفضل بصيغة قانونية تقضي بتخفيف الأحكام. فحمل هذا الاقتراح إلى الأطراف المفاوضين، وفشلت عملية التبادل. وبقيت أربع سنوات إضافية في السجن.

في العام ١٩٨٦ كانت الانتخابات الفرنسية، وحصلت عمليات تفجير كبيرة وترددت مطالبات بإطلاق جورج عبد الله والأرمني غربدجيان من الجيش الأرمني. وشُوشت الأمور، ولم يتضح من يقوم بها. ونظراً إلى وقوع ضحايا أبرياء في الشوارع، صرّحت في الصحف بأنني لست مسؤولاً عن هذه العمليات ودِنتها. ورفضت أن يصاب أي طفل أو امرأة أو رجل بريء من أجل إطلاقي. في

هذه الأثناء اشتدت أزمة الرهائن، وتم الاتصال بي في السجن عن طريق صحافي فرنسي، اسمه تيسييه، يملك خبرة في شؤون لبنان، بعد خطف أحد المصورين من وكالة سيغما، فزار لبنان بصفته مديراً وأطلقه. اعتبرت الخارجية أنه نجح، وطلبت منه أن يزورني في السجن، فطلب هو مني تزويده معلومات للمساعدة إنسانياً لتطمئن عائلات الرهائن.

ولم يكن لدي معلومات عن الرهائن ولماذا لا تُحل قضيتهم. وقال إنه سيقترح ذلك على وزارة الخارجية، والذي انتدبه لهذه المهمة مدير مكتب دوما، واسمه كوسرون، وقد عُيّن سفيراً في سورية لاحقاً ثم نائباً لرئيس الاستخبارات الخارجية.

وفي اليوم التالي أبلغني الموافقة وسألني عن الشروط. وكان أولها طرد المعارضة الإيرانية المسلحة فقط وتحديداً «مجاهدي خلق»، وثانيها حلّ مسألة القرض الذي أقر في عهد الشاه لفرنسا وقيمته بليونا دولار، والمخصص للمفاعل النووي إذ كان على فرنسا أن تساعد إيران في بنائه أو تعيد الأموال. وأصدرت المحكمة التجارية في فرنسا آنذاك حكماً لمصلحة إيران، بإعادة الأموال مع فوائدها، ولم تنفذه الحكومة. ثالثها إعادة معارضَين عراقيين إلى باريس أُبعدا إلى بغداد وحُكما بالإعدام مع حمايتهما لئلا يعدمهما صدام. رابعها وقف تدخل فرنسا في الحرب العراقية ـ الإيرانية ودعمها للعراق ضد إيران. وخامسها إطلاق المجموعة التي حاولت اغتيال بختيار.

سُمح لي بالاتصال هاتفياً ببيروت وطهران لأبحث عن الشخص الذي سيُبلغ هذا الاتفاق، فلم أجد أحداً في بيروت، أما في طهران

فتحدثت إلى رفيق دوست. وتمت الموافقة على إبعاد «مجاهدي خلق» وإعادة القرض وإطلاقي أولاً ومن ثم باقي المجموعة، مع شرط تخفيف الأحكام، وإعادة المعارضين العراقيين إلى باريس.

الشرط الوحيد الذي لم يتمكنوا من إقراره هو الموقف من الحرب العراقية ـ الإيرانية. وقد نُفذت فعلاً إعادة العراقيين، وتسديد دفعة من القرض لأنه يحتاج إلى مفاوضات تفصيلية، تتطلبها الفوائد، بموجب شيك سلّمه وزير الخارجية الفرنسي إلى نظيره الإيراني علي أكبر ولايتي في لقاء في نيويورك.

وكانت الانتخابات قد غيّرت الموقف وتسلّم اليمين الفرنسي رئاسة الوزراء... ولم تنفذ باقي البنود. ثم بدأت مفاوضات جديدة مع حكومة جاك شيراك الذي وعد بتنفيذها، ونفذها فعلاً.

■ **من كان يفاوض مع شيراك؟**

ـ كانت المفاوضات مباشرة مع الحكومة الإيرانية، وأرسلوا مندوبين من وزارة الخارجية إلى طهران واتفقوا على باقي النقاط.

■ **اذاً ما كان دور سورية؟**

ـ كان السوريون على اطلاع وعلم للإشراف على تأمين نجاح المفاوضات. أما في ما يتعلق بشرط إطلاقنا، فلم يكن يجوز لرئيس الحكومة قانوناً إطلاقنا، لأن ذلك من حق رئيس الجمهورية، كأن يطلب ميتران من شيراك القول علناً إنه يُطلقنا، ويعلن شيراك تعهده، بناء على تعهد ميتران ذلك، عام ١٩٨٦. ورفض ذلك في حينه. مع تطور المفاوضات حتى عام ١٩٨٨ ووعود شيراك على مراحل، أُطلق الرهائن الفرنسيون فيما بقينا في السجن. وحصلت انتخابات

جديدة. رحل شيراك وأتى الاشتراكيون.

انتهت الحرب العراقية ـ الإيرانية وتطورت العلاقات إلى تحسن وأطلق الرهائن. وأعطت طهران إشارات إيجابية كثيرة حيال باريس على مستوى التبادل التجاري.

في نهاية ١٩٨٨، قررت الإضراب عن الطعام، وكتبت رسالة إلى وزير العدل بهذا المعنى مفادها أنكم لم تنفذوا وعدكم. وبعد ٢٠ يوماً، أتى دور المحامي فيرجيس بعدما عيّنته محاميّ في المدة الأخيرة لإدارة معركتي مع الدولة، وهو أنسب من يقوم بذلك. وأصبح لدي محاميان: أنطوان كونت ممثلاً قناة المفاوضات، وفيرجيس ممثلاً قناة الهجوم على الدولة.

■ من كان يدفع نفقات المحامين؟

ـ دفعت العائلة لأنطوان كونت مبلغاً رمزياً، فيما لم يتقاض فيرجيس شيئاً، إذ اعتبرها قضية سياسية وهو زوج جميلة بو حيرد وأول عمل سياسي قمت به وأنا طفل كان التظاهر تأييداً لجميلة.

استمر إضرابي عن الطعام ١٣٠ يوماً، كنت أحتسي الماء فقط، وأخضع كل ٤٠ يوماً لتحليل الدم، وكان وضعي خطيراً، يربطونني ويضعون لي المصل لأن القانون الفرنسي يجيز ذلك. في هذه الأثناء أعلن ميتران في لقاء مع الصحافيين أن لا مجال للرضوخ أمام ضغوط الإضراب عن الطعام، لكن المحامي أبلغني موقفاً من وزيري الخارجية والداخلية أنهما، إذا توقفت عن الإضراب، سيطلبان من رئيس الجمهورية إطلاقي. فسألت عن الضمانات، وسمعت وعوداً كثيرة. عندئذ، سُمح لرفيق دوست الذي رغب في زيارتي لإقناعي بوقف

الإضراب، أن يأتي إلى باريس. وعندما أتى وعلم بالمفاوضات طلب منهم الضمان. فأعطاه رولان دوما قولاً قاطعاً بإطلاقي بعد ستة أشهر من تاريخ وقف الإضراب، ومع باقي أفراد المجموعة. وكنت قد أنهيت الإضراب عن الطعام في شباط/فبراير ١٩٩٠. فزارني رفيق دوست وأبلغني بالاتفاق رسمياً بين الدولتين فوافقت. وأوقفت الإضراب، وأطلقنا بعد ستة أشهر بعفو خاص من رئيس الجمهورية ميتران.

■ ماذا كان دور فيرجيس؟

ـ كان يقوم بدور مع الإعلام، ويظهر على شاشة التلفزة لإيضاح وضعي الصحي الخطير، ويؤكد أن الإضراب جدي، متحدثاً عن الوعود الكاذبة. وكان يرتكز على الصراع بين اليمين واليسار. وأكثر من مرة شارك في مناظرات تضمنت اتهامات متبادلة بين الجانبين عن المسؤولية في الوعود. وحصل ذلك مرة بين دوما وشارل باسكوا ومرة أخرى بين ميتران وشيراك خلال الحملات الانتخابية.

■ أين ذهبتم بعد إطلاقكم؟

ـ إلى إيران.

■ هل ترى أن إيران كانت وفية لك؟

ـ هذا الوفاء أكيد من إيران والمناضلين في لبنان، ومن الفلسطينيين الذين تدخلوا غير مرة مع الفرنسيين ونصحوهم بوجوب حلّ هذه القضية لمصلحة فرنسا والعلاقات مع الشرق الأوسط. وقد أوصل «أبو اياد» خلال مدة إضرابي عن الطعام أكثر من رسالة بأن لأنيس أصدقاء في غير بلد وعلاقات مع غير طرف.

هل حاول كارلوس الاهتمام بقضيتك؟

ـ كلا.

هل تداخلت قضيتك مع قضية جورج عبد الله؟

ـ تداخلت من خلال عمليات التفجير وإدراج اسمينا في بيانات مشتركة كانت تصدر وتطالب بإطلاق المناضلين. وهذا ما أربك الأمن الفرنسي إذ لم يكن يعرف من ينفذ عمليات التفجير بين الأرمن وجماعة جورج عبد الله.

هل كانت لك علاقة بمجموعة «الألوية الثورية» التي ينتمي إليها جورج عبد الله؟

ـ كلا.

التقيت جورج عبد الله في السجن، كيف حصل ذلك؟

ـ كان في سجن آخر، حيث تمرد السجناء وأحرقوه، ما اضطر السلطات إلى نقلهم إلى مواقع أخرى، ونُقل جورج إلى سجن مولان الذي كنّا فيه، وبقينا سنة.

ما عدد السجون التي زرتها؟

ـ تقريباً ستة سجون، بينها سجن في خارج باريس على بعد ٤٠٠ كيلومتر.

عمّ تحدثتما أنت وجورج؟

ـ كنا نتحدث عن أوضاع لبنان والمقاومة فيه والاحتلال الإسرائيلي الذي وصل إلى بيروت. واكتشفت أن جورج عبد الله مظلوم

بالحكم المؤبد. إذ لم يثبت تورطه بعمليات الاغتيال. لكن قُدم إلى المحاكمة ضمن أجواء المتفجرات والضغوط وفي ظل حمّى رهيبة في المحاكم ضد اسمه، واعتبرت تبرئته خضوعاً للضغوط. واكتشفت أيضاً أنه أتى إلى فرنسا لإنهاء عمليات الألوية الثورية اللبنانية (تنظيم لبناني له علاقات بمنظمات فلسطينية عدة) وإخلاء الأماكن التي كانوا فيها. وبعدما قام بعمليات نتيجة الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، تم التفاهم بواسطة الجزائر ومنظمة التحرير على وقف عمليات «الألوية». وقبض عليه لحيازته جوازاً مزوراً. وحصل تورط في عملية خطف فرنسي في لبنان، فضلاً عن عمليات التفجير. هو لم يتورط بأي عملية.

■ **ماذا فعلت خلال مدة سجنك؟**

ـ كنت أمضي الوقت في المطالعة، علماً أننا بقينا سنتين ونصف السنة في العزل التام. إذ كنّا في قسم «الأمن العالي» ولا نرى إلا الحارس الذي يمدّنا بالطعام. عندما تسلم الاشتراكيون الحكم وغيّروا الأنظمة، رأوا أن هذا القسم غير إنساني وأقفلوه.

■ **هل شعرت يوماً بأنك لن تخرج؟**

ـ كان لديّ دائماً أمل بأن قضيتنا لن تطول، وهناك من يطالب بإطلاقنا. وكانت التضحيات خارج السجن تسهّل علينا الأمور. فكنا في حال نضالية، في ظل قتال إخواننا واحتلال بيروت. لم نكن في حال استرخاء وعزلة في السجن.

■ **هل كنت تملك راديو؟**

ـ كان لنا الحق في ذلك وفي قراءة الصحف. وقد دفع ثمن هذا

الحق أربعة سجناء استشهدوا في ١٩٧٤، فضلاً عن حقنا في المراسلة في ظل الرقابة.

■ من كنت تراسل؟

ـ العائلة، وبعض الإخوان في بيروت في «فتح» ولمواضيع حساسة جداً، من مثل رأي سياسي في الحرب العراقية ـ الإيرانية ودور فرنسا وانتخاب رونالد ريغان (رئيساً للولايات المتحدة).

■ هل كنت تراسل «حزب الله»؟

ـ لم يكن قائماً في تلك الأيام.

■ ما هي علاقتك به؟

ـ علاقة تقدير ومودة. وأقدّرهم لقيامهم بتضحيات وبعمل جدي أتى بنتيجة واضحة.

■ هل تعرف حسن نصر الله قبل ١٩٨٠؟

ـ لم أعرفه. أعرف أشخاصاً كانوا ينتمون إلى «فتح» والمقاومة ودرّبتهم، أصبحوا أعضاء في «حزب الله» وقيادته العسكرية. وسئلت عن هذا الموضوع في السجن.

■ هل تركزت الأسئلة على علاقتك بإيران؟

ـ لم يسألوا، كنا نُسأل مع جورج عبد الله عن المتفجرات.

■ هل تعرضت للتعذيب؟

ـ كلا. اختلف وضعي عن وضع الشباب لأنني أصبت، وعندما

خرجت لم أتعرض للتعذيب.

■ **وهل تعرض الباقون للتعذيب؟**

ـ ليس بمعنى التعذيب، بل منْع من النوم خلال ٤٨ ساعة ومواصلة التحقيق.

■ **هل ندمت لأنك حاولت قتل بختيار؟**

ـ كنت من الناس الذين يعرفون تجربة مصدّق والانقلاب العسكري. وكنت أعرف أن أي جهد لإفشال مخطط أميركي شبيه هو تاريخي. وأعطاني التاريخ هذا الحق، إذ تبيّن أنه أحد السيناريوات التي كان زبغنيو بريجينسكي يراهن عليها ويقول أن الوضع لا يزال قابلاً للسيطرة، على رغم انتصار الثورة، لأنهم كانوا يملكون هذه الورقة للعبها. وتبين بعد التحقيق مع الضباط الذين اعتقلوا وجود محاولة انقلاب. ودفعت الأموال لذلك. والفرق بين انقلاب مصدّق والآخر، أن واحداً فشل والثاني نجح. وقد دفع مبلغ خمسة ملايين دولار لمجموعة الضباط بحسب اعتراف «سي آي آي»، فيما دفع في الآخر ٣٠ مليون دولار.

■ **من حظك أنك لم تكن في سجن عربي؟**

ـ لا أريد الشكر للسجن الفرنسي. هناك قانون، إذا التزمته فلا أحد يتعرض لك.

■ **ذهبت في ١٩٩٠ إلى إيران، متى عدت إلى لبنان؟**

ـ بعد ٥ أشهر عدت إلى لبنان. وما زالت لدي إقامة في إيران، وأتحرك بشكل طبيعي.

■ هل لاحظت متغيرات في إيران؟

ـ هناك متغيرات تختلف عما كنا نطمح إليه، لكن تحليلي الموضوعي يبرّر هذا التغيير. تمّت الثورة بلا عنف. وهي أول ثورة تشهد تظاهرات تنتصر على أقوى قوة مسلحة. وجاءت بانفتاح في ضوء مشاركة أطراف عدة. لكن إدخال الثورة الإسلامية في حربين: حرب داخلية في ضوء إعلان «مجاهدي خلق» الثورة المضادة التي أدت إلى اغتيال ١٢٠٠ مسؤول في القيادة الإيرانية، وينسى العالم هذا الأمر الذي أدى إلى أجواء رعب داخل إيران وأجبر السلطات على اتخاذ بعض القرارات والنظم القاسية. وحرب خارجية، وأي بلد يكون في حال حرب لا يستطيع أن يعطي الحريات المطلقة فيصبح الأمن والعسكر هما الأساس، ما أدى إلى أجواء غير متوقعة في بداية الثورة.

■ هل التقيت الخميني؟ وأين؟

ـ في قم، وفي المستشفى عندما تعرض لأول طارئ صحي.

■ هل كنت معجباً بشخصيته؟

ـ شخصيته نادرة وغير عادية، بهدوئه وسكينته، ويتمتع ببعد نظر وثبات، في ظل اضطراب الناس.

■ هل كانت هناك فتوى باغتيال بختيار؟

ـ كان هناك قرار من محكمة سبق الفتوى باغتيال بختيار.

■ هل اضطلعت شخصيات أخرى بأدوار في قضية الرهائن؟

ـ هناك ادعاءات، فهناك من تحرك من دون نتيجة جدية.

▪ هل أنت شيعي؟

ـ أنا مسلم.

▪ أفهم أنك سنّي، ألم يؤثر ذلك في علاقتك بإيران؟

ـ لا علاقة للقضية بالمذهبية بل بالسياسة. وأُسأل دائماً كيف أطللت على الثورة في إيران وكنت أجيب: من نافذة فلسطين.

▪ أنت لبناني وأطللت على الثورة من نافذة فلسطين وحاولت اغتيال بختيار؟

ـ من أجل فلسطين وحماية هذه الثورة التي ستحمي فلسطين. قمت بدور صغير لكن المهم أن الوضع الاستراتيجي في المنطقة تغيّر.

الفصل الثالث

قبل فيينا
عمليات نفذت.. ولم تنفّذ

■ **ماذا عن العمليات الأخرى؟**

ـ قبل البدء بعملية مهدي التاجر، كان السفير الأميركي غودلي هدفاً في لبنان، لأن الحركة الوطنية أصدرت بياناً بتاريخه وشخصيته، إذ كان معروفاً أنه آت لتفجير الوضع في لبنان، لا كسفير عادي. فاتخذنا القرار، في مجموعتنا، بتصفية غودلي في بيروت واغتياله وكلفت أنا الإعداد للعملية. كان ذلك في العام ١٩٧٣ أو ١٩٧٢. كان منزله في بعبدا، وكان عليه المرور بطريق الحازمية وعند انعطافه على طريق داخلية بالقرب من معمل «بيبسي كولا» يتم اغتياله بقاذفة «آر بي جي». أنا، سياسياً، كنت مع اغتيال غودلي، لكن من الناحية الأمنية كان يجب أن أبلغ قيادة المقاومة، لأنني أعرف أبعاد هذا الاغتيال. فأبلغت «أبو

جهاد» أن هناك عملية اغتيال ستتم في ذاك التاريخ.

■ من كلفك بها؟

ـ مجموعة كمال خير بك ووديع حداد. راقبت المكان وأعددت المجموعة، على أن يرتدي أفرادها لباس العمال ويجلسوا تحت الشجرة لتناول طعامهم للتمويه.

■ هل شاركت فيها؟

ـ كلا. خططت لها فقط، وراقبت من بعيد، وأبلغت «أبو جهاد» أن المجموعة اتخذت قراراً بالاغتيال، وأن الرجل خطير وينتمي إلى الـ «سي آي إيه». فابتسم «أبو جهاد» ولم يقل لي قم بالعملية أو لا تقم بها. وطلبت من أفراد المجموعة أن يأخذوا احتياطاتهم، لكن ما حصل أن «أبو جهاد» اتصل بـ «أبو حسن» وطلب منه إبلاغ الأميركيين بالأمر، لأنه يرى أن اغتيال السفير الأميركي في لبنان سيوجه الأنظار إلى الفلسطينيين وهم في غنى عن هذا.

علمت في ما بعد أن أول اتصال جدي وعلى مستوى عالٍ بين «أبو حسن» والسفارة الأميركية تم من خلال هذه العملية. وتم التمويه بالقول إن السفير سافر في اليوم نفسه إلى واشنطن، فتأجلت العملية. ثم جاءت اهتمامات أخرى وصرف النظر عنها.

□□□

أما العملية الثانية فهي اغتيال الملحق العسكري الفرنسي في بيروت بوركوني، إذ حصل اشتباك بين كارلوس والشرطة الفرنسية واغتيل ميشال مكربل، ولم تكن الصورة واضحة في لبنان ولدى وديع

حداد عما حصل. بدا أن السلطة الفرنسية هي التي قتلت مكربل، وكان المطلوب الرد فوراً على الأجهزة الفرنسية بضرب الملحق العسكري الفرنسي في بيروت. فأبلغت «أبو حسن»، وبعد إبلاغ «أبو عمار» طلب «أبو حسن» شخصياً، على أن يسمع التقرير ويقوم بالواجب، ويومها لم يكن «أبو جهاد» في بيروت، علمت في ما بعد أن «أبو حسن» أبلغ داني شمعون الذي اتصل بالسفارة الفرنسية وأنقذ الملحق العسكري في ذلك الوقت.

■ هل خططت لاغتياله؟

- كلا، سمعت أن هناك قراراً وهناك مجموعة بدأت بمراقبة البيت.

□□□

أما العملية الثالثة فكانت عملية دين براون الذي أرسل من الولايات المتحدة إلى لبنان ليقوم بوساطة، واتخذت أيضاً المجموعة قراراً باغتياله وكلفت أنا التنفيذ قرب أوتيل «كارلتون» حيث كان على موعد مع إلياس سركيس، وكان الأميركيون قد طلبوا من «أبو حسن» أن يؤمن حمايته، فاتفقت مع «أبو حسن» على أن يكثف الحماية ليصبح من المستحيل تنفيذ العملية، فأخرج أنا من الموضوع، لأننا إذا نفذنا العملية فسنشتبك مع «فتح» لا مع الأميركيين. وكنت أنا المسؤول عن العملية، فذهبت مع مجموعة من اثنين والتقينا وجهاً لوجه سيارة دين براون، لكننا لم ننفذ العملية لأننا صادفنا العشرات من مقاتلي «فتح» عند كل زاوية بناء. ورفعت تقريراً أكدت فيه أن من المستحيل تنفيذ العملية، لأن الفلسطينيين كانوا يحرسون السفير براون.

□□□

أما عملية مطار أورلي، فقد خططنا لضرب طائرة تابعة لشركة «العال» الإسرائيلية بالصواريخ، عام ١٩٧٤ وعلى مرحلتين. مهمتي كانت تأمين تهريب الأسلحة إلى فرنسا، فقصدت مخيم عين الحلوة وأتيت بقاذفة «آر بي جي»، كانت عبارة عن قطعتين، أي أنها مصنوعة، بحجم أصغر، بما يساعد على تهريبها. وعندما نفذت العملية ضرب الصاروخ ولم ينفجر، ولم يضرب على طائرة «العال» بل أصاب طائرة يوغوسلافية، سلكت المدرج الذي كان على طائرة «العال» أن تسلكه. وعندما رأيت الصورة أدركت أن ثمة خطأً فنياً، فخلال الحرب الأهلية، كل القذائف التي ضربت من نوع «آر بي جي» انفجرت من دون استثناء، لأن صاروخ «آر بي جي ٧» مهيَّأ لتفجيرين: واحد يتم نتيجة الصدمة وآخر موقت بعد ٥٠٠ متر من إطلاقه. فكيف اخترقت هذه القذيفة الطائرة اليوغوسلافية ولم تنفجر؟ هنا وضعت علامة استفهام أمنية، وقلت بوجوب التحقيق في إمكان تعرض هذه الصواريخ لعمليات تخريب. وهذه «الخربطة» دليل احتياط أمني إسرائيلي. وقمنا بهذه العملية مرتين وفشلتْ.

■ من أمر بهذه العملية؟

ـ وديع حداد. مجموعة ذهبت من لبنان للتنفيذ وتلقت تدريباتها في عدن، لكن الدعم اللوجستي قام به ميشال مكربل وكارلوس، وهما لم يشاركا في التنفيذ. دوري كان تأمين السلاح، واخترت المجموعة التي أرسلت للتنفيذ لأنها كانت من ضمن مجموعتنا. فهذه القضية طرحت أكثر من علامة استفهام لديّ، وطلبت أن نجري تحقيقات معمقة في طريقة وصول الأسلحة، أين نخبئها؟ وأين يمكن أن تكون تعرضت لعملية تخريب؟ فوجئت بأن كمال استوعب هذا التحليل في شكل قوي، وأصبح هنا بعض الشك في

الأماكن التي وضعت فيها الأسلحة. وإذا كانت هذه العملية من الناحية الفنية ناجحة فلماذا لم ينفجر الصاروخ؟ ولماذا فشلت العملية مرتين بسبب مناورات إسرائيلية؟

■ ما هي المسافة الزمنية بين المرتين؟

ـ بضعة أيام. فهذا الفشل المتكرر عجيب، والاحتياط الإسرائيلي الأمني أيضاً عجيب. وعدم انفجار الصاروخ علامة استفهام أكبر، إذ لا يمكن ألا ينفجر الصاروخ، إلا إذا تعرض لعملية تخريب.

■ هل كان لـ «أبو أياد» عقل أمني مهم؟

ـ جداً. هو عقل أمني ومركّب.

■ هل كانت علاقته سيئة مع «أبو جهاد»؟

ـ كلا، كانت العلاقة جيدة. «أبو جهاد» كان يتمتع بعلاقات مع الجميع. كانت تنشب خلافات بين «أبو عمار» و«أبو جهاد»، وبين «أبو الهول» و«أبو أياد» وبين أعضاء آخرين في المقاومة، لكن الكل كان يجتمع ويلتقي على المصلح الأكبر والموحد الأكبر «أبو جهاد». وأول لقاء شخصي لي مع «أبو جهاد» كان في مخيم شاتيلا نتيجة خلاف داخلي، وما عرف بأزمة قيادة الإقليم مع اللجنة المركزية. يومها جاء «أبو جهاد» إلى بيروت لتسوية هذا الموضوع، وتعرفت إليه على أنه «أبو جهاد» الذي يصلح في ما بين الفلسطينيين. وكان على علاقة مع كل الأطراف الفلسطينيين ليس فقط داخل «فتح» بل في «الجبهة الشعبية» أيضاً.

■ هل لديك مخاوف أمنية؟

ـ كلا، لا مخاوف أمنية عندي.

■ **هذا يعني أنك لم تحمل مسدساً في صورة دائمة.**

ـ أبداً.

■ **اسمك الحركي «مازن». عن أي مازن تتحدث؟**

ـ مازن الأول في التنظيم الطالبي. ومازن الثاني في العمل الأمني المتعدد. ومازن الثالث في حركات التحرير.

■ **أين تم اللقاء الأول مع الخميني؟**

ـ في قم بعد انتصار الثورة.

■ **كم لغة تتقن؟**

ـ الفرنسية والإنكليزية والفارسية. وتلقيت دروساً في العبرية خلال وجودي في السجن في فرنسا.

■ **كيف كنت تمضي يومك في السجن؟**

ـ كنت أبدأ برياضة المشي، نصف ساعة صباحاً، وبقية الوقت أمضيه في المطالعة.

■ **ما هي الكتب التي قرأتها؟**

ـ قرأت الكثير، من تاريخ وفلسفة وعلوم، أي كتاب جدي يقع بين يدي كنت أقرأه، وفي المدة الأخيرة ركزت على الاقتصاد. قرأت عن النظام المصرفي وعن الرأسمال والشركات المتعددة الجنسية وعن العملة وتدويرها والمسائل الاقتصادية الكلاسيكية.

■ **هل خرجت من السجن إسلامياً؟**

ـ دخلت إسلامياً وتعمقت في الإسلام بحيث تعمق الإيمان. لم

أحمل يوماً أي أيديولوجية أخرى. فقط الخط الوطني. لم أكن ماركسياً ولست أصولياً بمعنى الأصولية السياسية، أنا أؤمن بالإسلام وأعتقد بأن الإسلام يتحرك في كل زمان ومكان، وهو يصلح لإدارة شؤوننا العائلية والشخصية والسياسية ونظرتنا إلى العالم. لكن هذا لا يعني أن هناك إطاراً سياسياً معنياً يختلف عن الإطارات الأخرى.

■ **هل كانت لك علاقات بالأجهزة الأمنية الشرقية؟**

ـ كلا.

■ **ما هي مجموعة محمد بو ضيا؟**

ـ إنها مجموعة لبنانيين كانوا يعملون مع «فتح» من طريق فؤاد الشمالي وكمال خير بك أثناء «أيلول الأسود»، وعندما قررت «فتح» إيقاف «أيلول الأسود» توجهت هذه المجموعة إلى وديع حداد.

■ **هل قمت بمراسلة كارلوس؟**

ـ كلا.

■ **ولم تأتك منه أي رسالة؟**

ـ قط.

■ **ما هو أول عمل أمني كلفت القيام به؟**

ـ في أواخر ١٩٦٨ كلفني المسؤول عني والذي عرف أنني أقيم في منطقة المزرعة مهمة بسيطة. كانت هناك مجموعة تتحرك باسم «الفدائيون العرب» فكلفني أن أعرف من هم وما هي قصتهم.

سألت صديقاً من المنطقة فقال إنه يعرف من يحرّك المجموعة وعرفني إلى الرجل. كان عمري ١٧ عاماً، لكن الرجل الذي تعرفت إليه راح يعطيني دفاتر للتبرعات. كنت آخذ الدفتر وأعطيه للمسؤول عني فيعطيني مئة ليرة أحملها إلى زعيم المجموعة لكسب ثقته. بعدها صرنا نلصق على الجدران بلاغات عسكرية وهمية يصدرها التنظيم المذكور. خلال أسابيع اخترقت المجموعة لأكتشف في النهاية أنها عبارة عن أربعة أشخاص صرت أنا خامسهم وأن المسؤول عنها يستغل معارفه العسكرية المحدودة لكتابة بلاغات عسكرية وجمع تبرعات. وفي ١٩٦٩ عندما حصلت انتفاضة المخيمات في لبنان اختفت هذه المجموعة والمنظمات الوهمية الأخرى.

التقيت لاحقاً «أبو عبد الله» الذي كان من مجموعة «الفدائيون العرب». جلسنا في المقهى، وكنت قد صرت مسؤول التنظيم الطالبي في «فتح» ولكن في صورة سرية، وسألته عن مصير المجموعة، فأجاب أن محمد الرفاعي مسؤول المجموعة ملازم أول في قوات القادسية في جيش التحرير الفلسطيني في العراق، وقد أرسلته الاستخبارات العراقية لإنشاء منظمة والآن انتهى دوره. وأضاف: أما أنا فخالي ضابط في جيش التحرير في سورية وهو أرسلني لأراقب الرفاعي. جئت إلى المنطقة واستأجرت لدى سيدة عجوز وادعيت أنها خالتي وتعرفت إليه وانتميت إلى المجموعة لأكشفها.

كان الحديث مذهلاً، إذ لم يبق من الخمسة إلا فتاة مهووسة وشاب متخلف كان يستخدم في لصق البيانات على الحيطان. منظمة من خمسة تضم ثلاثة أجهزة. هذه التجربة كانت بالنسبة إليّ أهم مدرسة في التجسس والاستخبارات. هكذا تعلمت الحذر خصوصاً

من الذين يبالغون في الحديث عن الثورة.

بعد نحو خمس سنوات ومع بداية الحديث في السلطة الوطنية كان منير شفيق يلقي محاضرة في جامعة بيروت العربية. كنت أنا في موقع مخالف له بسبب ولائي للقيادة، لكنني رأيت أن من حقه أن يتحدث. طلب حماية كي لا يعكر أحد أجواء المحاضرة، فأرسلت إليه حماية قامت بالدور على رغم دخول عناصر راحوا يهتفون ضده ويشتمون. صعدت لأرى من يهتف فإذا بي أجد «أبو عبدالله» يتزعم المحتجين. وحين رآني غادر المكان. سألت شاباً كان حاضراً عن الرجل الذي غادر، فقال لي إنه مرافق نايف حواتمه. وقبل أسبوعين من مشاركتي في عملية فيينا كان «أبو جهاد» استأجر شقة لوالديه في البناية التي أسكنها وكان يتردد عليها وينام فيها أحياناً. وذات يوم رأيت محمد الرفاعي نازلاً من البناية، فسألت الحارس كيف سمح له بالصعود اليها؟ فقال: هذا من قوة الـ١٧ التي تتولى حماية الرئيس الفلسطيني. واكتشفت أنه مسؤول عن الحواجز التي توصل إلى مقر القيادة. أبلغت الـ١٧ وطلبت منهم أن يفتحوا ملف الرفاعي. هذه التجربة علمتني المبادرة.

■ ماذا كان غرض وديع حداد من عملية نيروبي؟

ـ عملية أمر بها وديع حداد وكان الغرض منها إطلاق عناصر تابعين له احتجزوا خلال عملية استطلاع في كينيا. لم أشارك فيها لكنني كنت على اطلاع على الإعداد لها. شارك فيها ألماني وألمانية وسهيلة أندراوس.

■ وعملية عنتيبي؟

ـ أثناء عملية عنتيبي كنت في مصر في زيارة عائلية، كان هاني الحسن (عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح») هناك والتقينا. سألني عن عملية عنتيبي فأبلغته أنني كنت على علم بالتخطيط لها. كان الحسن عرف بعلاقتي بمجموعة بوضيا التي تعمل مع وديع حداد. قال إن أفراداً من الرهائن في عنتيبي أطلقوا وتوجهوا إلى فرنسا، وإن رجال الأمن الفرنسيين لاحظوا أن عناصر من الموساد طرحوا أسئلة محددة على هؤلاء توحي بأن إسرائيل تستعد لشن عملية عسكرية في عنتيبي. وفهمت أن الفرنسيين وبموجب اتفاق مع منظمة التحرير يقضي بعدم قيام الفلسطينيين بعمليات على الأراضي الفرنسية أبلغوا هاني الحسن أن إسرائيل يمكن أن تشن هجوماً. أبلغ الحسن عرفات الذي التقى السادات وأخبره. وكانت النتيجة أن وضع السادات طائرة في تصرف هاني الحسن نقلته إلى عنتيبي. التقى الحسن هناك وديع حداد الذي كان يقيم في فيللا غير بعيدة عن المطار الذي حصلت فيه العملية. سخر وديع من كلام هاني. وقال له: أنتم، الرجعيون في «فتح»، تريدون تخويفنا. أفهمه الحسن أنه لا يطلب منه شيئاً بل يريد تنبيهه إلى احتمال وقوع هجوم إسرائيلي. لم يستطع حداد تصديق أن إسرائيل في استطاعتها الوصول إلى أوغندا وتنفيذ عملية. في هذه الأثناء شن الإسرائيليون هجومهم وقتل أفراد المجموعة التي تحتجز الرهائن. لكن وديع حداد نجا، لأن الإسرائيليين لم يكونوا على علم بوجوده أو بمقر إقامته.

■ والعملية ضد مخزن «ماركس أند سبنسر»؟

في إطار العمليات التي كانت تنفذها مجموعة بو ضيا التي كانت تضم كارلوس وميشال مكربل وغيرهما. كان الاثنان يتوليان مسؤولية المجموعة في أوروبا. يستأجران الشقق ويخفيان الأسلحة

لتستخدمها المجموعات التي تنوي تنفيذ هجمات.

■ ما هي أول مهمة كلفت بها خارج لبنان؟

– أول مهمة خارج لبنان كانت لجبهة تحرير إريتريا. طلبها مكتب «أبو جهاد» الذي لم أكن أعرفه، إذ كانوا يسألون عن شخص لبناني لا يلفت النظر لإرساله في مهمة خارج لبنان. فسألوني هل أنت على استعدد للسفر للقيام بمهمة؟ فكان ردي نعم. فقالوا لي: عليك أن تقابل عثمان صالح سبي، وهو رئيس الجبهة. التقيته في أوتيل «أنتركونتيننتال» في الروشة، فقال إن المهمة بسيطة جداً، وهي أن أحد الأشخاص الناشطين في الجبهة في أديس أبابا، ولأسباب غير سياسية وضع في السجن، وهم في غاية الحرص على مساعدته للخروج منه، لأنه نشيط ويمكنه خدمتهم. فطلبوا مني أن أذهب إلى أديس أبابا للاطلاع على وضعه وإذا كان لا يزال في السجن، على إعداد خطة لتهريبه منه، وإذا لم يكن في السجن فعليّ مساعدته على الخروج من أديس أبابا، للمجيء إلى لبنان وتلقّي التدريبات اللازمة والعودة إلى العاصمة الإثيوبية. حصلت على فيزا سياحية باسمي الشخصي أنيس نقاش، وذهبت إلى أديس أبابا عبر القاهرة، وهناك بحثت عن أقرباء هذا الشخص ففوجئت بأنه كان طليقاً، ما وفر علي إعداد خطة لتهريبه. حصل اللقاء معه، ودربته على كيفية الخروج وأعطيته جواز السفر الخاص به وشرحت له كيف يضع صورته، وكيف عليه أن يسافر إلى إيطاليا، حيث سيلتقي شخصاً يعطيه جواز سفر آخر يذهب به إلى لبنان.

■ ما هو مصدر جواز السفر الذي أعطيته إياه؟

– إنه جواز سفر صادر في إثيوبيا ولكن باسم آخر، وهو للوصول

فقط إلى إيطاليا، ومن هناك يذهب إلى لبنان بجواز سفر آخر.

■ من كان يعطيكم جوازات السفر في لبنان؟

ـ جواز السفر الإثيوبي أعطتني إياه جبهة التحرير الإثيوبية، سلمته جواز السفر وشرحت له بعض الدروس عن المراقبة وكشف المراقبة، وكيف ينتبه وكيف عليه الوصول إلى لبنان وإذا سئل إلى أين يذهب، لكي يتمكن من الإجابة عن هذه الأسئلة.

■ أين درست هذه الأمور؟

ـ هذه الأمور درستها في دورات ابتدائية في التنظيم تحت عنوان «العمل الأمني والكشف». بعد مدة عدت إلى بيروت لأراه فجأة أمامي في أحد الشوارع في منطقة الجامعة العربية برفقة محمد مندوب جبهة التحرير. فاطمأننت إلى أنه وصل إلى لبنان، وأعتقد أنه تلقى التدريب اللازم وعاد إلى إثيوبيا. هذه كانت بالنسبة إلي المهمة الأولى خارج لبنان لمصلحة فلسطين وإريتريا، أي التحالف الثوري. وبدأت الاتصالات في تلك الأيام، أي أوائل العام ١٩٧٤، بالتعرف إلى مجموعة «ابو ضيا» التي كانت تعمل مع «أيلول الأسود» وأصبحت تعمل مع الجبهة الشعبية وتعرفت إلى أفرادها. فأصبح عندي تقريباً ثلاثة أدوار: دور متابعة التنظيم الطالبي، ودور اختراق مجموعة بو ضيا، والدور الثالث هو أنني بقيامي بهذه المهمة، عرفني جواد أبو الشعر إلى «أبو جهاد» لسببين:

السبب الأول أن التنظيم الذي أقمته في الجنوب وبعد حرب العام ١٩٧٣، وضعت له خطة كي يكون سرياً ويتدرب في مواقع خلفية، ويقوم بتخزين الأسلحة، لأن هناك احتمالاً لاجتياح إسرائيلي، وعلى اللبنانيين أن يقاوموا، وهذا كان يتطلب قراراً يأتي

من فوق ويساعد في عملية التسليح، أي ليس في إمكان أي فرد أن يتحمل هذه المسؤولية، لأن ذلك يتطلب قيادة مركزية.

السبب الثاني هو أن بعض كوادرنا الطالبية يتابعون دراستهم خارج لبنان وليس فقط في الجامعة الأميركية أو الجامعة العربية. هؤلاء كانوا يرغبون في مساعدة المقاومة، ولم يكن هناك من إمكان إلا التعرف إلى «أبو جهاد» للاستفادة من هذه المجموعات. فطرحت عليه أن لدينا شبكة تمتد من أميركا إلى كندا إلى أوروبا ويمكن الاستفادة منها، وغالبية أفرادها من الطلاب، ولدينا شبكة في الجنوب يمكن أيضاً الاستفادة منها. فوافق على المسألتين وأعطى تعليماته، كما تعودنا عليه متفهماً للأمور بسرعة. وقال إن التدريب يجب أن يحصل في مواقع خلفية، لا بالقرب من القرى كي لا يكشف أمر الذين يتدربون. وأمر بتوفير الإمكانات اللازمة وإمدادنا بالأسلحة المتوافرة. وأعطاني برنامجاً دورياً كل مدة لأقوم بزيارة رفاقنا في أوروبا وجمعهم وإعطائهم بعض المهمات. فبدأت رحلاتي إلى أوروبا، وغالبيتها إلى فرنسا وبريطانيا وإيطاليا للاتصال بالرفاق، وكانت المهمات أن يؤسسوا علاقات جيدة مع شباب أوروبيين يؤيدون قضية فلسطين، ومجرد كسب تأييدهم وجذبهم إلى العمل الجدي لدعم القضية الفلسطينية، وتحويل الشباب الأوروبي إلى داخل الأراضي المحتلة في عمليات استطلاعية وعمليات ارتباط، بحيث كان يكلف أحدهم مثلاً الذهاب إلى شمال فلسطين المحتلة بصفة سائح ويعمل على التقاط أكبر كمية من الصور، أو أحياناً يتوجه إلى منطقة تهمنا فيكتشفها في شكل ميداني ويأتينا بتقارير عنها. وبالفعل استطعنا في ثلاث سنوات أن نجمع كمية هائلة من المعلومات عن المستعمرات الشمالية التي كانت موجودة على الحدود اللبنانية.

■ هل ساهم هؤلاء جدياً؟

ـ نعم، وعن طريقي نظمت نحو أربع رحلات لهؤلاء، وكنت أعلم أن آخرين يعملون في أوروبا في الاتجاه نفسه. وبعضهم شارك على مستوى أكبر في العمل المسلح، وثمة مجموعة منهم قبض عليها في إسرائيل، وهي من الجنسية اليونانية، وقد قمت بتدريبها في شكل تفصيلي في بيروت على المراقبة وكشف المراقبة والاتصال، وكل المسائل الأمنية. في تلك المرحلة ونتيجة هذه المهمات، كانت هناك دورة أمنية لجهاز الأمن، وطلب من التنظيم الطالبي أن يرشح كادراً عنه ليشارك في دورة جهاز الأمن «الرصد»، الذي يرأسه عبد الحميد صايل «أبو الهول»، وهو كان يعرفني لأنه قبل مدة كان أمين سر الإقليم، وتعاملنا معه سنتين أو ثلاثاً. فعندما سئل طلب أن أكون أنا في هذه الدورة التي نظمت في مصر. وتابعنا دورة أمن وعمل استخباري لدى الاستخبارات العسكرية المصرية، وكانت دورة مفيدة جداً لمستوى ضباط الاستخبارات تشمل كل عمل الاستخبارات ودامت نحو شهر وفي شكل مكثف جداً. وسبقتها دورة في بيروت، مدتها ثلاثة أشهر. وبعد انتهاء الدورة في مصر قمنا بزيارة «خط بارليف» واستفدت من هذه الزيارة بلقاء قائد الجيش الثالث الذي حوصر في حرب تشرين. فزيارة خط بارليف الميدانية كانت مفيدة جداً للاطلاع على التحصينات وطريقة تموضع العدو في تلك المنطقة، واستفدنا من رجال الاستخبارات العسكرية الذين شرحوا لنا طبيعة منظمة «سيناء» العربية التابعة للجيش المصري، ولكن تحت شعار المقاومة الشعبية كانت تقوم بعمليات في سيناء وعلى الحدود مع العدو. شرحوا لنا بالتفصيل عنها وأعطونا بعض الصور، فكانت تجربة مهمة في معرفة تكتيكات حرب العصابات في ذلك الوقت.

وعندما عدت من مصر وفي العام ١٩٧٤، كان المطلوب أن يتسلم

كل الأعضاء الذين شاركوا في الدورة مهمات في جهاز الأمن، إلا أنني لم أتسلم أي موقع، إذ كان عندي تحليل خاص بي يقول إن الأجهزة الأمنية إذا أرادت أن تعمل فيجب أن تعمل في شكل سري. وأجهزة الأمن التابعة للمقاومة لم تكن سرية وبالتالي فإن مجرد تعييني في موقع أمني، يكشف أمري.

■ ما هو الاسم الذي كنت تُعرف به بين الناس؟

ـ كان اسمي «مازن»، ولا يعرف اسمي الحقيقي إلا الذين يعرفونني من المدرسة.

■ من انتقى اسم «مازن» هذا؟

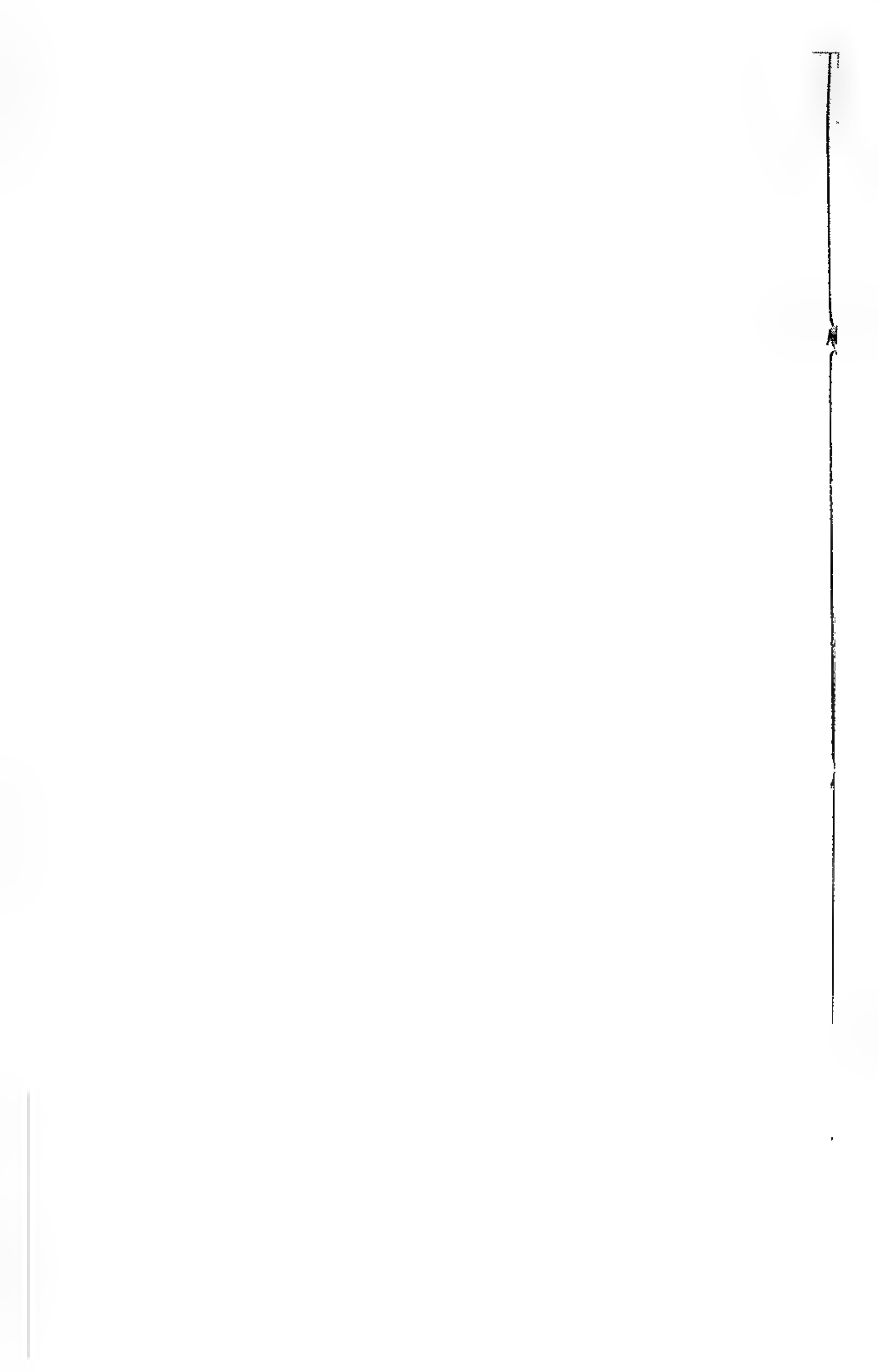
ـ أنا اخترته بناء على اسم الشهيد مازن أبو غزالة الذي استشهد في معركة طوباس في الضفة الغربية، وكان هو الرمز بالنسبة إلي لأنه طالب ترك الدراسة في أوروبا والتحق بالمقاومة بعد هزيمة ١٩٦٧. كذلك اخترت اسم مازن أبو غزالة بعدما طلب مني المسؤول الأول عني أن أختار اسماً حركياً هو سمير أبو غزالة الذي لم أكن أعرف اسمه الحقيقي، بل كنت أعرفه باسمه الحركي «الحاج طلال». ومع أنني رفضت تسلم موقع أمني، إلا أنني مارست الدور الأمني، لأن التنظيم الطالبي يومها كان يتولى أدواراً أمنية، وأقمت شبكة، مهمتي فيها اختراق مجموعة بو ضيا وكانت في ذاتها عملاً أمنياً. والعمل مع «أبو جهاد» في الخارج هو في حد ذاته عمل أمني. أي إنني استفدت استفادة قصوى من الدروس التي تلقيتها من دون الكشف عن هويتي. أبقيت الأمور على أنني ما زلت في التنظيم الطالبي، واستمر هذا الستار مفيداً جداً، والناس لا يعرفون «مازن» إلا في العمل الطالبي، أي تظاهرات وخطابات، وبقيت على هذه القاعدة

حتى آخر التزام. فعندما عملنا مدة في الاستطلاع للقطاع الغربي للأراضي المحتلة، لم أكن عضواً في القطاع الغربي، لكن نتيجة الاستطلاعات هذه والمعلومات والصور كانت تذهب إلى القطاع الغربي من دون أن يدري القطاع أنني أعمل معهم، أي عند «أبو جهاد». وكانت العلاقة مباشرة معهم، إضافة إلى علاقة مع حركات التحرير. ومن المهمات التي أوكلت إلي الاهتمام بالإيرانيين والأتراك في العام ١٩٧٤، واستمرت حتى ١٩٧٩. لكن لم نكمل التعامل مع الأتراك بعد سنة ونصف السنة. وبقي بعض الأتراك معنا، لكن كأفراد، فيما لم يعد هناك دعم للحركات والمنظمات التركية، إلا أن الدعم للإيرانيين استمر على صعيد التنظيمات وكان يتصاعد باستمرار.

أي تنظيمات إيرانية؟

ـ كان لدينا أساساً عدد من الإسلاميين الممثلين بجلال الدين فارسي ومحمد منتظري، نجل آية الله منتظري، و«مجاهدو خلق» و«فدائيو خلق». ولم نكن نميز بين واحد وآخر على رغم أننا نعرف طبيعة كل واحد منهم وقدراته، وقرارنا هو دعم كل حركات المعارضة الإيرانية، وعدم التدخل في شؤونها، إلى حين انتصار الثورة. في نهاية ١٩٧٥ وبعد عملية فيينا لم تعد هناك مهمات أمنية في الخارج والحرب الأهلية أخذت الكثير من الوقت، وكنت من الذين خالفوا منذ البداية التورط في الحرب الأهلية، وكنا نعلم أن الهدف منها هو إضعاف المقاومة وحرف الأنظار عن الصراع مع العدو الصهيوني بإدخالها في معارك جانبية. ولكن كانت هناك تيارات يسارية في المقاومة قريبة جداً من الحركة الوطنية اللبنانية، التي كانت تحاول أن تستفيد من قيام الحرب الأهلية وتورط

الفلسطينيين وتحقيق مكاسب لها. أنا لم أكن أرى أن الأحزاب اليسارية كان في إمكانها القيام بالعمل الجدي في لبنان أو في أي حرب، لذلك كنت بعيداً من العمل المباشر أثناء الحرب الأهلية، وتركت مسؤولية التنظيم الطالبي في العام ١٩٧٥، وبقيت أعمل من أجل الأراضي المحتلة وحركات التحرير الإيرانية.



الفصل الرابع

الدور الفلسطيني في الحرب الأهلية اللبنانية

حصلت النقلة الكبيرة في العام ١٩٧٨ بعد انتهاء الحرب في لبنان. توجه الشباب إلى الجنوب مرة أخرى، وكان هناك جزء من الطلاب الذين شكلوا كتيبة تميزت بالوعي والانضباط والمستوى العسكري أيضاً عن كل القوات. هذه الكتيبة كان فيها بعض شبابنا، فعدت إلى الاتصال بالكتيبة الطالبية من أجل العمل في الجنوب ومساعدة أفرادها من طريق القرى والعلاقات والشبكات التي كنا نعمل من خلالها، إلى أن حصل الاجتياح الإسرائيلي في العام ١٩٧٨. في هذا الاجتياح أصبحت هناك نقلة نوعية كبيرة في التفكير السياسي، اذ فرض احتلال الجنوب علينا إطلاق مقاومة لبنانية، حيث يجب ألا نستمر نحن اللبنانيين في النضال تحت لواء الحركة الفلسطينية، لأن الفلسطينيين بدأوا يأخذون منحى في اتجاه جنيف والسلطة الوطنية، ونحن لا نستطيع أن نقاتل تحت شعار السلطة الوطنية،

ودولة من أجل فلسطين. نحن نستطيع أن نقاتل تحت شعار تحرير فلسطين، لكن فرصة الاحتلال لجنوب لبنان هي التي أعطتنا مجالاً أكبر لتعبئة أكبر للمشاركة في شكل أقوى في القتال. وبدلاً من أن يكون هناك انحسار نتيجة الشعارات الخاطئة، يصبح التقدم أقوى وأكثر ويرتفع مستوى النضال نتيجة الاحتلال الإسرائيلي. وفوراً بدأت أطرح مشروع إقامة مقاومة لبنانية، وبدأت بالاتصال بالشباب اللبناني في فتح أولاً وبمجموعات في طرابلس في المقاومة الشعبية كان «أبو عربي» مسؤولاً عنها، ومجموعات الحركة الثورية اللبنانية، ومجموعات اللجان الشعبية. وكل هذه المجموعات كانت تدور في فلك المقاومة.

■ من كان في الحركة الثورية؟

ـ كان فيها منذر شبو، مجموعة صغيرة لكنها عنيفة. كل هذه المجموعات حاولت استنهاضها ضمن المقاومة اللبنانية ونجحنا إلى مدى لا بأس به، إذ كان لدينا أكثر من قاعدة في الجنوب، يمكنها وبمفردها حشد ثلاثة أضعاف ما حشدت له الحركة الوطنية كلها. كان لدينا أكثر من ١٢٠ مقاتلاً في الجنوب فيما الحركة الوطنية لم يكن لديها إلا العشرات. وأثناء التحضير والإعداد لهذه المقاومة، لم تكن الإمكانات تأتي إلا عن طريق «فتح». لكن الانتقال إلى مرحلة الثورة الإسلامية أعطى المدى الأكبر لهذه القوى.

■ هل شاركت في الحرب الأهلية اللبنانية؟

ـ في اليوم الأول، يوم حادث عين الرمانة في ١٣ نيسان/أبريل، كانت اللجنة المركزية لـ «فتح» مجتمعة في دمشق وعلمت بأمر

المجزرة، فجاء الأمر أن نرد فوراً على حزب الكتائب الذي نفذ هذه المجزرة. كلف القيام بهذا العمل أكثر من طرف، وكنت أعمل على إعداد عبوة ناسفة، وحصل معي حادث أدى إلى انفجار العبوة فانسحبت من الساحة للعلاج وبقيت ثلاثة أشهر.

▪ أين كنتم تريدون وضع هذه العبوة؟

ـ قرب بيت الكتائب في عين الرمانة، رداً على المجزرة لكن ذلك لم يحصل نتيجة هذا الحادث، وقد عولجت في البداية في مستشفى المقاصد ولم يكن العلاج جيداً، ثم ذهبت إلى مصر، ثلاثة أشهر، لإجراء عملية جراحية وللاستراحة. وهذا الابتعاد عن الساحة جعلني أفكر في شكل مريح في تطور الحرب الأهلية الداخلية وما هي أبعادها. من هنا عدت إلى بيروت لأطرح بقوة مسألة عدم الانغماس في الحرب الأهلية وإمكان التفاوض والخروج منها من أجل إعادة الصراع مع العدو الصهيوني. ودائماً كنت أكتب في مجلة «وطني» ومجلة «الأرض» وفق هذا التوجه.

▪ هناك من يقول إن الحركة الوطنية هي التي ورطت المقاومة الفلسطينية واستدرجتها إلى هذه الحرب، وآخرون يقولون إن المقاومة الفلسطينية أرادت تفكيك الدولة اللبنانية، إذ بعد أحداث ١٩٧٠ في الأردن أصبح لديها بعض المخاوف. فبعد تجربتك الطويلة ماذا تقول؟

ـ الحركة الفلسطينية بعد تجربتها في الأردن كانت تعي تماماً أنها يجب ألا تتدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية، كي لا تتورط بما ورطوها به في الأردن. وكانت حريصة دائماً على علاقات طبيعية مع السلطات في لبنان. الحركة الوطنية اللبنانية كانت تحاول أن

تأخذ مكاسب، لكن ليس في اتجاه حرب أهلية، لأن الحرب ليست لمصلحتها. الحرب الأهلية تابعت تحضيراتها، من خلال العمل الأمني الذي كنا نقوم به في التنظيم الطالبي وبالتشكيلات العريضة التي كانت عندنا. كنت أول من كتب تقريرين يتحدثان عن إمكان وقوع الحرب الأهلية في لبنان. كيف اكتشفنا ذلك؟ بمجرد أن تحول لبنان ساحة أساسية للعمل الفلسطيني، تحول إلى الخط الأحمر والنقطة الساخنة لكل أجهزة الاستخبارات العالمية الإسرائيلية والأميركية والأوروبية. وكان توجه هذه القوى هو تكرار تجربة الأردن من أجل سحب البساط من تحت أرجل المقاومة الفلسطينية. هذا قرار دولي على رأسه أميركا وإسرائيل وبعض الدول الأوروبية، ونحن تابعنا من خلال هذه الشبكات أن هناك ثلاثة خبراء جاءوا إلى لبنان عام ١٩٧٢ من إنكلترا، كانوا تابعين لقوة الـ Special Air Force Services (S.A.S.) وهم متخصصون في مكافحة الثورات والإرهاب، وقدموا مشروعاً للدولة اللبنانية لتقوية أجهزتها الأمنية ومحاولة السيطرة على الوضع الأمني، إذ بدأ لبنان، في نظرهم، يفلت لمصلحة القوى الثورية. لكن النموذج الإنكليزي الذي أعطي لا ينطبق على الدولة اللبنانية، لأن الدولة في الأصل مفككة. ففيها الطوائف والمذاهب ولا يستطيعون أن يتحدثوا كما يتحدثون في إنكلترا. تابعنا تطور الموضوع بإرسال غودلي إلى لبنان وهو السفير الأميركي الشهير الذي كان في لاوس وكمبوديا المسؤول عن عمليات القصف في حرب فيتنام، والمعلومات التي كانت لدينا أن غودلي هو من أندر السفراء الأميركيين الذين يمارسون في وقت واحد دور السفير ودور رئيس محطة الـ «سي.آي.إيه.». تابعنا تطور العلاقة بين الجيش اللبناني والبنتاغون الأميركي، ولم يقم الأميركيون يومها فقط ببناء وزارة دفاع جديدة، بل بدأ تسليح الجيش اللبناني وإعادة تجهيزه أميركياً وبإشراف ضباط

أميركيين. وتابعنا عمليات تدريب حزب الكتائب، وتطوره في اتجاه إعداد قوة عسكرية حليفة للدولة اللبنانية للبدء بالحرب الأهلية. نحن في معسكراتنا كنا نعبئ الناس ضد العدو الصهيوني ونقول إننا يجب أن نقاتل من أجل تحرير فلسطين، أما المعسكرات الأخرى فأدخلنا بعض الشبان ليتدربوا فيها ولنتعلم ماذا يحصل داخلها، إذ كان عندنا في التنظيم مسيحيون ومسلمون، وكان ينتشر في أكثر من ثانوية وجامعة، وبعضهم لم يكن يمارس عمله السياسي علناً، وطلبنا منهم أن ينضموا إلى حزب الكتائب. من هنا علمنا أن المطلوب من البعض القيام ببعض التدريبات.

■ ما هي نسبة اختراقكم حزب الكتائب؟

ـ كنا نخترقه ببعض العناصر العاديين، لكن بما يكفي لمعرفة الاتجاه السياسي والتوجهات. كان لدينا بعض العناصر الذين شاركوا في دورات التدريب العسكري بالقرب من ضهور الشوير حيث كان للكتائب معسكرات. وبلغنا أن التوجيه المعنوي خلالها كان موجهاً ضد الفلسطينيين. وتبين لنا من مجموع المعلومات والتحليلات التي تلقيناها، في حينه، أن الإدارة الأميركية في صدد «فتنمة» الوضع في لبنان، أي أن الدولة اللبنانية مركزياً غير قادرة على قمع المقاومة الفلسطينية فليكن هناك حرب أهلية تضعف الوضع الفلسطيني وتغرقه. توقعنا ذلك قبل أشهر، وبدأنا نطلب من القيادة الإسراع في عمليات الإعداد العسكري والتسليح، وكانت القيادة، بالعكس، تريد أن تهدئ الوضع ولا تحمسنا على موضوع الإعداد هذا. لذلك أعتقد أن مفاجأة حصلت في بداية الحرب، بتوقيتها وعدم الاستعداد للرد في شكل قوي جداً. فعندما تبيّنا أبعاد هذه الحرب، وأن المقصود منها إضعاف المقاومة، كان

يفترض أن نسعى بكل الجهود إلى الخروج منها لا إلى تطويرها. لكن كانت هناك اتجاهات مؤيدة للحركة الوطنية التي لم تعِ المسألة في البداية.

■ من هي هذه الاتجاهات؟

ـ كانت هناك قوى يسارية في الثورة الفلسطينية تميل إلى الاتحاد السوفياتي وتدعم الحزب الشيوعي.

■ هذا يعني نايف حواتمه؟

ـ هذه مسلّمة، لكن حتى في «فتح» كانت هناك توجهات. يمثلها ماجد أبو شرار وأبو موسى، وعضو اللجنة المركزية أبو صالح، الذي يتحمل مسؤولية في عمليات القصف العشوائي. أي أننا طوال الفترة كنا نحرص على عدم قصف مناطق شعبية، بل المراكز العسكرية ومراكز الكتائب فقط، لكن ألّا يكون القصف بالمدفعية. وفي غياب القيادة، وهذه يجب أن تسجل تاريخياً، إذ كان «أبو جهاد» في سورية، وأبو عمار في مصر، تولى القيادة العسكرية أبو صالح الذي أعطى أول أمر بالقصف العشوائي على منطقة الأشرفية. وهذه كانت غلطة استراتيجية، لأنها لم تميز بين القوى المنظمة والناس، خصوصاً أن بينهم قوى مؤيدة للمقاومة، وبالتالي أسهم ذلك في عملية الفرز، وما عرف بالخط الذي يفصل بين المناطق على أساس مذهبي وطائفي.

■ «أبو جهاد» تولى مسؤولية تفكيك الجيش اللبناني، فما هي قصة جيش لبنان العربي وأحمد الخطيب وكيف تمت؟

ـ أحمد الخطيب ضابط بسيط جداً، لكن الحس الوطني أدى به إلى عدم المشاركة في القتال ضد المقاومة، فاتصل بقيادة المقاومة التي كانت موجودة في البقاع يومها وكانت بقيادة «أبو جهاد» الذي رحب بإمكان تحييد جزء من الجيش اللبناني في هذا الصراع. ومن هذا الطريق أنشئ «جيش لبنان العربي». وهذه الأشياء قد يكون الذين خططوا للحرب الأهلية لم يأخذوها في الحسبان، أي اذا فسخت المجتمع في الشارع طائفياً فليس هناك أي ضمان ألّا تتفكك الدولة لأنها انعكاس لهذا المجتمع. وبالتالي تفككت الدولة اللبنانية من طريق أهم وحدة لديها، وهي الجيش اللبناني.

■ إلى أي مدى اخترقت أجهزة أمن «فتح» الجيش اللبناني قبل الحرب؟

ـ في نظري كانت ضعيفة جداً. هناك معلومات عامة وتصورات، لكن لم تكن هناك اختراقات بمعنى اختراقات ولم يكن هدفهم اختراق الجيش اللبناني، ولكن كأي قوة موجودة، كان يهمها أن تعلم ما يحصل داخل الجيش اللبناني، غير أنهم لم يهدفوا يوماً إلى أي انقلاب عسكري ولا إلى تحريك الجيش اللبناني في اتجاه معين. لذلك، عندما فوجئوا بالحرب الأهلية كانت علاقتهم بالجيش اللبناني ضعيفة، وأكبر دليل أن أحمد الخطيب هو الذي اتصل بـ «أبو جهاد» وليس «أبو جهاد» هو الذي أخرج لائحة بمجموعة من الضباط الذين يعملون مع الفلسطينيين.

■ هذه ثابتة؟

ـ هذه أكيدة. أحمد الخطيب هو الذي قرر ألا يقوم بأي عمل ضد الفلسطينيين واتصل بهم. وقال: ماذا في إمكاني أن أفعل؟ فأجابوه:

أعلن معارضتك لضرب الفلسطينيين وأعلن انشقاقك عن الجيش اللبناني. الفلسطينيون كانوا ضعفاء جداً ولم يكن في إمكانهم خرق الجيش اللبناني لأنهم لم يكونوا يهدفون إلى هذا الأمر. هناك علاقة مع بعض الضباط، حتى عملية انقلاب الأحدب التي حُمّلت للفلسطينيين هي من جملة المسائل، إذ لماذا يتولى ضابط صغيرٌ الخط الإسلامي في الجيش اللبناني والدفاع عن القضايا الوطنية فيما هناك العميد (عزيز) الأحدب الذي يمكنه القيام بدور أكبر ومع دعم عربي، ولم يقم بهذا الدور؟

■ **هذا يعني أن الفلسطينيين كانوا وراء حركة الأحدب؟**

ـ نعم وهذا واضح.

■ **من؟**

ـ أبو حسن سلامة، لكن هذه العملية لم تكن منظمة إنما أتت نتيجة التفاعلات، الجيش انهار وبعض الضباط وجدوا أنفسهم غير قادرين على أي عمل لا مع هذا الطرف ولا مع ذاك.

■ **أنت تعاطيت بالأمن، من هو أبو حسن سلامة؟ وما هي أهميته؟ وهل تعرفه؟**

ـ أبو حسن أهميته أنه كان رئيساً لجهاز أمني لحماية القيادة وجهاز أمني له علاقات داخلية وخارجية، وأدى دوراً بارزاً بصفته أحد أجهزة «أيلول الأسود»، لأن «أيلول الأسود» لم يكن مسؤولاً عنها جهاز واحد.

■ **ألم يكن «أبو أياد» هو المرجع لـ «أيلول الأسود»؟**

ـ كلا، مثلاً عملية وصفي التل تولى إعدادها وتجهيزها وتوجيهها

أبو يوسف النجار من لبنان، وعملية ميونيخ كان وراءها أبو أياد، وعملية مطار اللد كان وراءها أيضاً أبو أياد. ونفذت عمليات أخرى كان يساهم فيها أبو حسن، مثل عملية تريستا في إيطاليا. لذلك كان كل جهاز يقوم بعملية معينة تحت اسم «أيلول الأسود».

■ **وعملية ميونيخ التي شارك فيها أبو داود؟**

ـ نعم.

■ **ماذا فعلتم عندما انتهت الحرب الأهلية؟**

ـ سررنا كثيراً عندما انتهت الحرب، لأن أول ما فعلناه كان توجيه كل القوى إلى الجنوب، وبدأنا نعد لعودة الصراع مع العدو الصهيوني، وتقويم المرحلة الماضية بأنها كانت سلبية، وكل القوى والتضحيات التي حصلت، لكن لم يكن هناك من مهرب، بسبب القرار الأميركي ـ الإسرائيلي مع أطراف لبنانيين بلبننة الحرب في لبنان من أجل إضعاف الوضع الفلسطيني.

■ **ما هي علومك؟**

ـ تخرجت من الجامعة مهندس ديكور، وفي العام ١٩٧٦ افتتحت مكتبي. وعلى رغم الوضع الأمني في لبنان، كنت أقوم ببعض الأعمال.

■ **واليوم ما هو عملك؟**

ـ أمارس بعض الأعمال التجارية الحرة.

■ **ماذا تركت هذه التجربة الطويلة؟ هل تركت شعوراً بالمرارة في بعض الأحيان؟**

ـ الشعور نفسه الذي كان يدفعني إلى القيام بهذا العمل هو الشعور بالواجب. وأنا أكثر أمر كنت أكرهه في النماذج العربية هو عدم القيام بالواجب والتخلي والانسحاب من الساحة. فإذا لم يقم الإنسان بواجبه تصبح الحياة كلها تافهة وسخيفة، خصوصاً في القضايا الوطنية الكبرى، والشعور الذي ينتابني أني منذ طفولتي كنت في مواقع تتقدم عمري، وإمكانات أناس كثيرين، وبالتالي عندي هذا الشعور بالرضى لأنني قمت بواجبي في شكل جيد. وإذا كان هناك من مرارة فهي مرارة أن التجربة في بعض الأحيان كانت ضعيفة، وسببها عدم المعرفة. وكنا نتمنى لو كانت لدينا خبرة أكبر.

■ **اليوم تركت العمل الأمني؟**

ـ نعم، لم يعد لي اليوم أي نشاط معين، ليس بسبب عدم الرغبة بل بسبب الظروف الموضوعية والتشكيلات السياسية الموجودة التي لا تلبّي ولا تترك لك مجال العمل كما تطمح.

■ **هل لديك أي علاقة بـ «حزب الله»؟**

ـ أبداً.

■ **لا تنظيمية ولا غير تنظيمية؟**

ـ نهائياً.

■ **هل لديك علاقة بالأجهزة الإيرانية؟**

ـ أبداً.

■ **هل تعتقد أن لإيران علاقة بقضية الرهائن في لبنان؟**

ـ الجو الذي كان يحكم خطف الرهائن والديبلوماسيين الإيرانيين،

والجو العام الذي كان يسود لبنان، كان يفتح باب التدخل على مصراعيه. السؤال الآن هل هناك أطراف إيرانيون كانوا يوحون أو يؤيدون أو يستفيدون من هذا الموضوع؟ هذا لا شك فيه. لكن هل هناك أي قرار سياسي من الحكومة؟ لا أعتقد، لأن الكثيرين ممن كانوا في المواقع الأساسية في إيران كانوا يجهلون أساساً ما هو هذا الموضوع. أي أنهم ليسوا في وارد اتخاذ أي قرار سياسي.

■ هناك اعتقاد أن «حزب الله» هو وراء خطف الرهائن؟

ـ بحسب معلوماتي، هناك أمر قاطع جداً، كانت هناك مجموعات تدور في أجواء معينة ليست لها أي علاقة تنظيمية بـ «حزب الله». وهذا الأمر قاطع ونهائي. الآن هذه المجموعات اختفت من الساحة، وتفرق عناصرها. بعضهم التحق بـ «حزب الله»، والبعض الآخر لم يلتحق به. هذا أمر آخر. لكن الحزب لا يتحمل، في أي شكل من الأشكال، مسؤولية، لا سياسية ولا عملية في هذا الموضوع.

■ هل هي قضية استخباراتية معقدة؟

ـ إنها قضية أجهزة. قضية أجهزة أمنية ومعقدة جداً، ولا علاقة لها بـ «حزب الله».

■ أي أجهزة ليست بالضرورة محلية؟

ـ لا، ليس بالضرورة، أي إن مصالح وأجهزة عدة تداخلت للضغط على قوى أجنبية وإقامة لعبة توازن بين القوى في تلك الأيام. إذ

كانت القوات الأجنبية موجودة في لبنان، وكانت هناك قوى تدعم أطرافاً معينين وكان المطلوب الرد عليها، وكانت القضايا في منطقة الشرق الأوسط كبيرة جداً.

■ **هل يمكنك القول إنك ساهمت في إطلاق رهائن؟**

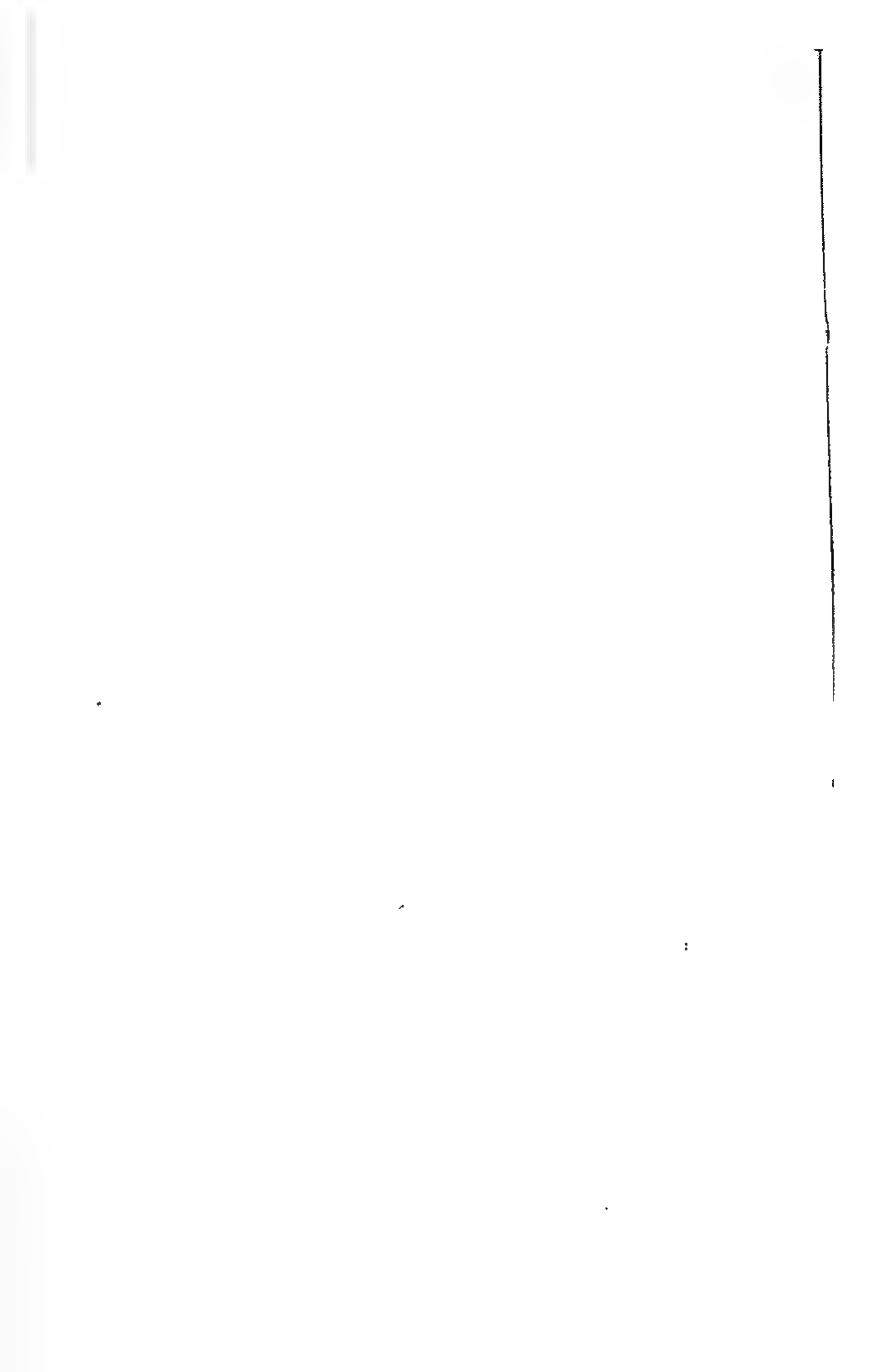
ـ بطريقة ما، نعم. أي بتقريب وجهات النظر والمفاوضات التي تمت في السجن، وضعنا إطاراً عاماً لتسهيل هذه العملية.

■ **هل يتضمن العفو الذي أصدره ميتران شرط عدم دخولك فرنسا؟**

ـ نعم، يتضمن مدة إبعاد لعشر سنوات، أي إنني ممنوع من دخول فرنسا. اليوم انتهت هذه المدة ولا أعرف ما هو موقف الحكومة الفرنسية من ذلك.



من اليمين محسن رضائي وأنيس النقاش ومحمد صالح الحسيني ورفيق دوست في بيروت عام ١٩٨٠
وقبل شهر من محاولة اغتيال شهبور بختيار





جورج حبش



الفصل الأول

البدايات
نواة حركة القوميين العرب

■ **كيف اقتحم جورج حبش عالم السياسة ومعترك النضال؟ ومن أين كانت البدايات؟**

- حتى أكون صادقاً معك ومع نفسي فإنني قبل نكبة العام ١٩٤٨ كنت أعيش حياة عادية جداً، ولم تكن السياسة تشكل لي هاجساً خاصاً إذ لم أكن منخرطاً في أي تنظيم سياسي. وكنت قبل النكبة أقوم بدوري بحدود دور أي إنسان وطني عادي، يحس ويعيش الاضطهاد الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني على يد قوات الاحتلال البريطاني والعصابات الصهيونية من قتل وتدمير واستيلاء على الأرض. وحتى تاريخ النكبة لم أقم بأي دور مميز على صعيد العمل النضالي.

ومع حدوث النكبة بدأ التحول الحاد في حياتي باتجاه العمل الوطني

والقومي. هذه هي البداية وتلك كانت البوابة التي دخلت منها معترك السياسة. ذلك كله تم تحت ضغط الأجواء العامة التي ولّدتها النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني وهزيمة الجيوش العربية، فالأجواء التي كانت سائدة في الوطن العربي عموماً وفي فلسطين ولبنان خصوصاً كانت تدفع بكل إنسان حر إلى ضرورة التفكير في الرد على النكبة.

حينها كنت لا أزال طالباً في الجامعة الاميركية فيُ بيروت حيث كان الجو العام في لبنان كله وفي الجامعة الاميركية خصوصاً وداخل المدارس مشحوناً جداً وأكثر مما نتصور.

في هذه المرحلة التحقت بجمعية «العروة الوثقى» وكانت هذه الجمعية ذات نشاط قومي فعّال على الصعيد الإعلامي والثقافي، وبخاصة على صعيد الندوات العامة التي كان يحاضر فيها كثير من المفكرين والأدباء العرب حيث تركز النقاش في تلك الفترة، سواء داخل أروقة الجمعية أو خارجها، على أسباب هزيمة الجيوش العربية وكيفية ضياع فلسطين والسبيل إلى استردادها. وأعتقد بأن أهم الإجابات وأكثرها موضوعية وعلمية قدمها الدكتور قسطنطين زريق في كتابه الشهير تحت عنوان «معنى النكبة»! وكذلك الكتاب الذي أصدره ساطع الحصري وتناول فيه أسباب هزيمة الجيوش العربية السبعة أمام العصابات الصهيونية، والتي يمكن تكثيفها بالخلاصة الآتية: إن تفتت العرب وانقسامهم، وغياب وحدتهم كانت العامل الرئيسي وراء خسارتهم المعركة أمام العدو.

وقد تعرفت خلال ندوات الجمعية إلى الأخ الكبير المرحوم كمال جنبلاط، كما تعرفت إلى شاعرنا العظيم عمر أبو ريشة الذي ألقى

في إحدى ندوات الجمعية قصيدة عصماء ألهبت مشاعر الحضور.

في هذه الفترة كان يدور حوار فعّال داخل أسوار الجامعة بين الاتجاه القومي والاتجاه الشيوعي. وكان الخلاف يتركز على شرعية قرار تقسيم فلسطين والاعتراف به، حيث كان الشيوعيون يدافعون عن قرار التقسيم نظراً إلى موقف الاتحاد السوفياتي المؤيد للقرار. وكنا نرى في موقف الشيوعيين تبعية مطلقة للاتحاد السوفياتي. كذلك كانت الانتخابات داخل الجمعية تدور بين الاتجاه القومي ـ ومن ضمنه البعثيون ـ والتيار الشيوعي، وكان الرأي العام يميل إلى مصلحة القوميين وبالتالي فإن نتيجة الانتخابات كانت لمصلحة التيار القومي، وقد ترشحت نائباً لرئيس الجمعية وفزت. وفي العام التالي ترشحت لمنصب رئيس الجمعية وفزت به.

■ في أي عام خضت الانتخابات للمرة الأولى؟

ـ خضت الانتخابات للمرة الأولى سنة ١٩٤٩، وكذلك في العامين ١٩٥٠ و١٩٥١ ولم يكن نشاطنا مقتصراً على الجامعة بل تعدى أسوارها إلى المحيط، وبالذات في المخيمات الفلسطينية في لبنان حيث كانت الأجواء السياسية مشحونة والناس تريد فعل أي شيء للرد على الهزيمة.

وباشرنا الاتصال بالناس. ومن خلال هذه الزيارات التي كنت أقوم بها أنا والشهيد وديع حداد تعرفنا إلى الرفيق أبو ماهر اليماني، والرفيق المرحوم أبو عدنان قيس (عضو المكتب السياسي للجبهة الديموقراطية لاحقاً). بعد ذلك بدأنا بإجراء اتصالات مع القوى السياسية السائدة آنذاك، ولا سيما منها حزب النداء القومي وكذلك مع حزب البعث الذي كانت تربطنا به علاقات جيدة.

جملة هذه الاتصالات طرحت علينا جميعاً السؤال التاريخي الكبير «ما العمل؟» وماذا علينا أن نفعل من أجل فلسطين؟

اتصلنا بحزب البعث وعقدنا حوارات جدية مع الرفاق البعثيين ومن بينهم ميشيل عفلق، وهم رفاق موضع احترام وتقدير، إلا أن محصلة الحوارات والنقاشات أظهرت أن هناك خلافات تمحورت حول قضيتين جذريتين: **الأولى** مركزية القضية الفلسطينية، وضرورة التركيز على فلسطين باعتبارها القضية المركزية ومحوراً للنضال القومي، فيما كان حزب البعث يركز على قضايا التحرر الوطني، من دون أن يعني ذلك أن البعث لم يكن يأخذ القضية الفلسطينية في الاعتبار بل كان يدرجها في جدول مهماته، لكنها لم تكن تحظى بالأولوية.

القضية **الثانية** التي كانت مثار خلاف مع البعثيين، موضوع الاشتراكية التي شكلت ركيزة أساسية في نضال البعث، حيث كنا نرى أن طرح هذه القضايا لا يزال مبكراً، وأن التركيز على القضايا القومية يجب أن يأخذ المكانة الرئيسية بعد القضية الفلسطينية.

▪ في تلك المرحلة كانت حركة «الإخوان المسلمين» إحدى القوى الرئيسية الفاعلة في المجتمع العربي عموماً وفي مصر خصوصاً، ما كانت نظرتكم إلى هذه الحركة في تلك الفترة؟ وهل كانت بينكم وبينها أي حوارات، سواء في لبنان أو في الأردن؟

ـ في لبنان لم يكن بيننا وبين حركة الإخوان المسلمين أي حوار أو نقاش، أما في الأردن فكانت العلاقات بيننا في تلك الفترة علاقات عدائية، لأن موضوع التحرر الوطني كان طاغياً على كل الساحات

العربية ومن ضمنها الأردن، والحركة لها موقف، و«الإخوان» لهم موقف آخر مغاير بحكم طبيعة علاقاتهم وتحالفاتهم. أما في مصر، فلم يكن لنا وجود في مرحلة التأسيس، وبعد ذلك كانت العلاقة مع عبد الناصر والصراع بين عبد الناصر والإخوان هما اللذان يحكمان العلاقة بيننا.

■ **في المرحلة التي شهدت الحوار والخلاف مع البعث، هل كانت حركة القوميين العرب قد تأسست؟**

– في هذه المرحلة ألّفنا نواة حركة القوميين العرب، من ثمانية أشخاص، أذكر منهم: وديع حداد وهاني الهندي وأحمد الخطيب وأنا، أما الأسماء الأربعة الاخرى فأعتقد أنهم يفضلون عدم ذكر أسمائهم في هذه المرحلة.

كوّنّا هذه النواة وقررنا تالياً تأسيس التنظيم. حينها تساءلنا في البداية: ما هي شعارات هذا التنظيم؟ وكان الجواب: «وحدة، تحرر، ثأر». وكان شعار الثأر يشير بشكل أساسي إلى عملية تحرير فلسطين. وبعدما بلورنا شعاراتنا التي كانت تعكس مضمون برنامجنا السياسي، برزت حركة جدل في أوساط الإطار المحيط بحركة القوميين العرب، تكثفت بالسؤال الآتي: لماذا لا نلتحق بحزب البعث؟ وفي ضوء ذلك التحق فريق من المحيط المتعاطف مع الحركة بحزب البعث، فيما بقي فريق آخر ملتحماً مع الحركة.

وهنا أود لفت النظر إلى مسألة في غاية الأهمية، وكانت بالنسبة إلينا في حركة القوميين العرب ركيزة أساسية في رؤيتنا البرنامجية، وهي أننا كنا نرى في التلازم الجدلي بين تحرير فلسطين والوحدة العربية بعداً مهماً وضرورياً لا غنى عنه، لأننا كنا نرى في المشروع

الصهيوني المندفع، مشروعاً استعمارياً توسعياً، يستهدف عموم المنطقة العربية والأمة العربية، وليس فلسطين فقط، وبالتالي فإن مواجهة هذا المشروع يجب أن تكون من خلال مشروع قومي عربي يتجسد من خلال الوحدة العربية. ويكون في رأس جدول أعماله تحرير فلسطين باعتبارها جوهر الصراع وقضية العرب المركزية. ومن هنا كنا نشدد على قومية الصراع وقومية المعركة وقومية تحرير فلسطين. لكن البعث كان بعيداً نسبياً عن هذا الفهم الواضح. وأجزم بالقول إن تأكيدنا عملية الربط بين الوحدة العربية وتحرير فلسطين مثّل الأساس الذي خلّف امتدادات جماهيرية كبيرة وواسعة من حولنا، أوصلتنا بعد خمس أو ست سنوات إلى أن نكون إحدى قوى حركات التحرر الرئيسية في المنطقة العربية.

■ **عندما توضحت اتجاهاتكم القومية، بأي المفكرين كنتم متأثرين؟**

ـ من أبرز المفكرين القوميين الذين تأثرنا بهم قسطنطين زريق، وساطع الحصري.

■ **هل تأثرتم بفكر ميشيل عفلق، باعتباره من منظّري الحركة القومية العربية؟**

ـ كنت أحب ميشيل عفلق وأقرأ كتاباته، لكنني كنت أتساءل: لماذا تغيب عن فكر ميشيل عفلق، وهو الكاتب والمفكر اللامع، قضية الكفاح المسلح لاسترداد فلسطين؟ إضافة إلى أني لم أكن مقتنعاً في تلك الفترة بضرورة طرح شعار الاشتراكية، هذا الشعار الذي تبنته الحركة لاحقاً، إذ أصبح شعار حركة القوميين العرب «وحدة، تحرر، اشتراكية، استرداد فلسطين». أنا أرى أن تطور

شعارات الحركة بهذا الاتجاه ... أن نوازي في
التطور. ... أصبحت

أسرار الصندوق الأسود

■ ألا تعتقد ...
لتقوية عمليات ...
والشيوعيين؟

ـ لا لم يكن الهدف من تبنّي الاشتراكية منافسة الشيوعيين ... البعثيين بل كان نتاجاً طبيعياً لتطور فكرنا. كذلك لعبت الإجراءات الاقتصادية التي اتخذها عبد الناصر في مصر على صعيد عمليات التأميم وإعادة توزيع الملكية الزراعية عاملاً أساسياً في تبنينا شعار الاشتراكية الذي تبنته «ثورة يوليو» لاحقاً.

■ عندما نضجت حالة وعيكم السياسي والفكري في بداية الخمسينيات هل فكرتم في الانتقال من إطار العمل في أوساط الجامعة إلى الإطار الجماهيري الأوسع؟

ـ نعم فكرنا في ذلك جيداً. وهنا برز سؤال مهم: هل نستطيع أن نأخذ على عاتقنا موضوع تشكيل حزب سياسي؟ كان جوابنا: إذا شعرنا بأن الشعارات التي نطرحها، خصوصاً في ما يتعلق بالكفاح والتمايز، ستكون موضع تطبيق ونكون قادرين على تجسيدها وتمثيلها، حينها يكون جوابنا: نعم نحن قادرون على تشكيل حزب سياسي متميز. من هنا كانت مرحلة الأردن أول ساحة اختبار لقوتنا وسلامة شعاراتنا، وبالتالي مقدرتنا على بناء حزب وتنظيم جماهيري واسع.

■ عمان الخمسينيات كانت المحطة الأهم في تاريخك وتاريخ حركة القوميين العرب، كانت العيادة وكان وديع

حداد وكان الاختفاء، والأهم كانت تجربة بناء حركة القوميين العرب. كيف تنظر إلى هذه التجربة اليوم وأهم المحطات فيها؟

ـ بعد انتقالي إلى عمان بستة أشهر عاد الرفيق وديع حداد إلى عمان، وكنت قد تخرجت قبله بسنة. حينها قرر والدي أن يفتح لي عيادة في عمان، وكان والدي إنساناً ميسور الحال يحبني كثيراً وأطلق لاحقاً على العيادة اسم «القيادة» لأنها كانت بمثابة غرفة عمليات لقيادة العمل الشعبي والجماهيري في الأردن.

وهذه العيادة كانت تقع في «شارع الملك طلال»، وقد بدأت العمل أنا والدكتور وديع حداد في العيادة بأجور رمزية جداً كنا نوظفها لسد بعض مصروفات الحركة. وفي تلك المرحلة كان الدكتور أحمد الخطيب قد عاد إلى الكويت. وكان يتقاضى راتباً مقداره مئة دينار كويتي يحول منها تسعين ديناراً شهرياً مصروفات للحركة.

بدأت أنا والرفيق وديع بالدخول إلى عمق العمل الجماهيري، خصوصاً وديع الذي كان دائم الحركة والفاعلية في الأوساط الشعبية، ولا سيما داخل المخيمات، حيث افتتحنا دورات محو أمية، وكذلك مستوصفاً لعلاج الجماهير. والجميع يعرف حالة الفقر الذي كانت تئن تحته جماهيرنا في الأردن في ذلك الزمن.

وكان لنا خط بناء آخر مواز للخط الجماهيري، يتمثل في بناء صلات مع الكثير من الشخصيات الوطنية في الأردن، وبالذات فئة البورجوازية الوطنية التي كانت لنا بها صلات أيام الجامعة الأميركية. وكان هذا بطبيعة الحال يعبّر عن انفتاحنا على جميع فئات الشعب الوطنية. وعند إعادة قراءة تجربتنا في الأردن أستطيع القول بأمانة إننا

تمكنا خلال ثلاث سنوات من العمل الدؤوب والجاد، أن نوازي في قوتنا أحزاباً عريقة مثل حزب البعث، والحزب الشيوعي، وأصبحت حركة القوميين العرب إحدى القوى الرئيسية العاملة في الأردن.

خلال هذه الفترة أصدرنا صحيفة أسبوعية باسم جريدة «الرأي» رأس تحريرها الدكتور أحمد الطوالبة. وأدّت هذه الصحيفة دوراً مهماً جداً في التحريض على ضرورة تعريب الجيش الأردني، وطرد غلوب باشا الإنكليزي رئيس هيئة أركان الجيش الأردني آنذاك. وأدى هذا بدوره إلى قيام الحكومة بوقف صحيفة «الرأي». في تلك الفترة كانت سورية تشهد حالة من الانفراج والليبيرالية، فأصدرنا الصحيفة من سورية، وكنا نوزعها في الأردن، إلى أن جرت تحولات محدودة في عمان في العام ١٩٥٦ في عهد حكومة سليمان النابلسي تجسدت بانفراجات سياسية على الصعيد الوطني العام. حينها عدت إلى الأردن بشكل طبيعي.

وفي تلك الفترة جرت انتخابات نيابية عامة وخضنا الانتخابات بكتلة من أربعة مرشحين، ولم يحالفني الحظ في النجاح إلا أننا في حركة القوميين العرب رأينا أن الأصوات التي حصلت عليها جيدة (مع الأخذ في الحسبان أنني كنت حينها شاباً صغيراً وفي بداية تجربتي النضالية والسياسية) وإنجاز معقول لحركة سياسية فتية كحركة القوميين العرب. هذا أولاً، وثانياً كنا نرغب في قياس مدى عمق صلاتنا بالناس والشعبية التي نتمتع بها. وبعد الانتخابات بعام تقريباً دخل عامل مهم أثّر في طبيعة الحركة، وتمثل هذا العامل بانقلاب النظام في الأردن على حكومة سليمان النابلسي الوطنية عام ١٩٥٧، وكان لهذا الانقلاب تأثير كبير علينا، لكنه أفرز تجربة مهمة، إذ اعتقل الرفيق وديع حداد، وقررت أنا الاختفاء داخل

الأردن لإعادة بناء الحركة ومواجهة المرحلة المقبلة التي كانت تتسم بالتسلط والقمع والملاحقة، وكذلك البدء بممارسة الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني. وكنت أثناء اختفائي أقود العمل اليومي والسياسي داخل الأردن وفلسطين بشكل رئيسي. وبقيت على هذه الحال إلى ما بعد قيام الوحدة بين مصر وسورية إذ غادرت الأردن إلى سورية في كانون الثاني/يناير عام ١٩٥٩.

■ هل كانت بنى حركة القوميين في الأقطار الأخرى ناضجة؟

ـ ليس في كل الأقطار العربية، ففي لبنان أكملت الحركة نضجها نسبياً، وأصبحت تنظيماً هرمياً من القيادة إلى القاعدة. وكان من أبرز الشباب النشيطين في تلك الفترة محسن إبراهيم، وشاب آخر على قدر كبير من الأهمية في كفاحه ونشاطه وبخاصة في الجنوب اللبناني وهو المرحوم محمد الزيات الذي غادرنا مبكراً عن عمر يناهز ٣٢ عاماً. وللإنصاف لعب المرحوم محمد زيات دوراً مهماً في أواخر الخمسينيات إذ خاض الانتخابات النيابية في مواجهة قوائم وتكتلات للعائلات التقليدية والإقطاع الجنوبي، ولا بد من ذكر دوره بوصفه أحد الأركان المهمين في قيادة الثورة العام ١٩٥٨ في لبنان ضد الرئيس كميل شمعون، هذه الثورة التي انطلقت من الجنوب اللبناني وامتدت لاحقاً إلى مختلف الأراضي اللبنانية. وبالطبع كان هناك الرفيق أبو ماهر اليماني والرفيق أبو عدنان قيس وكثيرون من الرفاق المخلصين.

أما في سورية والعراق فكان وضع الحركة أقل نضجاً وأكثر بطئاً في فاعليته من لبنان والأردن، وذلك يعود إلى وجود حزب البعث في كل من سورية والعراق بشكل قوي وفعال. إلا أن تجربة القوميين

العرب في كل من اليمن وليبيا والبحرين تستحق التوقف أمامها.

فتجربة هذه الأقطار الثلاثة بدأت عندما تعرضت حركة القوميين العرب لكثير من الضغوط والضربات، خصوصاً في الجامعات العربية، مما دفعنا إلى التفكير في إيفاد طلابنا إلى الجامعات المصرية من مختلف الأقطار العربية. وبالفعل التحق كثير من الشباب بالجامعات المصرية المختلفة، وبدأوا بالعمل داخل الجامعة. وكان من بين هؤلاء الشباب طلاب من ليبيا واليمن والجزيرة العربية. كان هذا التوجه في بداية العام ١٩٥٩. بعدها قررت الحركة دعوة الطلاب المتخرجين إلى دمشق للتدارس معاً في المهمات والواجبات الملقاة على عاتق هؤلاء الطلاب في أقطارهم. وأتى إلى دمشق نحو عشرة طلاب منهم فيصل الشعبي وآخرون لا أريد ذكر أسمائهم، وعقدنا لهم دورات مكثفة، عادوا بعدها ليؤسسوا فروعاً للحركة في بلدانهم.

■ **وأنتم في غمرة تأسيس حركة القوميين العرب طرأ متغير على المنطقة العربية تمثل بقيام «ثورة يوليو» بقيادة جمال عبد الناصر، كيف قرأتم قيام الثورة في حينه؟ وهل شكلت لكم عامل دفع مادي أو معنوي؟**

ـ كانت نظرتنا إلى ثورة يوليو المصرية في البداية باعتبارها انقلاباً عسكرياً قامت به مجموعة من الضباط الطامحين إلى السلطة. والحقيقة أنه كان لنا في الحركة موقف حازم من الانقلابات العسكرية في ضوء التجارب المتلاحقة التي حدثت في سورية. وجعلنا هذا نتوجس ونكون حذرين في تأييد أي حركة انقلابية. وبالتالي لم نعر ثورة يوليو المصرية أي اهتمام بوصفها انقلاباً عسكرياً. ظل هذا الموقف سائداً لدينا حتى العام ١٩٥٥ حين شكلت صفقة الأسلحة

التشيكية وبعد ذلك تأميم قناة السويس تحولاً في نظرتنا وعلاقتنا مع ثورة يوليو. بدأنا بعدها نشعر بأهميتها وأصبح لاحقاً بيننا وبين عبد الناصر انسجام كبير في الموقف السياسي.

■ في أي سياق قومتم تجربة الوحدة المصرية ـ السورية؟

ـ كان قيام الوحدة يمثل لي على الصعيد الوجداني حدثاً مهماً جداً جداً. فهي أول وحدة عربية في التاريخ المعاصر.. وكنت أراها بداية لتجسيد وحدة الأمة العربية، خصوصاً أنها تمت بين أكبر بلدين عربيين محيطين بفلسطين. وكانت لهذا دلالة مهمة وخاصة وبالذات على صعيد تطويق الكيان الصهيوني. لكن من الجانب الآخر طرح علينا قيام الوحدة سؤالاً مهماً جداً وهو مدى مشروعية بقاء حركة القوميين العرب وضرورته، ما دام أن هنالك قيادة قومية عربية بزعامة جمال عبد الناصر، بدأت فعلياً بعملية توحيد الأمة؟

وجاء هذا الطرح بالذات من الرفاق الحركيين في سورية ولبنان، إذ أتى مندوب عن الرفاق في سورية إلى عمان ليناقش معي هذا الموضوع. وهذا الرفيق هو مصطفى بيضون العضو القيادي في الحركة. حينها كان الرفيق وديع معتقلاً، وكنت مختفياً. وبعد نقاش طويل كان ردي أن قيادة عبد الناصر هي القيادة الرسمية للوحدة العربية. ولكن ماذا عن الجماهير وقيادتها؟ أنتم تعرفون كم أحب عبد الناصر وأحترمه، لكن هذا يجب ألا يجعلنا نهمل قضية الجماهير وضرورة وجود قيادة شعبية لها. وأخذ الرفاق في قيادة الحركة بهذا الرد والتزموا ضرورة بقاء الحركة لتقود العمل الجماهيري.

▪ بعد الانفصال وضرب تجربة الوحدة بين مصر وسورية هل قمتم بقراءة موضوعية لتجربة الوحدة؟ وما هي العبر التي جرى استخلاصها؟

ـ عملية تقويم الوحدة في تلك الفترة أخذت منا اهتماماً كبيراً وجرت عملية تفاعلات واسعة بين مختلف قيادات الحركة. وفي ضوء هذه النقاشات تقرر أن يسافر الرفيقان محسن إبراهيم وهاني الهندي إلى مصر لمناقشة أسباب حدوث الانفصال والمستجدات التي أفرزها خصوصاً على صعيد سورية. ومن خلال الحوارات التي دارت بين الرفيقين هاني ومحسن من ناحية وعبد الناصر من ناحية ثانية تبيّن أن هناك خلافاً بيننا وبين عبد الناصر في النظر إلى أسباب فشل الوحدة. كنا نرى أن سببها يعود إلى غياب الديموقراطية وتسلط الأجهزة الأمنية وسيطرتها على قيادة العمل السياسي الجماهيري، مما أفرغ الوحدة من أي مضمون ديموقراطي وجعلها تبدو كأنها وحدة مفروضة على الجماهير فرضاً، على رغم حماسة الجماهير لعملية الوحدة. إضافة إلى الأفق الضيق الذي كان الضباط الكبار يقودون به الحياة السياسية في سورية.

أما وجهة عبد الناصر فكانت تعيد أسباب فشل الوحدة إلى التآمر الخارجي (...).

▪ بعد حدوث الانفصال شهدت حركة القوميين العرب حالة من الحراك الداخلي والجدل السياسي والفكري في ضوء التجربة التي خاضتها الحركة في مختلف الميادين، ماذا يذكر الحكيم من تلك الصراعات التي دارت؟

ـ في تلك المرحلة التي أشرت إليها، كانت الحركات السياسية

العربية بمعظمها، وبمختلف تياراتها، تعيش حالة من الصراع والجدل الشامل في ضوء تجربتها التحريرية التي خاضتها من منتصف الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات، وانسحب هذا الوضع بالطبع على قيادة حركة القوميين العرب. وأذكر أننا عقدنا في بيروت اجتماعاً للهيئات القيادية للحركة، إذ كانت الحركة تعاني من صراعات سياسية حادة على خلفية ذلك وفي ضوء تجربة العمل القومي العربي كله، ومساراته والنجاحات والإخفاقات التي واجهها. وأذكر أن الرفيق محسن إبراهيم هو الذي تقدم بمقترح تقويم التجربة وبدأنا عمليات التقويم. وظهر من خلال النقاش تياران متعارضان في كثير من الموضوعات. وكان الرفيقان محسن إبراهيم ومحمد كشلي يمثلان التيار الأول الذي كان يطرح نفسه بوصفه تياراً يسارياً. أما التيار الثاني فكان يضم كلاً من الرفاق هاني الهندي ووديع حداد وأنا والدكتور أحمد الخطيب. وكان هناك رفاق يقفون في الوسط بين هذين التيارين، وتركزت الخلافات على الموضوعات اللآتية:

أولاً ـ موضوع تقويم دور حركة القوميين العرب وتجربتها، إذ كان يرى كل من محسن إبراهيم ومحمد كشلي أن الحركة لم تحقق أي إنجاز ملموس، وأن نتيجة فعلها صفر، وقوة نفوذها وفعلها لا تكاد تذكر في كل الساحات العربية. فيما كنا نرى نحن أن الحركة حققت إنجازات معقولة ولا بأس بها في بعض الساحات العربية، لا سيما منها في الأردن وفلسطين وجنوب اليمن.

وكان محسن والاتجاه الذي يمثله يريان أن عبد الله الأصنج هو الأساس في اليمن الجنوبي، وهو الذي يقود الحركة الجماهيرية، وأن الحديث عن كفاح مسلح تقوده حركة القوميين العرب غير ممكن.

كذلك شكك الرفيق محسن في جدوى العمل المسلح في فلسطين الذي كان الرفيق وديع حداد يقوم بالإعداد والتجهيز له بحماسة وكفاح، وكانت باكورة أعماله العملية التي استشهد فيها الرفيق خالد أبو عيشة.

ثانياً ـ الموقف من عبد الناصر والعلاقة معه. وكان هذا الموضوع محل خلاف أيضاً، إذ كنا نفهم العلاقة مع عبد الناصر على أساس أن عبد الناصر قائد قومي كبير وموضع احترام وتقدير، لكن هذا لا يجعل الحركة تتماهى مع السياسات التي يتبعها، ولا بد من الإبقاء على مسافة واضحة بيننا وبينه مع الإبقاء على عوامل التنسيق قائمة معه ما أمكن، لأننا تنظيم جماهيري مستقل، وعبد الناصر قائد قومي ورئيس دولة يقع على عاتقه كثير من التبعات السياسية التي قد لا تتناسب مع خطنا السياسي. أما محسن ومحمد كشلي فكانا ميالين إلى الاندماج الكلي بعبد الناصر.

ثالثاً ـ موضوع توحيد الحركة القومية العربية في حركة سياسية موحدة: طرح محسن ضرورة دمج مختلف الحركات القومية في حركة واحدة، مما يعني إلغاء لحركة القوميين العرب. وكان جوابي: نعم أنا مع حركة عربية موحدة لكن كيف وما السبيل إلى مثل هذه الحركة الموحدة؟ ولم يكن يومها لدى محسن أي تصور واضح للوصول إلى حركة عربية موحدة.

في ضوء ذلك، عقدنا اجتماعاً موسعاً لقيادة الحركة وكوادرها في بيروت بعد اجتماع القيادة بفترة للاحتكام إلى القاعدة في القضايا موضوع الخلاف. وأذكر أن الرفيقين هاشم علي محسن ونايف حواتمه شاركا في الاجتماعات الموسعة التي ضمت الكوادر

القيادية للحركة، إذ لم يكونا في تلك المرحلة في الإطار القيادي الأول.

وبعد مناقشة ديموقراطية عميقة لكل القضايا موضوع الخلاف توصلنا إلى قواسم مشتركة واستطعنا الخروج بموقف سياسي موحد كانت محصلته متقدمة عن وجهة نظر أي من الاتجاهين، وبذلك استطعنا الخروج بموقف موحد من المأزق الذي كنا نمر به. وقررنا أن نبلغ عبد الناصر الاستنتاجات التي توصلنا إليها في خصوص المأزق الذي يعاني منه العمل القومي العربي.

واسمح لي، ونحن نعالج موضوع التناقضات داخل الحركات السياسية، بأن أشير إلى قضية مهمة وخطرة على هذا الصعيد، وهي كيف نقرأ واقع التناقضات الراهنة والمعاصرة وما هي المناهج والأدوات التي يجب استعمالها وتوظيفها في عمليات التحليل والتركيب والاستنتاج ولاحقاً عملية إعادة بناء صورة التناقضات ورسمها سواء كانت تناقضات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو غير ذلك؟

لماذا أقول ذلك؟ لأنني ألاحظ أن هناك قصوراً في تناول هذا الموضوع ـ يتسم بالخفة والسطحية والتسرع أحياناً كثيرة. لذلك أدعو الباحثين ورجال العلم إلى استحداث أدوات تحليل ومناهج بحث متجددة وعلمية لدرس واقع التناقضات في مرحلة الثورة التقنية وعصر الأتمتة اللذين أفرزا وقائع وحقائق اجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة ومتجددة، تجاوزت أدوات التحليل التقليدية والكلاسيكية التي أصبحت متقادمة في قراءة لوحة التناقضات الكونية سواء في المجتمعات الرأسمالية الغربية أو في مجتمعات العالم الثالث.

في هذا السياق أودّ أن ألفت الانتباه إلى الجهد الذي يبذله الكاتب والمفكر العربي المصري الدكتور سمير أمين وآخرون من الذين يبذلون جهوداً واسعة في محاولات التأسيس لمنهج علمي متطور في بحثه لقضايا التناقضات المعاصرة والراهنة.

هل كانت لكم في تلك المرحلة علاقات وطيدة مع حزب البعث، خصوصاً أنه تسلم سدة الحكم في كل من سورية والعراق؟

ـ كنا نقف في تلك الفترة إلى جانب عبد الناصر في القضايا موضوع الخلاف التي كانت تحدث بين عبد الناصر والبعث.

لماذا لم تستقر في مصر ما دام أن علاقاتكم مع عبد الناصر كانت جيدة؟

ـ الحقيقة أنني لم أفكر في الاستقرار في مصر نظراً إلى عامل البعد الجغرافي. كنت أفضل البقاء على رأس عمل الحركة سواء في الأردن أو لبنان أو سورية. لكنني بعد اختفائي ذهبت لزيارة مصر أثناء الاحتفالات بافتتاح السد العالي، وأنت تعرف ماذا كان يعني السد العالي لمصر وللعالم العربي في تلك المرحلة خصوصاً على صعيد علاقة عبد الناصر بالدول الاشتراكية، وبالذات الاتحاد السوفياتي في مواجهة الحصار الاقتصادي المفروض من الغرب عبر البنك الدولي.

وبعد حضور حفلة الافتتاح أجريت اتصالاً هاتفياً بمدير مكتب الرئيس عبد الناصر سامي شرف، فأخبرني بأن الرئيس عبد الناصر يرغب في لقائي. بالطبع كان عبد الناصر قد استقبل أكثر من مرة أعضاء قياديين من الحركة وهو يعرف أنني الرأس الأول لحركة

القوميين العرب، وبالفعل عقد اللقاء مع عبد الناصر وكان استقباله لي حميماً ودافئاً.

■ ما هي أهم القضايا التي جرى تداولها في هذا اللقاء؟

ـ جرى تداول كثير من الموضوعات، في طليعتها الوضع في سورية بعد الانفصال. وقدمت له صورة عن الوضع السياسي في سورية وحركة الشارع السوري في ذلك الوقت، أعتقد بأنها كانت صادقة ودقيقة وتعكس نبض الشارع السوري المؤيد بغالبيته للوحدة ولعبد الناصر. حينها تألم عبد الناصر كثيراً لكنه أبدى ارتياحاً كبيراً لأنه شعر بأن تعبه وجهده لم يضيعا سدى.

الموضوع الثاني الذي تحدثنا فيه تناول أزمة العمل القومي العربي العام وضرورة إخراجه من أزمته عبر فتح بوابة الصراع مع العدو الصهيوني والبدء بالعمل المسلح الفلسطيني، إلا أن الرئيس عبد الناصر لم يكن متحمساً للبدء بالعمليات العسكرية ضد إسرائيل في تلك الفترة لأنه كان يرى أن فتح الصراع معها يعني المواجهة مع أميركا والغرب عموماً، وأن الوقت ليس ملائماً لمواجهة علنية مع إسرائيل، لكنه في المقابل لم يرفض ووافق على تقديم دعم ومساعدة للإعداد لعمليات عسكرية ضد إسرائيل. والحقيقة أنني ألححت على عبد الناصر في موضوع العمل العسكري المسلح بناء على إلحاح الرفيق وديع حداد على هذا الموضوع.

الموضوع الثالث الذي أثرته مع عبد الناصر موضوع اليمن، كان رأي عبد الناصر أن الصراع مع بريطانيا لا يزال قائماً ولا بد من مواجهة البريطانيين في اليمن من خلال العمل المسلح، لكنه اقترح

أن يكون البدء بالعمل العسكري بشكل مدروس وهادئ وعلى نطاق ضيق، على أن تجرى عملية مراجعة وتقويم لتجربة العمل العسكري، وبناء على الاستنتاجات الأولية، يقرّر لاحقاً توسيع التجربة العسكرية أو إلغاؤها.

بعد لقائي الأول مع عبد الناصر بثلاثة أشهر جرى لقاء آخر في حضور كل من الرفيقين محسن إبراهيم وهاني الهندي، وكنا في هذا اللقاء نشعر بالارتياح لأننا نحمل على الأقل إنجازين مهمين، **الأول:** نجاح تجربة الكفاح المسلح ضد البريطانيين في اليمن، والثاني تمكن الرفيق وديع حداد من تجنيد ما يقرب من ٤٠ إلى ٥٠ شاباً للعمل العسكري من بين مختلف فروع الحركة للعمل في إقليم ظفار، في هذا اللقاء اقترح عبد الناصر أن نعقد اجتماعاً مشتركاً للبحث في موضوع العمل القومي مع كل من زكريا محيي الدين وعلي صبري والمشير عبد الحكيم عامر وكان الموعد يوم الجمعة. وللحق فقد تفاءلنا بهذا اللقاء واعتبرناه دفعة قوية جداً للعمل القومي العربي. لكن سرعان ما تبدد هذا التفاؤل عند عقد الاجتماع الذي حضره كل من زكريا محيي الدين وعلي صبري الذي جلس مستمعاً، ولم يشارك في الحوار سوى زكريا محيي الدين. بعد هذا اللقاء غادرنا القاهرة، ونحن أقوى وأشد تماسكاً على صعيد قيادة الحركة ولم ندخل عبد الناصر في خلافاتنا الداخلية.

■ **من هم القادة الذين كانوا يقفون على رأس العمل القومي في اليمن؟**

- في عدن تحديداً كان يقود العمل عبد الفتاح إسماعيل وأحمد الشاعر وعبد الله الخامري ومحمود عشيش، أما في الجبل فكانت

الشخصية القيادية الأولى الأساسية ممثلة بالرفيق فيصل الشعبي، إضافة إلى مجموعة من الشخصيات البارزة أذكر منهم سالمين، علي ناصر محمد، علي سالم البيض، سالم مصلح، مطيع، علي عنتر، محسن، صالح مصلح وآخرين.

ولعب الرفيق فيصل الشعبي دوراً أساسياً في عملية تحرير اليمن، فكما كان لبن بيلا الدور الأساسي في قيادة حرب التحرير (في الجزائر) كان لفيصل الشعبي الدور نفسه في اليمن. وبالطبع أصبح فيصل لاحقاً رئيساً لمجلس الوزراء في اليمن.

وللحق، استطاع الرفيق فيصل ورفاقه تحقيق نجاح واسع في قيادة العمل الجماهيري في اليمن والحفاظ عل قوة الجبهة القومية قوية وفاعلة، على رغم كل الدعم الذي كانت تقدمه الاستخبارات المصرية لجبهة تحرير اليمن بزعامة الأصنج، خصوصاً بعد عودة الرفيق فيصل الشعبي إلى عدن، ونجاحه في تحقيق إضراب عام وشامل في المدينة، الأمر الذي أثار غضب الاستخبارات المصرية إلى حد أن إذاعة «صوت العرب» من القاهرة قللت من أهمية هذا الإضراب. وطلب مني عبد الناصر، على أثر التقارير التي وردت إليه عن نجاح الجبهة القومية في قيادة الإضراب، الحضور إلى القاهرة، وبحث معي في وضع الجبهة القومية في اليمن.

■ **هل تعرفت خلال اللقاءات والمقابلات مع الرئيس عبد الناصر إلى أنور السادات؟**

ـ لا لم أتعرف إليه إطلاقاً والحمد لله.

الفصل الثاني

الثورة بين عمّان وبيروت..
إلى تونس

يتحدث الدكتور جورج حبش الأمين العام لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» عن محطتين حارّتين في مسيرة الثورة الفلسطينية هما عمان وبيروت. ويقول بصراحة كاملة إن «الجبهة الشعبية» لم تتوقع غزواً إسرائيلياً بهذا الحجم للبنان في ١٩٨٢، ويتحدث بالصراحة نفسها عن قرار الخروج من بيروت المحاصرة والظروف التي أملته، كما يتحدث عن علاقته بالرئيس الفلسطيني ياسر عرفات.

■ كان عبد الناصر بين الذين دفعوا في اتجاه تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية، لماذا لم تكن حركة القوميين العرب، على رغم علاقتها بعبد الناصر جزءاً أساسياً من قيادة المنظمة؟

ـ نحن لم نكن ضد عملية تأسيس منظمة التحرير، وفي الوقت نفسه لا أستطيع القول إننا رحّبنا أو تحمّسنا لهذا الموضوع. لماذا؟ لأننا لم نكن راغبين في القول لجماهيرنا وشعبنا إن منظمة التحرير هي طريق تحرير فلسطين.

■ هل يعني ذلك أنكم كنتم تنظرون إلى المنظمة باعتبارها جزءاً من النظام الرسمي العربي في تلك الفترة؟

ـ نعم كنا ننظر إليها كذلك، مع الأخذ في الحسبان أن هذا الجزء من النظام العربي وطني وليس رجعياً أو مرتبطاً بالغرب. إضافة إلى أننا كنا ندرك أن عبد الناصر له تأثير كبير على قيادة المنظمة وبالتالي كنا مطمئنين إلى أنها لن تكون خارج النسق الوطني والقومي. وفي المناسبة نحن القوميين العرب شاركنا في مؤسسات المنظمة منذ عقد المؤتمر التأسيسي الفلسطيني الأول. وكانت مشاركتنا ممثلة بوديع حداد وأبو ماهر اليماني. وكذلك كان لنا وجود في الجسم العسكري للمنظمة، وكان هناك تنسيق بين الرفاق المشرفين على العمل العسكري داخل الأرض المحتلة وبعض المسؤولين العسكريين في قيادة جيش التحرير الفلسطيني. كذلك أرسلنا بعض الكوادر من الحركة لتلقّي تدريبات عسكرية من خلال بعثات جيش التحرير.

في هذه الفترة كانت الساحة الفلسطينية تشهد صراعاً غير منظور بين أحمد الشقيري والمنظمة من جهة، وحركة «فتح» من جهة ثانية. وكانت «فتح» تطرح حرب الشعب والمجموعات الفدائية، وأعتقد أنها حققت نجاحاً في هذا الموضوع بعد حرب ١٩٦٧، إذ استطاع أبو عمار التقاط اللحظة المناسبة والسيطرة على منظمة

التحرير بمساعدة عبد الناصر، وبعض الدول العربية التي كانت لـ«فتح» علاقة جيدة بها في تلك الفترة، واستفاد أبو عمار بالطبع من الخلافات التي انفجرت بين عبد الناصر والشقيري خصوصاً بعد مؤتمر الخرطوم.

▪ في تلك الفترة ظهرت على سطح الحياة السياسية الفلسطينية حركة «فتح» بوصفها حركة كفاح مسلح شعبية، كيف نظرتم إلى صعود «فتح» في تلك الفترة؟

ـ الحقيقة أننا قوّمنا صعود حركة «فتح» باعتبارها حركة تدعمها القوى المحافظة بهدف مواجهة نفوذ عبد الناصر المتصاعد على الصعيد القومي وعلى صعيد القضية الفلسطينية، خصوصاً أنها ركزت على البعد القطري في سياساتها. لكننا، بصدق، كنا نعتبر المجموعات التي أسستها حركة «فتح» مجموعات وطنية متحمسة لقتال إسرائيل وممارسة الكفاح المسلح. وانطلاقاً من هذه الرؤية وهذا الموقف أجريت اتصالات عام ١٩٦٦ مع الأخ هاني الحسن وبعض قيادات «فتح» للعمل على تشكيل جبهة وطنية عريضة على شاكلة جبهة التحرير الجزائرية، لكن «فتح» لم تستجب هذا الطلب، لذلك شكلنا «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» من جبهات ومنظمات مسلحة عدة بعد هزيمة العام ١٩٦٧ مباشرة، ومن دون مشاركة «فتح».

▪ هل تركت العلاقة بين عبد الناصر و«فتح» أثراً سلبياً عليكم؟

ـ في البداية لم تترك العلاقة بين عبد الناصر و«فتح» أي أثر سلبي

على علاقتنا بعبد الناصر، ولكن بعد العام ١٩٦٧ توترت علاقتنا معه، على أثر تدخل الاستخبارات المصرية وقيامها بالكثير من التحالفات لضرب تحالفنا مع عبد الناصر، إذ شوّهت البرنامج الذي كتبتُه عن استراتيجية العمل الوطني والقومي وقدمتْه إلى عبد الناصر مشوهاً، مما أثار لديه رد فعل سلبياً ووتر علاقتنا به. والتشويه الذي افتعلته الاستخبارات صوّرَنا قوى متطرفة لا بل مغالية في تطرفها. واستمرت علاقتنا به متوترة حتى منتصف العام ١٩٧٠ حين جرى تصحيحها، واتفقنا على كثير من القضايا لكن وفاته حالت دون تنفيذها.

■ بصراحة هل كان لديك إحساس بأن حرب ١٩٦٧ ستؤدي إلى هذه النكسة في تاريخ العرب المعاصر؟

ـ لم أكن، وللأسف، أتوقع أن تكون نتائج حرب ١٩٦٧ بهذا الشكل، كان لديّ إحساس بوجود مشكلة في العمل القومي العربي، ولم يكن في ذهني أن يهزم نظام عبد الناصر هزيمة كبرى وشاملة.

■ يوم سقوط القدس بكى جورج حبش. هل كان لسقوط القدس واحتلال إسرائيل فلسطين كاملةً أثر في انتقالك من العمل القومي إلى العمل الوطني الفلسطيني؟

ـ يوم سقوط القدس كان من الأيام المرة في حياتي، يومها بكيت لأن الهزيمة زلزلت أركان الأمة العربية كلياً وأحدثت صدمة واسعة. وبفعل نتائج النكسة الهائلة بدأت التركيز على العمل الوطني

الفلسطيني مباشرة، من دون أن تنفك علاقتي بالعمل القومي. واسمح لي هنا بأن أوضح مسألة رئيسية وهي أننا في حركة القوميين العرب أخذ العمل الفلسطيني لدينا مكانة رئيسية منذ العام ١٩٦١ حين بدأنا الإعداد للعمل الفدائي المسلح.

وعلى رغم هذا التحول الذي تركته هزيمة ١٩٦٧، لم يتراجع اهتمامي بالعمل القومي العربي لأنه عميق في ذهني وفي رؤيتي السياسية وفي تفاعلاتي مع الواقع القومي والفكر القومي.

■ بعد العام ١٩٦٧ أصبحت زعيماً لـ «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»؟

ـ أريد أن أصحح هنا بعض الوقائع. عندما أسسنا الجبهة «الشعبية لتحرير فلسطين»، لم أكن أنا زعيمها بل كنت أحد قادتها، كان معي الرفيق أحمد جبريل وقادة آخرون. والفكرة التي كانت لديّ في تلك الفترة تتلخص في إنشاء جبهة وطنية عريضة على طراز جبهة التحرير الجزائرية. لكن حركة «فتح» رفضت أن تؤلّف معنا مثل هذه الجبهة، وهذا ما دفعنا إلى تشكيل جبهة من أربع أو خمس قوى كانت موجودة في تلك الفترة وهي التي شكلت الجبهة الشعبية. وأهم هذه القوى «شباب الثأر» و«أبطال العودة» و«جبهة التحرير الفلسطينية».

■ لكن الجبهة الشعبية بدأت بعد ١٩٦٧ مباشرة بممارسة الكفاح المسلح عبر جبهتي الأردن وسورية ومن داخل الأرض المحتلة، هل يعني هذا أنه كان لديكم في حركة القوميين العرب جناح خاص بالعمل الفدائي؟

ـ نعم كان لدينا جناح خاص بالعمل الفدائي، وكان الرفيق وديع حداد يشرف عليه، وأعتقد أن سبب اعتقالي في سورية عام ١٩٦٨ كان ممارسة العمل المسلح عبر الجبهة السورية، وليس كما حاول بعضهم أن يصور أني كنت أعدّ للقيام بانقلاب في سورية، فالسلاح الذي كنا نخزنه في سورية كان هدفه توفير الإمداد الخلفي للعمل المسلّح عبر أراضيها.

■ في ربيع ١٩٦٨ وقعت معركة الكرامة التي مثلت باكورة المواجهة المباشرة بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي، ما هي حقيقة واقعة الكرامة ودور الجبهة فيها؟ كيف قوّمت هذه المعركة؟

ـ عندما وقعت معركة الكرامة كنت معتقلاً في سورية، ولم أكن شاهداً حياً عليها، مع ذلك فإنني رأيتها بمثابة دفعة معنوية للعمل الوطني الفلسطيني في الرد على هزيمة ١٩٦٧.

■ أبو عمار شريك في مسيرة ربع قرن من النضال والكفاح، اتفقت معه واختلفت، متى التقيته للمرة الأولى وما هو الانطباع الذي تركه لديك هذا اللقاء؟

ـ في الحقيقة علاقتي بحركة «فتح» لم تكن في البداية مع أبو عمار، بل كانت مع الأخ هاني الحسن، وكان أول لقاء لي مع ياسر عرفات بعد العام ١٩٦٧، والانطباع الذي تركه لقاؤنا الأول وما تلاه من لقاءات أن أبو عمار يفكر في شخصه أكثر مما يفكر في شعبه. ومنذ تلك الفترة أستطيع أن أقول: كان أبو عمار يرغب على الدوام في تشكيل هالة كبيرة لنفسه، ولا يسمح لأحد بمنافسته

سواء من داخل «فتح» أو من الفصائل، وكانت هذه المعادلة تحكم الكثير من تصرفاته ومواقفه السياسية.

وسأروي لك حادثة وقعت ونحن في الأردن: في العام ١٩٧٠ كانت هناك دعوة لكل المنظمات الفلسطينية إلى تطويق الأحداث التي وقعت بين الجيش الأردنيّ والمقاومة الفلسطينية، وكان الاجتماع في هيئة الأركان، وحضر عن الطرف الأردني الضابط الوطني مشهور حديثه، وشارك فيه الأخ صالح مهدي عماش عن العراق الذي كان يتوسط بيننا وبين السلطة الأردنية، ولم أكن أنا حاضراً، فيما حضر عرفات. وفي بدايته سأل مشهور حديثه «لماذا لم يحضر جورج حبش؟ إن لم يكن حاضراً وموافقاً على ما سنتوصل إليه فإن التوتر سيستمر». وأصر على حضوري. وبالفعل جاءني الأخ صالح عماش وكانت علاقتي به طيبة. وبعد إلحاحه عليّ وافقت على الذهاب معه إلى الاجتماع، ولدى وصولي وقف مشهور حديثه قائلاً: الآن بحضور الدكتور جورج حبش نستطيع حل الموضوع. عندها انفعل أبو عمار وقال: «أنا معترض، ماذا أفعل أنا هنا؟» عندها تداركت الموقف لئلا يبدو أن ثمة انقساماً في صفوف المقاومة، وقلت نحن قيادة جماعية والقرار يتخذ بموافقة الجميع، والأخ أبو عمار مكانته محفوظة... عندها هدأ عرفات واستكملنا الاجتماع.

أوردت لك هذه الواقعة رداً على سؤالك عن انطباعي عن أبو عمار منذ البداية. وأعتقد أن هذه الخاصية الشخصية ما زالت لديه وربما تضخمت أكثر فأكثر.

■ **حقبة الأردن لا بد من الوقوف أمامها بجرأة وأمانة**

وموضوعية حتى تقولوا ما لكم وما عليكم؟ بداية نتساءل هل كنتم تشعرون بوجود مجموعة من التناقضات التي تتراكم باستمرار مع الحكومة الأردنية؟

ـ نعم كنا نشعر بوجود مثل هذه التناقضات التي يجري أحياناً تكبيرها وتضخيمها، لكن اسمح لي بأن أوضح مسألة أساسية ومهمة جداً تتعلق بالصراع الذي نشب مع الحكومة الأردنية. أعتقد أننا ظُلمنا فيه كثيراً، فنحن لم يكن في واردنا إطلاقاً فتح معركة مزدوجة مع العدو الصهيوني والنظام في الأردن، لأننا كنا ندرك تبعات هذه المعركة المزدوجة، إذ كنا نرى أن معركتنا الأساسية هي مع العدو الصهيوني لا مع النظام، مع انتباهنا إلى التحضيرات والمخططات التي كانت تحوكها لنا قوى عربية معروفة المواقف. وكي أكون أميناً أقول: نحن لم نرفع شعار إسقاط النظام في الأردن إلا بعد معارك أيلول الدامية.

■ **وقعت جولات من الصراع والمعارك خلفت مئات الضحايا من الجانبين قبل أيلول ١٩٧٠، فعلى أي أرضية إذاً نشبت المعارك بين المقاومة والحكومة الأردنية؟**

ـ جولات الصراع التي سبقت أيلول الأسود كانت مفروضة علينا. وكنا في موقع الدفاع عن النفس في معظمها. وعلى ما أذكر أن أولى جولات الصراع بدأت عام ١٩٦٨ عندما وضعت الحكومة الأردنية بعض الوحدات الخاصة في منطقة الكرامة في محاولة للحد من نشاط المقاومة الفلسطينية وحركتها. وكان المقصود من تلك الحركة توجيه رسالة من الحكومة الأردنية إلى المقاومة، مفادها أن السلطة الأردنية موجودة وقوية.

أما الاشتباك الأول فكان في ١٩٦٨/١١/٤ في عمان إذ ادعت الحكومة الأردنية في بيان أصدرته وزارة الداخلية وجود تنظيم مسلح خارج عن القانون يقوده شخص يدعى طاهر دبلان يقوم بتحرشات وأعمال اعتداء على الناس، ولهذا السبب تقوم قوات الأمن بإجراءات أمنية لردع هذه الحركة ومنعها من التطاول على أمن الوطن والمواطنين. وفجأة بدأت قوات البادية بقطع الطرق المؤدية إلى مخيم الوحدات ومحاصرته، وبدأت بإطلاق النار على عموم المخيم وبخاصة مكاتب المنظمات الفلسطينية داخل المخيم مسنودة بقصف مدفعي من منطقة القويسمة.

والحقيقة أنه لم يكن لطاهر دبلان ومجموعاته أي وجود في مخيم الوحدات. وهو في الأساس رجل في موقع غير معروف. والمستغرب أن حركة «فتح» أصدرت بياناً تؤيد فيه بيان وزارة الداخلية، واعتبرت أن العمل الذي تقوم به السلطة الأردنية عمل مشروع. ولهذا لم تشارك «فتح» في هذه المعركة ولم تدافع عن مخيم الوحدات. وهكذا تحملت الجبهة (الشعبية) مسؤولية مواجهة القوات المهاجمة على رغم تواضع إمكاناتها العسكرية في مخيم الوحدات.

في ذلك الوقت كنا نرى أن هدف المعارك الأساسي هو ضرب النشاطات الجماهيرية المتصاعدة في تشكيل تنظيمات الميليشيا الشعبية. والحقيقة أن الجماهير التي خرجت للتصدي للقوات المهاجمة هي التي حسمت المعركة ونجحت في منع دخول القوات المهاجمة إلى المخيم. وفي اليوم نفسه تعرضت سيارة تابعة للجبهة لكمين في منطقة جسر المحطة، وهي منطقة تقع خارج دائرة الاشتباكات، أدّى إلى استشهاد ثلاثة من رفاقنا، منهم الملازم رفيق سرور (عبد السلام).

أما الجولة الثانية من الصراع فكانت في تاريخ ١٩٧٠/٢/١٠ بعد إعلان الحكومة الأردنية بياناً رسمياً، يقيّد تنقلات المقاومة ويحدّ من وجودها داخل المدن من دون البحث في ذلك البيان مع المقاومة. ونشبت المعركة في منطقة جبل التاج، وكانت بدايتها عندما توجه عدد من رجال الأمن الأردني مع سيارات مسلحة ودهموا مكاتب «فتح» و«الصاعقة» والجبهة وتحولت عملية الدهم إلى اشتباك مسلح تبعته عمليات استفزازية في أكثر من موقع، وعمليات لسحب السلاح. واستشهد في تلك الحوادث في مكمن رفيقانا شحادة العجرمي و«أبو طلعت».

وبعد توقف الاشتباكات، طالبت الحكومة الأردنية بإجراء محادثات لتطبيق بيانها، وجرى الاتفاق لاحقاً على بعض القضايا الإجرائية لمنع حدوث أي اشتباك أو السيطرة عليه إذا وقع. ونظرنا نحن إلى الاتفاق مع الحكومة الأردنية التي كان يرأسها بهجت التلهوني على أنه اتفاق إجرائي، لأن الحكومة الأردنية لم تكن صاحبة قرار، وأن الجهات المقررة في الأردن لديها نيات تصعيد واضحة باتجاه الاشتباك مع المقاومة. وتزامن ذلك مع حصول عمليات تحريض واسعة داخل المؤسسة العسكرية والأمنية وفي الإطار العشائري.

عند هذه النقطة بدا من الواضح أن الحكومة الأردنية تعمل لحسم مسألة ازدواجية السلطة التي تمثلت بسلطة المقاومة الشعبية، وسلطة الحكومة الأمنية والعسكرية. وبدا ذلك واضحاً من خلال أحداث السابع من حزيران/يونيو ١٩٧٠، التي كانت أكثر اتساعاً وشمولاً من أحداث شباط/فبراير. إذ من دون مقدمات بدأ قصف مدفعي شديد من منطقة سحاب والقويسمة والإذاعة على مخيم الوحدات. وهنا اندفع الناس لمواجهة المعركة اعتقاداً منهم أن معركة الحسم قد

بدأت مع السلطة. وبعد اندلاع المعارك اجتمعت قيادة الجبهة وقررت اقتحام فندقي «فيلادلفيا» والأردن «انتركونتيننتال» واحتجاز رهائن في داخلهما. وركزنا في الوقت نفسه مدفعية في كل من الأشرفية والجوفة في مواجهة قوات الحراسة التابعة للقصور الملكية على رغم التواضع الشديد لإمكانات سلاح المدفعية لدينا.

▪ في سياق حديثكم عن احتلال فندقي «فيلادلفيا» و«إنتركونتيننتال» ماذا تذكرون عن تلك الحادثة وهل كانت في موقعها الصحيح؟

ـ بالنسبة إلى عمليات احتلال الفنادق واحتجاز رهائن داخلها، كان خيارنا في تلك اللحظة خياراً صعباً جداً، نظراً إلى طبيعة الهجمة الشرسة التي كانت تتعرض لها ثورتنا ومخيماتنا وجماهيرنا في الأردن. وكان لا بد من إيجاد الوسيلة الناجعة للضغط على السلطات الأردنية وإجبارها على وقف هجومها. وبالفعل نجحنا في ما كنا نهدف إليه.

وأذكر أنني بعدما وصلت إلى فندق «انتركونتيننتال» في الخامسة والنصف صباحاً التقيت الرهائن والصحافيين الموجودين فيه، وشرحت لهم الأبعاد والملابسات للعملية التي اضطررنا إلى القيام بها. وطلبت منهم أن يتفهموا واقعنا ودوافعنا، ومما قلته في ذلك اللقاء: «ربما كان من الصعب عليكم تفهم وجهة نظرنا، فالناس الذين يعيشون ظروفاً مختلفة يفكرون بطرق مختلفة، ولا يمكن أن يفكروا بالطريقة نفسها التي نفكر بها نحن. فالشعب الفلسطيني عاش لسنوات عدة ظروفاً حددت طريقة تفكيره وهذ أمر لا نستطيع أن نفعل أي شيء حياله.

إن بإمكانكم فهم طريقة تفكيرنا إذا عرفتم حقيقة أساسية، فنحن، الشعب الفلسطيني، نعيش منذ ٢٢ عاماً ـ وهي الأعوام الـ ٢٢ الأخيرة ـ في المخيمات. لقد طردنا من بلادنا ومنازلنا وأراضينا لنعيش هنا في مخيمات اللاجئين في ظل ظروف شديدة القسوة. ومنذ ٢٢ عاماً وشعبنا ينتظر استعادة حقوقه، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل.

منذ بدأت ثورتنا قبل ثلاث سنوات جرت محاولات عدة للقضاء عليها. وقامت المنظمات الفدائية بعد ٥ حزيران/يونيو، وهو تاريخ معروف جيداً لكم، وانطلقت وأنظارها متجهة نحو الأراضي المحتلة. لكن، عندما سارت الثورة راحت قوى عدة من أعدائنا تضع الخطط لتهزم هذه الثورة. أميركا تقف ضدنا، نحن نعرف ذلك جيداً ونشعر به جيداً. شعرنا به من خلال مساعدات «الفانتوم» في العام الماضي، أميركا ضد ثورتنا وهي تعمل على سحقها.

وهنا شعرنا بأن لنا كل الحق في الوجود لحماية ثورتنا. تذكرنا كل مآسي شعبنا وكل الظلم. تذكرنا شعبنا والأوضاع التي يعيشها والبرودة التي ينظر بها الرأي العام إلى قضيتنا.

وشعرنا بأننا لا يمكن أن نسمح لهم بسحقنا. إننا سندافع عن أنفسنا وعن ثورتنا بكل وسيلة، وكل ما يحمي ثورتنا حق. هذا هو خط تفكيرنا، ولهذا وضعنا خططاً مضادة مصممين على النصر.

وكان أحد بنود هذه الخطة، أنتم، أي ما حصل هنا، شعرنا بأن لنا الحق كله في الضغط على النظام وعلى أميركا والقوى كافة. وأن هذا الضغط ورقة رابحة بأيدينا. إنني أحدثكم بكل صراحة ويجب أن أقول لكم بكل صراحة أيضاً إننا كنا مصممين ولم نكن نمزح.

إنني أعرف طريقة التفكير الليبيرالي، وأعرفها جيداً، أعرف كم هو صعب إقناعكم. أعرف أن بعضكم يقول لنفسه الآن: وما علاقتي بكل هذه الأوضاع؟ إن هذا غير عادل وفظ وأناني. لا بأس. إن الظروف التي يعيشها الناس تحدد طريقة تفكيرهم وشريعتهم الأخلاقية. حاولنا جهدنا، وآمل أن نكون نجحنا في ذلك، أن نكون عاملناكم أفضل معاملة ممكنة خلال إقامتكم في الفندق تحت إشراف الجبهة. إنها المرة الأولى التي ندير فيها فندقاً. وإنني واثق بأن رجالنا مقاتلون ممتازون لكنني لا أعرف إلى أي مدى أتقنوا إدارة الفندق. كانت التعليمات واضحة جداً، وآمل أن يكونوا نجحوا في ذلك».

▪ ما هي قصة خطف الطائرات الغربية وإنزالها في «مطار الثورة» في الأراضي الأردنية؟

ـ عملية خطف الطائرات الغربية إلى الأردن كانت عملية ضرورية جداً بالنسبة إلينا واستغرق الإعداد لها نحو ستة أشهر. كان هدفها الوحيد هو مقايضة الرهائن الإسرائيليين بالإفراج عن المعتقلين في سجون العدو، ولم يكن هذا العمل موجهاً ضد السلطة الأردنية أو غيرها من الحكومات الأوروبية.

أثناء عملية التخطيط كان يهمنا أن تهبط الطائرات في مكان آمن نستطيع الدفاع عنه، وفي الوقت نفسه أن يكون هذا المكان صالحاً لهبوط الطائرات، إذ بالطبع لا يمكن أن ننزل الطائرات في المطارات الحكومية سواء العسكرية أو المدنية. وكان المخطط أن نخطف ثلاث طائرات، طائرة إسرائيلية، وطائرة اميركية، وطائرة سويسرية، وبالفعل وصلت ثلاث طائرات إلى المطار لكن لم تكن بينها الطائرة الإسرائيلية، لأنه عندما خطفت الطائرة الإسرائيلية من مطار أمستردام، وقع اشتباك داخل الطائرة التي خطفتها الرفيقة ليلى

خالد ورفيق من الأورغواي استشهد أثناء الاشتباك، فيما قبضت الشرطة البريطانية على الرفيقة ليلى خالد. وقد وصلت في البداية الطائرة السويسرية ثم الأميركية. وبعد مرور ١٨ ساعة وصلت طائرة ثالثة تطلب النزول وقد التقطنا طلبها عبر اجهزة الطائرات الجاثمة في منطقة صحراوية كان يطلق عليها اسم «قيعان خنا»، وهي منطقة منخفضة ذات تربة صلبة تتحمل هبوط الطائرات، واختير المكان بعدما استشرنا أحد المهندسين المتخصصين في هذه المسألة، والطائرة الثالثة كانت بريطانية قادمة من أبو ظبي وعلى متنها أحد رفاقنا يطلب اتخاذ الإجراءات اللازمة لنزول الطائرة، كان ذلك يوم ١٩٧٠/٩/٦ أي قبل حدوث الاشتباكات الدامية مع الحكومة الأردنية.

■ كيف تصرفتم مع ركاب الطائرات؟

ـ في البداية أطلقنا النساء والأطفال والمسنين وأوصلناهم إلى عمان ومن هناك نقلتهم طائرات إلى بلدانهم. وبعد ذلك قمنا بعملية فرز لبقية الركاب فأطلقنا بعض الركاب من بعض الجنسيات التي تتخذ حكوماتها موقفاً معادياً لقضيتنا، والباقون كانوا مواطنين يحملون جنسيات مزدوجة. بعد الفرز والتدقيق تبين أن هناك إسرائيليين على الطائرات (لكنهم كانوا يحملون جنسيات مزدوجة)، وقد عرفنا ذلك عندما اكتشف أحد الرفاق مجموعة من جوازات السفر الإسرائيلية ملقاة في سلة المهملات. كان عددهم ١٥ إسرائيلياً وكانوا في الطائرات التي أتت من أوروبا، أما الطائرة التي أتت من أبو ظبي فكانت تقلّ بعض الجنود الأميركيين القادمين من الفيليبين وتايلاند وكوريا. وقررنا بعد ذلك الاحتفاظ بالإسرائيليين في منطقة بعيدة عن مكان وجود الطائرات.

في هذه الأثناء وصل مبعوث من وزير الدفاع العراقي صالح مهدي عماش، حاملاً برقية منه تطالبنا بإطلاق سراح الرهائن، بالطبع نحن لم نستجب طلبه، وطلبنا من اللجنة الدولية للصليب الأحمر التدخل من أجل إطلاق المعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، كما أرسل أبو عمار وفوداً سياسية ضم أحدها حامد أبو ستة عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، طالباً إطلاق الطائرات والرهائن لأن المنظمة بدأت تتعرض لضغوط سياسية كبيرة. كذلك أرسلت «فتح» مجموعات مسلحة تحت ستار زيارة الطائرات (لأننا كنا سمحنا للمواطنين بزيارة الطائرات في أوقات محددة) وقد حاولت إحدى هذه المجموعات الاستيلاء على الطائرات من الداخل، لذلك منعنا أي شخص مسلح من الصعود إليها.

■ كم يوماً استمرت عملية خطف الطائرات؟

ـ احتجزنا الرهائن والطائرات إلى ١٩٧٠/٩/١٣ أي لمدة أسبوع بعدما اتخذنا قراراً بنسف الطائرات، ونقل الرهائن إلى عمان لاستكمال الاتصالات والمفاوضات مع الجهات الدولية المعنية، ويوم ١٦ أيلول/سبتمبر اندلعت المعارك مع الحكومة الأردنية فازدادت عملية حماية الرهائن صعوبة يوماً بعد يوم.

في هذه الأثناء اتصلت بنا السفارة المصرية في عمان وقالت إن الرئيس جمال عبد الناصر يتمنى عليكم إنهاء موضوع الرهائن، على أن تتولى الحكومة المصرية عمليات نقلهم، ومتابعة المطالب التي أعلنّاها. وافقنا على طلب الحكومة المصرية لأن قضية الرهائن لم تعد تحتل مكاناً مهماً بالقياس إلى ما هو حاصل من معارك ومجازر ولأن مصير الثورة ووجودنا أهم بكثير من الرهائن. وهكذا أنهيت

العملية من دون أن تحقق الهدف الأساسي منها وهو إطلاق المعتقلين في سجون الاحتلال.

■ **هل كان لوديع حداد دور في هذه العملية؟**

ـ بالطبع كان لوديع حداد دور أساسي، فهو كان المشرف الأول على العمليات الخاصة، لكن تنفيذ العملية تم بقرار سياسي من الجبهة. في المناسبة كان وديع حداد موجوداً في منطقة خطف الطائرات لكنه غادر المكان قبل أيلول/سبتمبر بأيام معدودة إلى مكان آخر وتسلم الرهائن عقيد مصري اسمه إبراهيم الدخاخنة (سامي).

■ **ألا تعتقد أن عمليات خطف الطائرات أضرت بالقضية الفلسطينية ورسمت لكم صورة إرهابية في العقل الغربي؟**

ـ الهدف الأساسي من خطف الطائرات هو محاولتنا إبراز القضية الفلسطينية لدى الرأي العام الغربي، لأن القضية الفلسطينية، خلال فترة ليست بالقصيرة، لم تكن واردة أو معروفة بشكل واضح للغرب عموماً، وذلك بحكم سيطرة الحركة الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية. وكان لا بد من كسر هذا الاحتكار عبر لفت الأنظار إلى القضية الفلسطينية. وهذا موضوع قديم. أذكر أن بعض أساتذتنا في الجامعة الأميركية لفتوا انتباهنا إليه وطالبونا بعمل شيء لتنبيه الرأي العام الغربي خصوصاً داخل الولايات المتحدة الأميركية. وفكّرنا في أشياء كثيرة كان من ضمنها موضوع خطف الطائرات. كنا مدركين منذ البداية أن عمليات خطف الطائرات لا تشكل عنوان مواجهة مع إسرائيل وأداة ضغط على الغرب بل وسيلة إبراز القضية الفلسطينية، لذلك عندما استنفدت هذه الوسائل أغراضها وأدت وظيفتها، قررنا وقف هذا النمط من العمليات. وكان هذا

القرار الذي اتخذ في المؤتمر الوطني الثالث للجبهة موضع خلاف مع رفيقنا وديع حداد الذي استمر في هذا النهج بعد ذلك.

■ في حقبة الأردن هل كان موضوع تبنّي الماركسية اللينينية مطروحاً جدياً داخل صفوف «الجبهة الشعبية»؟

ـ نعم كان موضوع الماركسية والموقف منها موضوعاً مهماً، شغل جانباً لا بأس به من حياة القوى السياسية الفلسطينية والعربية. وأذكر أنني كتبت في تلك الفترة الاستراتيجية السياسية والتنظيمية التي تضمنت موقفنا من الماركسية. وجوهر هذه الوثيقة أننا نسترشد بالماركسية منهجاً وأداة تحليل من دون الاستغراق الكلي في تفاصيل القضايا الماركسية اللينينية التي كانت تخص تفاصيل التجربة الروسية وبعض التجارب الأوروبية.

نظرنا إلى الماركسية باعتبارها نظرية علمية نسترشد بها، لكن هذا الاسترشاد مرهون بكيفية فهم النظرية وتالياً القدرة على تطبيقها على واقع معين ومرحلة معينة. فجوهر الماركسية هو المنهج التي تمثله في رؤية القضايا وتحليلها وتحديد اتجاه حركتها. وبالتالي فإن فهمي للماركسية كان يقوم منذ الستينيات على أساس أنها دليل عمل مرتبط بعلاقة جدلية بالممارسة التي تغني النظرية وتجعلها في حالة نمو وارتقاء، لا في حالة جامدة. وعلى هذا الأساس فإن الالتزام بالماركسية لا يقدم ولا يؤخر ما لم ينتج من هذا الالتزام استعمال هذه النظرية، وتطبيقها في فهم الواقع، واستخراج استراتيجية العمل التي تحدد طبيعة المرحلة وطبيعة المعركة، وتحديد القوى المتصارعة ورؤية هذا الصراع والإحاطة بالظروف الموضوعية التي تتحرك من خلالها. بهذا المعنى كنت أفهم الماركسية.

وأنا، كما تعرف، مطّلع على قضايا الفلسفة الماركسية وربما كانت فترة الاعتقال في سورية عام ١٩٦٨ من أغزر الفترات التي قرأت فيها الماركسية، وكان الكتاب الأهم الذي قرأته في كركون الشيخ حسن (اسم السجن) كتاب أنغلز «ضد دوهرينغ».

■ ما هي حقيقة موقف عبد الناصر من النزاع المسلح الذي نشب بين حركة المقاومة والحكومة الأردنية في العام ١٩٧٠؟

ـ توترت علاقتنا بعبد الناصر بعد قبوله مبادرة روجرز. رأينا في قبوله هذه المبادرة نوعاً من الدخول في مساومة مع الولايات المتحدة الأميركية، وبالتالي فإن هذا الموقف يضعف عملية المواجهة مع العدو ويؤثر في مسيرة الثورة واندفاع الجماهير التي كان لعبد الناصر تأثير كبير عليها.

ولم نكن ندرك أن قبول عبد الناصر مبادرة روجرز هو نوع من القبول التكتيكي الذي يستجيب لجملة الظروف السائدة في المنطقة إقليمياً ودولياً، إضافة إلى وضع مصر الداخلي حيث كان عبد الناصر يقوم بعملية إعادة بناء شاملة للجيش على يد السوفيات وبدعم كامل منهم. وأن هذه العملية تملي عليه التعاطي مع مبادرة روجرز إلى أن ينجز عملية بناء الجيش، لخوض المعركة مع إسرائيل.

لم يكن يرغب في استباق الأحداث. لكننا لم نكن نملك، للأسف، هذه الرؤية. لذلك هاجمنا نحن عبد الناصر على رغم أنه كان يساند الثورة في الأردن، فاتخذ بالتالي موقفاً حذراً منا، لكنه لم يكن بالطبع واقفاً إلى جوار النظام في الأردن بقدر ما كان يسعى إلى إزالة أي توتر بيننا وبين الحكومة الأردنية.

■ هل نظرتم إلى اتفاقية القاهرة التي وقعت في ١٩٦٩ بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية على أنها عملية تمهيد لنقل المقاومة بطريقة أو بأخرى من الأردن إلى لبنان؟

ـ لم نكن ننظر إلى تلك الاتفاقية باعتبارها خطوة تمهيدية لترحيل المقاومة من عمان إلى بيروت. كنا نتصور أن الثورة في الأردن ستستمر، ولم نكن نفكر في أن هناك مشروعاً لاقتلاعنا من الأردن. وبالتالي نظرنا إلى اتفاقية القاهرة باعتبارها نوعاً من تنظيم العلاقة بين المقاومة المسلحة الموجودة في لبنان والحكومة اللبنانية، ليس إلا.

■ بعد معارك أيلول دخل متغيران مهمان الساحة العربية: الأول تمثل بوفاة عبد الناصر وتسلم السادات الحكم، وقيامه بحركة أيار/مايو التي صفّى من خلالها التركة الناصرية، وكذلك تسلم الرئيس الأسد مقاليد الحكم في سورية، كيف تعاطيتم مع هذين المتغيرين؟

ـ في ما يخص العلاقة مع الرئيس السادات كان لدينا سلفاً قبل وفاة عبد الناصر تقويم خاص له. كان يمثل أحد رموز اليمين في تركيبة النظام الناصري. وكانت رؤيتنا بعد تسلم السادات تقول إنه سيقود مصر في هذا الاتجاه وبالتالي لم تكن لنا أي علاقة مع نظامه.

أما عن الساحة السورية وتسلم الرئيس الأسد مقاليد الحكم في نهاية العام ١٩٧٠، فقد حاولت بجدية نسج علاقة معه، لذلك أرسلت إليه رسالة خاصة عبّرت فيها عن رغبتي في توثيق العلاقة مع سورية ومعه شخصياً. لكنني لم أتلق ويا للأسف أي رد على رسالتي تلك إلى الرئيس الأسد. وعموماً نحن في «الجبهة الشعبية» كانت علاقتنا

محصورة في تلك الفترة بالعلاقة مع اليمن الديموقراطي والعراق. وما عدا ذلك لم تكن لدينا علاقة مع أي نظام عربي، حتى تلك الأنظمة التي كانت تقف في الصف الوطني والقومي ومنها النظامان في ليبيا والجزائر.

■ بعد الخروج من الأردن كيف كانت علاقتكم مع أبو عمار؟

ـ للتاريخ فإن علاقتي مع أبو عمار بعد الخروج من الأردن كانت جيدة جداً، وعملنا معاً على إعادة بناء الثورة وتثبيت جسم المقاومة على أرض الواقع. لكن سرعان ما انهار شهر العسل بيني وبينه بعد حرب تشرين التي قلنا عنها منذ البداية إنها حرب تحريكية وليست حرباً تحريرية. لماذا؟ لأننا كنا ندرك الأفق الذي خيضت فيه المعركة، والتحولات السياسية والاجتماعية التي أحدثها السادات في حياة مصر.

بدأ الخلاف مع أبو عمار عندما أراد التحرك باتجاه التسوية السياسية على أساس أن حرب تشرين أفرزت حالة من النهوض العربي، وبالتالي لا بد من استثمار هذه الحال، إلى درجة أنه صور أن الثورة الفلسطينية شاركت في تلك الحرب كطرف رئيسي مع الطرفين المصري والسوري، مع أننا في الثورة الفلسطينية، لم نشارك مباشرة في تلك المعركة، وعلى أساس هذا التصور قطف ثمرة من ثمار حرب تشرين، خصوصاً بعدما بدأت الأطراف العربية الدخول في مشروع الخطوة خطوة وعمليات فصل القوات.

وهنا يبرز جانب مهم من عقلية أبو عمار وسلوكه السياسي، فهو يريد استثمار أي حدث سياسي بغض النظر عن واقع موازين القوى

وحقائق الواقع، وعلى هذا الأساس أفهمه، فهو يحدد موقفه على أساس مصلحته الشخصية والذاتية والطبقية لا على أساس المصلحة الوطنية، وهذا ما حصل معه في مدريد ولاحقاً في أوسلو والقاهرة.

■ بعد حرب تشرين طرحت النقاط العشر التي وافقتم عليها في المجلس الوطني الثالث عشر، وبعد فترة قصيرة أعلنتم رفضكم إياها، واعترضتم لاحقاً على البرنامج المرحلي وأسستم جبهة الرفض، ما هي ملابسات هذا الموضوع؟

- نحن وافقنا على النقاط العشر في المجلس الوطني، وأعتقد أن شخصاً واحداً اعترض عليها في المجلس الوطني هو الرفيق ناجي علوش. وافقنا على النقاط العشر لكننا اكتشفنا بعد ذلك بوقت قصير أن أبو عمار يريد أن يجعل منها أرضية لتحريك نهجه السياسي باتجاه آخر مختلف تماماً عنها. وتكشّف لنا هذا الاتجاه عندما علمنا بوجود مفاوضات سرية بين أبو عمار وهنري كيسينجر عبر وسيط ثالث، لذلك أعلنّا رفضنا النقاط العشر، وخرجنا من اللجنة التنفيذية بعد شهرين من اجتماع المجلس الوطني الذي أقرت فيه النقاط.

كنا بالفعل صادقين في تأييدنا للنقاط العشر، وأذكر أن الرفيق تيسير قبعة وقف في المجلس الوطني وأعلن أن الجبهة توافق على دولة فلسطينية على «الجفتلك»! وهذا لا يعني أننا في «الجبهة» نقبل بأي إنجاز وطني على طريق الاستقلال واستعادة الحقوق الوطنية، شرط أن تكون موازين القوى تسمح بذلك. وحين شكلنا جبهة الرفض كان هذا الاعتبار، أي اعتبار موازين القوى، أحد الأسس التي

قامت عليها. وثاني هذه الاعتبارات أن فهمنا للهدف المرحلي لا يعني بأي شكلٍ من الأشكال أننا تخلينا عن الهدف الاستراتيجي، وهو عودة كل شبر من فلسطين إلى أصحابها، وعودة كل مواطن فلسطيني إلى دياره.

أنا جورج حبش مواطن فلسطيني من مدينة اللد، لا يمكن أن أقبل، بأي شكل من الأشكال، بألا تكون أرضي وأرض أجدادي لي ولأبنائي ولأحفادي. قد تقول لي ما هذا الكلام يا حكيم، إن ما تطالب به هو كلام غير ممكن التحقيق في ضوء الواقع والمعطيات، وإن ما تطرحه تفكير غير علمي، هناك في فلسطين الآن خمسة ملايين يهودي يستندون إلى القنبلة النووية وأسلحة الدمار الشامل، فكيف لك أن تطرد هؤلاء من فلسطين وتفكك دولة إسرائيل؟

جوابي في هذه الحالة أننا، عرباً وفلسطينيين، لم نكن في يوم من الأيام ضد اليهود أو اليهودية، نحن ضد المشروع الصهيوني الذي يمثل خطراً تاريخياً على الأمة العربية. أذكر أن أحد الصحافيين سألني قائلاً: هناك أربعة ملايين يهودي في فلسطين وأنت تطالب بتطبيق حق العودة لأربعة ملايين فلسطيني في الشتات والمهاجر، وأضاف: إن بيتك في اللد ما زال قائماً وتسكن فيه عائلة يهودية هاجرت من رومانيا فأين ستذهب بهم؟

كان جوابي: أنا لن أطردهم من بيتي بل سأبني طبقة ثانية فوق بيتي وأسكنهم فيها. هذه هي رؤيتي. نحن لم نعادِ اليهود كيهود وأنت تعرف أن اليهود تاريخياً يعيشون بيننا منذ القدم، وهم حتى قيام المشروع الصهيوني كانوا يعيشون عيشاً طبيعياً في الوطن العربي،

سواء في اليمن أو مصر أو العراق أو سورية أو المغرب.

■ **بصراحة، هل كنتم في القيادة الفلسطينية تتصورون أن وجودكم في لبنان سيفجر التناقضات في ذلك البلد على صورة حرب أهلية واحتراب لبناني ـ فلسطيني؟**

ـ نعم كنا نتوقع ذلك. وأنا شخصياً لم تكن تغيب عن ذهني استهدافات إسرائيل وأميركا وعموم التحالفات المحلية الرجعية التي كانت ترى في نمو ظاهرة الثورة الفلسطينية خطراً داهماً لا بد من سحقه. أما بخصوص الحرب الأهلية والصراع اللبناني، فلا يمكن أي شخص أن يغفل التناقضات الحادة التي كانت قائمة بين الحركة الوطنية اللبنانية، والسلطة اللبنانية والتحالفات المحيطة بها، وبالذات المؤسسة السياسية المارونية، وبعض الأطراف الأخرى. وكانت هذه التناقضات تملي علينا الوقوف إلى جانب الحركة الوطنية اللبنانية لاعتبارات عدة، إلا أننا ورفاقنا في الحركة الوطنية وجدنا أنفسنا في دوامة الصراع الذي لم نكن نرغب في أن يأخذ هذا المنحى الذي أخذه، أي أن يكون الصراع فلسطينياً ـ لبنانياً وإسلامياً ـ مسيحياً. كان هذا الشكل من الصراع خطأ كبيراً لم نستطع السيطرة عليه.

■ **ألم يكن ممكناً تفادي الحرب الأهلية في لبنان؟**

ـ لا أعتقد ذلك. لماذا؟ لأني أعتقد أن هناك مخططاً مرسوماً من القوى المعادية للثورة لضربها وتصفية الحركة الوطنية اللبنانية.

■ **بعد اندلاع الحرب الأهلية بسنتين بدأت موازين القوى بالاختلال لمصلحة الحركة الوطنية اللبنانية، هل كانت لدى القيادة الفلسطينية رؤية لتغيير النظام السياسي في لبنان؟**

ـ بالنسبة إلى ياسر عرفات لم يكن خيار استبدال النظام السياسي في لبنان وارداً في حساباته السياسية لأنه كان يركز على العامل الفلسطيني. أما بالنسبة إلينا في الجبهة الشعبية والكثير من القوى الوطنية اللبنانية، فإن هذا الهدف كان قائماً إذا تمكنّا من ذلك. لماذا؟ لأن استبدال النظام السياسي وإلغاء البنية الطائفية في لبنان آنذاك كانا سيغيران طبيعة المعركة، وتصبح المعركة مع إسرائيل ذات طابع قومي أشمل عندما يتحول النظام السياسي في لبنان إلى نظام وطني قومي ديموقراطي، يشارك في المعركة.

■ **في الذاكرة الفلسطينية الكثير من المحطات المؤلمة والجروح النازفة، كان أبرزها في محطة لبنان سقوط مخيم تل الزعتر الذي حمل سقوطه متغيرات كبيرة على صعيد الصراع الدائر في لبنان. ما هي طبيعة الانطباع الوجداني والسياسي الذي تركه سقوط تل الزعتر؟**

ـ الحقيقة أن مجازر تل الزعتر وحملات الإبادة التي تعرض لها الناس فيه ولّدت لديّ ألماً كبيراً جداً، خصوصاً على الصعيد الإنساني والأخلاقي العام، فلم أكن أتصور أن يصل الانحطاط الأخلاقي والانساني إلى هذه الدرجة من الإجرام والفاشية، كما كان لاستشهاد الرفيق أبو أمل (محمد الخطيب) عضو اللجنة المركزية للجبهة أثر كبير في نفسي، لأن هذا الرفيق كانت له صفات خاصة، فهو مقاتل ومناضل من عائلة فقيرة، بدأ العمل منذ الستينيات مع الرفيق وديع حداد.

أما على الصعيد السياسي العام، فقد كان سقوط تل الزعتر يعني أننا دخلنا في معركة كبيرة تهدف إلى تصفية المقاومة الفلسطينية في لبنان. وتجلى هذا الموضوع في اغتيال القائد العربي الكبير كمال

جنبلاط إذ كانت عملية اغتياله تحمل الكثير من الدلائل السياسية، لأن كمال جنبلاط كان قائداً لبنانياً وقائداً عربياً كبيراً، وكان الوحيد القادر على قيادة لبنان العربي المنشود.

واستمرت عملية تصفية المقاومة والحركة الوطنية في لبنان بعد سقوط تل الزعتر ولم يوقفها سوى زيارة السادات القدس التي أحدثت متغيرات كبيرة في المنطقة ودفعت بعض القوى إلى إعادة النظر في حساباتها السياسية، فكان أن دخلت الحرب في لبنان منحى آخر مع استمرار الجوهر وتبدل التحالفات الداخلية والخارجية.

■ ماذا تذكر عن كمال جنبلاط؟

ـ تعرفت إلى الأخ الكبير كمال جنبلاط في العام ١٩٤٩. والحقيقة أن شيئين يميزان كمال جنبلاط: الأول طبيعة شخصيته وما فيها من خصائص استثنائية على صعيد حياته الخاصة. والثاني أنه كان بالفعل قائداً وطنياً لبنانياً كبيراً، وقائداً قومياً، وهو كان معروفاً على الصعيد الدولي ورجلاً صاحب علاقات أممية واسعة. وأهم جانب فيه أنه كان يريد الوصول إلى بناء لبنان الديموقراطي بتوجيه اشتراكي. وهذا ما جعلني أحبه وأحترمه. وكان استشهاده خسارة كبيرة للبنان والثورة الفلسطينية والحركة القومية العربية.

■ في مرحلة لبنان نسجتم علاقات سياسية مع بعض الدول الاشتراكية، لماذا تأخرت علاقاتكم إلى هذه الفترة؟

ـ الحقيقة أن علاقتنا بالدول الاشتراكية لم تكن مبكرة، وهذا يعود إلى تزعمنا جبهة الرفض التي كانت ترى فيها الدول الاشتراكية،

وبالذات موسكو، نوعاً من المواقف المتطرفة، وهذا ما جعل علاقتنا محدودة إذ كان سقف هذه العلاقات محدوداً بالاتصالات بيننا وبينهم على مستوى سفارتهم في بيروت، فيما كانت لأبو عمار و«الجبهة الديموقراطية» معهم علاقات واسعة وتعاون كبير على أكثر من مستوى. كانت لنا علاقات تعمقت بعد زيارة السادات للقدس، تلك الزيارة التي أفرزت تحولات كبيرة. وبدأ نمو تلك العلاقات مع ألمانيا الديموقراطية وامتد بعد ذلك ليشمل كلاً من الاتحاد السوفياتي وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وأخيراً رومانيا.

▪ هل كان لتبنّي «الجبهة الشعبية» الماركسية اللينينية في مؤتمرها الرابع عام ١٩٨١ علاقة بتطوير علاقاتكم مع الدول الاشتراكية؟

ـ لا أعتقد أن لهذا العامل دوراً كبيراً، فالسبب الأكثر أهمية يعود إلى الموقف السياسي.

▪ على أثر العملية الانتحارية التي قادتها دلال المغربي، قامت إسرائيل بعملية اجتياح واسعة للجنوب اللبناني في آذار/مارس ١٩٧٨، أيّ دور للجبهة كان في التصدي لهذا الاجتياح؟

ـ نحن كنا جزءاً من المقاومة التي تصدت للاجتياح الإسرائيلي، وقامت الجبهة بدور متميز في عمليات المواجهة، وبالذات في مدينة صور البطلة حيث كان للرفيق أبو أحمد فؤاد دور مهم وكبير في تلك المعركة.

▪ علاقتكم بالمؤسسة السياسية الفلسطينية (اللجنة التنفيذية) اتسمت بالمد والجزر، إذ غادرتم اللجنة

التنفيذية عام ١٩٧٤ وعدتم إليها في العام ١٩٨١، كيف تفسرون هذا الحراك؟

- كانت مسألة وجودنا داخل اللجنة التنفيذية تقوم على أسس سياسية واضحة ومعروفة للجميع. فنحن اكتشفنا بعد طرح النقاط العشر أن هذه النقاط ليست إلا مقدمة لجر منظمة التحرير إلى مجاهل سياسية خطرة، لذلك انسحبنا من اللجنة التنفيذية بعد شهرين من إقرار النقاط العشر، وبقينا على هذا الوضع حتى العام ١٩٧٩، حين جرى التحضير لعقد مجلس وطني فلسطيني، وكانت اللقاءات بين الفصائل تجري في طرابلس الغرب في ليبيا. وعلى أثر محادثات طويلة توصلت الفصائل مجتمعة إلى ما سمي في حينه بـ «وثيقة طرابلس». هذه الوثيقة هي التي عدلت النقاط السياسية الواردة في النقاط العشر، وذلك من خلال الربط بين المرحلي والاستراتيجي، كذلك جرى التشديد على مسألة عدم الاعتراف بإسرائيل، وعلى الجانب الآخر من وثيقة طرابلس كان الشق التنظيمي.

وعُقد المجلس الوطني الرابع عشر في قاعة اتحاد نقابات العمال في دمشق بحضور كل فصائل المقاومة، وكان من الواضح أن أبو عمار مستعد للقبول بالشق السياسي من وثيقة طرابلس لكنه كان متأزماً ومنزعجاً من الشق التنظيمي، ويسعى إلى التنصل منه لأنه لا يريد عملية إصلاح تنظيمي تحد من سلطته وتكبّل تصرفاته السياسية، تحت شعار فزاعة اليسار ومنعه من السيطرة على مقاليد المنظمة.

وخضنا معركة قاسية مع أبو عمار على هذا الصعيد، غير أن بعض الفصائل الفلسطينية وقف إلى جانبه، للأسف الشديد. واستطاع أبو عمار من خلال هذا الموقف إعادة السيطرة على منظمة التحرير

وإطلاق شعاره الشهير: فليبق القديم على قدمه. وبالفعل لم ندخل نحن إلى اللجنة التنفيذية، إلى أن عُقد المجلس الوطني الخامس عشر في دمشق في ربيع ١٩٨١ وحينها عدنا إلى اللجنة التنفيذية.

■ كان حصار بيروت الامتحان الأصعب للمقاومة الفلسطينية، كيف كان الحكيم يعيش يوميات الحصار؟

ـ بطبيعة الحال كنت في بيروت عندما بدأت المعارك وكنت أمارس مهماتي الداخلية والخارجية. وكان لدي عشية الاجتياح مشروع لتوحيد القوى الديموقراطية في الساحة الفلسطينية لمواجهة العدوان الإسرائيلي المتوقع، والمخططات المرسومة لتصفية المقاومة. لكن حتى أكون صريحاً معك لم نكن نتوقع أن تأتي الضربة الكبرى من إسرائيل مباشرة. كنا نعتقد أن الضربة المباشرة ستقوم بها الرجعية اللبنانية ممثلة بالجبهة اللبنانية ووحدات عسكرية نظامية. وتم تشخيص ذلك في مقررات المؤتمر الرابع للجبهة. وكان في ذهني باستمرار وجود مخطط لضرب المقاومة، وكان حجم هذا المخطط قائماً على اعتبار الرجعية اللبنانية أداته بالدرجة الأولى، ثم إسرائيل التي قد تكون حدود عدوانها الجنوب اللبناني فقط.

■ كيف تقوّم أداء المقاومة في اجتياح ١٩٨٢ بأمانة وصدق؟

ـ سأجيب عن سؤالك بمنتهى الصدق والمسؤولية: أداء المقاومة في مواجهة الاجتياح كان متفاوتاً. كان بائساً بمظهره الرئيسي في الجنوب وأقصد صور وصيدا، على رغم المواقف المشرفة التي شكلت مظهراً ثانوياً في بعض المواقع مثل النبطية وقلعة الشقيف وأرنون، وخاض خلالها المقاتل الفلسطيني قتالاً بطولياً ومشرفاً،

وكان مثالاً للتضحية والتفاني. لو كانت المقاومة في الجنوب منظمة لتغيرت النتائج بعض الشيء، ولما تشجعت القيادة الإسرائيلية على الاندفاع وتوسيع رقعة الاجتياح باتجاه بيروت والجبل.

وعندما اتضح المخطط الإسرائيلي وحجمه كنت على يقين أنه لا يمكن أن يصمد في مواجهة هذا المخطط إلا إرادة جبارة بكل معنى الكلمة. ولم يكن في ذهني غير قرار الصمود والصمود وتحويل بيروت إلى ستالينغراد ثانية في مواجهة الغزاة. وفي أول اجتماع للقيادة الفلسطينية عقدناه في منتصف حزيران/يونيو قلت: نحن صامدون ومن يرد الصمود فليبق ويقاتل، وكانت الغالبية منسجمة مع هذا الرأي.

خلال حصار بيروت كان أداء الثورة الفلسطينية في القتال أكثر تنظيماً، وقدم المقاتل الفلسطيني على مدار ٨٦ يوماً من الحصار مثلاً رائعاً. دافع المقاتلون عن بيروت المحاصرة دفاعاً مستميتاً في ظل صمت عربي رسمي وهجوم إسرائيلي أطلسي مركّز وكثيف، وعلى رغم قرار الخروج الذي حكمته جملة اعتبارات لبنانية داخلية وعربية وإقليمية، مثّلت معركة بيروت صفحة مشرفة في تاريخ الثورة الفلسطينية والأمة العربية، ولا يمكن أي قائد فلسطيني أن يتجاهل التضحيات الكبيرة والجسيمة التي دفعها الشعبان الفلسطيني واللبناني ثمناً لهذا الصمود.

■ **أثناء فترة الحصار هل تعرضتم لضغوط من الحركة الوطنية اللبنانية للخروج من بيروت؟**

– في البداية كان قرار الجميع الصمود، لكن مع مرور الوقت واشتداد الحصار، وتطبيق إسرائيل سياسة الأرض المحروقة، وشلّ كل

مرافق الحياة بدأنا جميعاً نقوّم المرحلة وندرس إمكان الصمود ومدى نجاعته. وعلى أثر تقويمنا المشترك بدأت أقتنع بأن لا ضرورة للعناد والدخول في مواجهة انتحارية، خصوصاً أن الموضوع لم يعد موضوع المقاومة والحركة الوطنية، بل أصبح موضوع الجماهير اللبنانية وشعاره تجنيبها المزيد من الضربات والخسائر، لأني بتّ مدركاً أن شعار تحويل بيروت ستالينغراد أخرى مستحيل.

▪ **عندما كان أبو عمار يفاوض فيليب حبيب عبر رئيس الحكومة اللبنانية شفيق الوزان وبعض الشخصيات اللبنانية هل كان يطلعكم على تفاصيل هذه المفاوضات؟**

ـ يصف أبو عمار نفسه دائماً بأنه إنسان ديموقراطي لكنه لم يكن كذلك، فهو لم يكن يطلعنا على تفاصيل مفاوضاته بالكامل مع فيليب حبيب، لذلك عليك أن تستمع لأبي عمار ثم تقوم أنت باستنتاج ما يريده أو ما يعرفه.

▪ **قرار الخروج من بيروت، كيف تبلور؟ من اتخذه؟ ومن عارضه؟**

ـ الغالبية الساحقة من قيادة المقاومة شاركت في اتخاذ قرار الخروج وأنا واحد منهم.

▪ **لكن كيف تبلور قرار الخروج؟**

ـ الواقع ذاته هو الذي بلور قرار الخروج من بيروت، خصوصاً بعد اشتداد الحصار إذ اصبح لا بد من أخذ حالة الجماهير اللبنانية في الاعتبار وكذلك موقف الحركة الوطنية اللبنانية.

■ ومن عارض قرار الخروج من بيروت؟

ـ أعتقد أن هناك بعض القيادات التي عارضت الخروج سواء داخل منظمة التحرير أو داخل كل فصيل، وعلى صعيد الجبهة كان الرفيق أبو ماهر اليماني من معارضي الخروج، إضافة إلى خمسة أعضاء من اللجنة المركزية للجبهة.

■ بعد اتخاذ القرار بالخروج لماذا اختار الحكيم دمشق وليس تونس؟

ـ بالطبع اخترت الذهاب إلى دمشق لأنني مدرك أنني أستطيع عبرها الاستمرار في ممارسة الكفاح المسلح، وإعادة بناء الجسم العسكري للجبهة، وكذلك أستطيع المشاركة بفاعلية في أعمال المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي للبنان. كل ذلك كان ممكناً من خلال الساحة السورية، لماذا؟ لأن سورية دولة من دول الطوق وكان لها موقف واضح من الاجتياح تجلى برفضها الكلي لنتائجه السياسية والعسكرية، والعمل بجدية لإزالة هذه النتائج عبر دعم الحركة الوطنية اللبنانية وتطويق المشروع الكتائبي الانعزالي ومنع أصحابه من جني ثمار هذا الاجتياح. أما إذا ذهبت إلى تونس فماذا أستطيع أن أفعل من هناك، على بعد آلاف الكيلومترات من فلسطين؟

كانت في ذهني المساومة السياسية التي سيدخل فيها أبو عمار بعد الخروج من بيروت، وذلك بوضعنا جميعاً أمام الأمر الواقع عبر مقولة أنه لم يعد أمامنا سوى القبول بما هو مطروح علينا من مبادرات أميركية لحل القضية الفلسطينية. لأن الصراع مع إسرائيل وفق رؤية أبو عمار لم يعد ممكناً في الواقع بعد خسارة الساحة اللبنانية.

من هنا كان قراري التوجه إلى دمشق والاستمرار في المقاومة ومواجهة نتائج الاجتياح، إذ لا يجوز أن نترك لإسرائيل جني ثمار عدوانها بكل بساطة، وأكدت الوقائع لاحقاً صحة وجهة نظرنا في ضوء الخسائر الكبيرة التي تكبدتها إسرائيل من جراء هجمات المقاومة اللبنانية التي كنا جزءاً رئيسياً منها.

■ ماذا يذكر الحكيم عن الموقف السوفياتي أثناء الاجتياح؟

ـ أذكر أنني التقيت السفير السوفياتي في بيروت، وقوّمنا الوضع العام وأهداف العدوان الإسرائيلي، لكنني لم أكن أراهن على موقف سوفياتي مثل التدخل المباشر في المعارك أو تقديم إسناد عسكري إلينا، لأنني أعرف جيداً حدود الموقف السوفياتي والسقف الذي يمكن أن يصل إليه. وكان الشارع العربي عموماً يسجل موقفاً سلبياً من الموقف السوفياتي في موضوع الاجتياح، وبعض التنظيمات انتقد علانية الموقف السوفياتي ونحن لم نفعل ذلك.

■ بعد الخروج من بيروت أتت حرب الجبل في لبنان، أي دور قامت به «الجبهة الشعبية» في هذه المعارك؟

ـ لا أريد أن أعرض دور الجبهة الفاعل والمهم في حرب الجبل، ويمكنك أن تأخذ الإجابة من الحركة الوطنية اللبنانية وبالذات من الحزب الشيوعي والحزب التقدمي الاشتراكي لأنهما الأكثر دراية بالدور الذي قمنا به في دعم القوى التي ساندتنا في بيروت.

وعموماً كان فهمنا لمعركة الجبل أنها استكمال للمعركة التي لم تنتهِ مع العدو الصهيوني والسلطة اللبنانية بخروجنا من بيروت. وللحق فإن الدور السوري في المعارك كان مسانداً لنا بقوة.

■ أين كنت تقف من أحداث طرابلس الدامية؟

ـ كنت مدركاً هدف أبو عمار من العودة إلى طرابلس، وقوّمت عودته سلباً، وطلبنا منه العودة إلى تونس.

■ لكن لماذا عاد أبو عمار إلى طرابلس؟

ـ أراد أبو عمار من خلال عودته إلى طرابلس القول إن الخيار الذي اتخذه بالذهاب إلى تونس كان صحيحاً، وإن خيارنا بالعودة إلى سورية كان خاطئاً. وكذلك عاد ليؤكد وجوده في لبنان، ويخرب على القوى التي تقاتل الوجود الأطلسي والإسرائيلي هناك.

■ هل تعتقد بأن أبو عمار عاد إلى طرابلس ليكمل عملية سحب قوات «فتح» من لبنان؟

ـ لا أستطيع القول إن هذا كان هدف أبو عمار، وعلى كل الأحوال كانت معارك طرابلس نقطة سوداء في تاريخ الشعب الفلسطيني، وآمل ألا تتكرر في يوم من الأيام، لأن الجميع خرج منها مهزوماً وكان الشعب الفلسطيني الخاسر الكبير.

■ بعد التدخلات والوساطات العربية والدولية غادر أبو عمار طرابلس وتوقف في مصر التي أدّت، إلى جانب الفرنسيين، دوراً مهماً في تأمين خروجه من المدينة. يومها انتقدت زيارة أبو عمار لمصر بشدة. ماذا كانت هذه الخطوة تعكس لك؟

ـ كان واضحاً في ذهني أن أبو عمار حسم خياراته السياسية باتجاه استكمال المخطط المرسوم في ذهنه لإنهاء الكفاح المسلح والسير في نهج كامب ديفيد وإن اختلفت المسميات والتسميات.

■ قاطعتم جلسات المجلس الوطني الذي عقد في عمان في ١٩٨٤ وعدتم إلى المشاركة في المجلس الوطني الذي عقد عام ١٩٨٧ أين كنتم تختلفون مع أبو عمار وعلى ماذا اتفقتم لاحقاً؟

ـ خلافنا مع أبو عمار في مجلس عمّان كان يتمحور حول ضرورة استمرار الثورة والحفاظ على بنية المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني، في سياق خط وطني واضح وسليم، فيما وصل أبو عمار إلى مرحلة عدم القدرة على الاستمرار في مسيرة الثورة، وبالتالي الدخول إلى مسارات مساومة مع كل من مصر والأردن، لأنه بات مقتنعاً بأن لا بد له، بعد مرور عشرين سنة من عمر الثورة الفلسطينية، من الحصول على شيء ما، وهذا يعود إلى عدم إدراكه الدرجة الأولى لطبيعة المشروع الصهيوني وأهدافه الكبرى، والتي لا بد من أن يقابلها مشروع فلسطيني ثوري مقاوم حتى يتسنى للمشروع الثوري تحقيق نوع من التوازن الذي يمهد ويضمن لنا استرجاع حقوقنا.

وعندما عدنا إلى المجلس الوطني في الجزائر عام ١٩٨٧ عدنا على أساس إلغاء وثيقة ١١ شباط/فبراير التي وقعها أبو عمار مع الأردن في ١٩٨٥، وإجراء إصلاحات تنظيمية وديموقراطية داخل هياكل منظمة التحرير. وبالفعل استطعنا أن نحقق نوعاً من التوازن السياسي داخل المنظمة، لكن الثغر التنظيمية ظلت قائمة، إلى أن جاءت الانتفاضة بعد عقد المجلس ببضعة أشهر، فكان أن دخلت الساحة الفلسطينية مرحلة نوعية جديدة.

■ رأى بعضهم أن الانتفاضة شكّلت عملية تصحيح تاريخية لمسار العمل الفلسطيني عبر نقلها زخم المقاومة من الخارج إلى الداخل، ما مدى دقة هذا الاستنتاج؟

ـ الدروس التي أفرزتها الانتفاضة كبيرة وفي مقدمها نقل زخم النضال من الخارج إلى الداخل، وأعتقد بأن الأجيال القادمة عندما تفكر في إدامة الصراع مع المشروع الصهيوني، يجب أن يكون في ذهنها أن ساحة الصراع الأساسية هي الداخل وأن العامل الخارجي لم يعد يتعدى كونه عامل إسناد، لأن مواجهة العدو يجب أن تكون وجهاً لوجه.

ومن الدروس التي أفرزتها الانتفاضة أيضاً المشاركة الشاملة لكل فئات الشعب الفلسطيني في عمليات المواجهة مع الاحتلال، من الشيوخ إلى النساء إلى الأطفال. وأودّ أن أذكر هنا الدور المتميز الذي أداه الفتيان في تصعيد الانتفاضة وإدامتها، هؤلاء الفتيان الذين اطلق عليهم اسم «أطفال الحجارة».

ومن دروس الانتفاضة أيضاً أنها أوجدت مفهوم العنف الشامل الذي يجمع بين كل أشكال النضال العنيفة وغير العنيفة على نحو تكاملي فاعل أربك قوات الاحتلال وشلّ آلته العسكرية الضخمة التي عجزت فعلياً عن مواجهة الانتفاضة وأطفال الحجارة. بالطبع نحن نفهم الانتفاضة مرحلةً من مراحل النضال الفلسطيني جاءت امتداداً لمرحلة الكفاح المسلح من دون أن تلغي العمل المسلح كشكل رئيسي من أشكال مواجهة الاحتلال.

▩ بصراحة، هل فوجئتم باندلاع الانتفاضة والزخم الشعبي الذي رافقها؟

ـ نحن كنا نركز باستمرار، بعد الخروج من بيروت، على الداخل باعتباره ركيزة أساسية في النضال الوطني الفلسطيني إضافة إلى ركيزة الخارج، لكنني لا أستطيع الادعاء اننا كنا نتوقع حدوث

الانتفاضة بهذا الزخم والاستمرار والشمول، وليس صحيحاً ادعاء أي قائد فلسطيني أو قوى فلسطينية أنها فجّرت الانتفاضة. كانت الانتفاضة من فعل الجماهير وإبداعها، ولم تستأذن الجماهير هذا القائد ولا ذاك الفصيل عندما فجرت انتفاضتها في وجه الاحتلال.

■ حملت الانتفاضة معها الكثير من المتغيرات داخل الساحة الفلسطينية، لعل أبرزها دخول الحركة الإسلامية وتحولها إلى مكوِّن رئيسي من مكونات هذه الساحة، وهي الآن القوة الرئيسية التي تمارس الكفاح المسلح بفاعلية ضد إسرائيل. كيف تنظر إلى القوى الإسلامية في هذه المرحلة؟ هل هي شريك أم منافس؟

ـ في هذه المرحلة، أنظر إلى الحركة الإسلامية بوصفها حليفاً أساسياً في مواجهة التحديات الكبيرة والمخاطر التي تتعرض لها قضيتنا الفلسطينية. وأنا أقف ضد الخط الذي يطالب بفك عرى التحالف مع القوى الإسلامية، لأن فكه سيكون لمصلحة إسرائيل الآن، ونحن ندرك بالضبط وبالتحديد من هو العدو، وأين يقع التناقض الرئيسي داخل الساحة الفلسطينية، إنه مع أبو عمار ونهج أوسلو وليس مع الحركة الإسلامية. لذلك فان الرؤية السياسية السليمة للتناقضات في هذه المرحلة تجعلنا والقوى الإسلامية في صف واحد.

■ منذ انطلاقة الانتفاضة قلتم إن ثمة خطين ونظرتين في التعامل معها، خط أبو عمار الذي يريد استثمار الانتفاضة سريعاً، وخطكم الذي كان يرى فيها رافعة لتحقيق شعار الدولة الفلسطينية، ألا تعتقد بأنكم حمّلتم الانتفاضة أكثر مما تحتمل؟

ـ عندما قلنا إن الانتفاضة نقلت شعار الدولة الفلسطينية من الإمكانية التاريخية إلى الإمكانية الواقعية، فان هذا الطرح لم يولّد لدينا أوهاماً متسرعة. تحدثنا عن امكانية لا أكثر ولا أقل، وتحقيق الإمكانية مرهون بتوفير شروط تحولها إلى واقع. وقلنا في حينها بوضوح إن هذا الانتقال وهذه الامكانية هما عملية نضالية طويلة تحتاج إلى مراكمة مقدمات كبرى، سياسياً وتنظيمياً وكفاحياً ومادياً، كما تحتاج إلى عمق وبعد عربي قادرين على استجابة مثل هذا الاستحقاق.

بهذا المعنى تحدثنا عن الإمكانية الواقعية للدولة، وكنا ندرك أنه يصعب على الانتفاضة، بواقعها وبظروفها، أن تنجز هدفها المعلن الحرية والاستقلال. إنها تحتاج إلى تضافر جهود كل القوى، وكل طاقات شعبنا في الداخل والخارج. فالحرية والاستقلال هدف ناظم لكل قطاعات شعبنا في الداخل والخارج، ومن دون هذا التلاحم ومن دون توفير مقدمات تطوير الانتفاضة في كل المجالات، وفي سياق نظرة كفاحية طويلة تعمل باتجاه تعزيز الوحدة الوطنية وإعادة ترتيب البيت الفلسطيني على أسس جبهوية ديموقراطية، ومن دون الحماية السياسية للأهداف الوطنية واستثمار قرارات الشرعية الدولية وتوفير الإسناد العربي، ومن دون تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو... من دون كل ذلك فإن الحديث عن تحقيق الدولة الفلسطينية نوع من المغالطة، وهذا ما يفسر خلافنا الحاد مع شعار «الدولة على مرمى حجر».

■ لخليل الوزير (أبو جهاد) دور أساسي في قيادة الانتفاضة، هل أثّر اغتياله في مجرى تطورها؟

ـ كان أبو جهاد الشخصية الفلسطينية الرئيسية المشرفة على قيادة الانتفاضة وتوجيهها، وكان يركز كل جهده ووقته لخدمتها. وأعتقد

بأن العدو الصهيوني كان يعرف جيداً قيمة أبو جهاد وأهميته، لذلك خطط ودبر تصفية هذا المناضل الكبير. وأستطيع الجزم أننا لو خسرنا أي قائد فلسطيني لما تأثرت الانتفاضة كما تأثرت بغياب أبو جهاد. وقد استغل أبو عمار استشهاده وحوّل مجرى الانتفاضة سياسياً لخدمة برنامجه المعروف.

■ تفكك الاتحاد السوفياتي على يد غورباتشوف وانهارت المنظومة الاشتراكية، هل كنتم تدركون أن «بيروسترويكا» ستقود إلى هذا الانهيار الكبير؟

ـ لا، لم أكن أتوقع أن يصل غورباتشوف بالاتحاد السوفياتي إلى حدود التفكك. وأذكر أنني سجلت بعض المحاذير التي يحملها خط غورباتشوف على منظومة الصراع الكوني. ومع ذلك أعترف بأن بعض الرفاق في الجبهة تنبأ باكراً بالنتائج التي سيصل إليها الاتحاد السوفياتي في حال استمرار خط غورباتشوف. وكنا ندرك بالطبع مخاطر الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل التي تضاعفت في عهد غورباتشوف.

■ بعد حرب الخليج الثانية تحققت فعلياً عملية انهيار النظام العربي الرسمي، هل أنتم يائسون من هذه الحالة؟

ـ أنا لا أعرف اليأس مطلقاً في ما يتعلق بقضيتي الوطنية وقضايا أمتي العربية، لأنني مؤمن بعدالة قضيتي ومؤمن بضرورة النضال من أجل تحرير فلسطين، مؤمن بضرورة عودتي إلى بيتي في اللد، مؤمن بطاقات الأمة العربية، وبالتالي مؤمن بانتصار المشروع القومي العربي على المشروع الصهيوني في نهاية الأمر.

■ ما هي محاولات الاغتيال التي تعرضت لها؟

ـ أنت تعرف أن صراعنا مع العدو صراع مفتوح على كل الاتجاهات، ولا يوفر العدو وسيلة إلا ويوظفها لضرب الثورة وقادتها. أعترف بأن العدو وجّه إلينا ضربات موجعة على هذا الصعيد. نجح في اغتيال غسان كنفاني والقادة الثلاثة في منطقة فردان، وبالطبع اغتيال أبو جهاد وغيره من القادة الفلسطينيين. أما محاولات الاغتيال التي تعرضت لها فهي متعددة، لعل أبرزها خطف الطائرات الإسرائيلية الطائرة التي كان يفترض أن أستقلها من بيروت إلى بغداد، لكنني عدلت عن تلك الرحلة لتوافر معلومات لدينا تفيد بأن الطائرات الإسرائيلية ستضرب الطائرة التي سأستقلها أو تخطفها، وكان ذلك عام ١٩٧٣. وكذلك تعرض منزلي في بيروت لقذيفة موجهة انفجرت داخل الصالون وكادت أن تقتلني لولا بعض الإجراءات الأمنية التي وفرت سبل النجاة لي ولمدير مكتبي. ولعلك تذكر كذلك الطائرة الليبية التي خطفها الإسرائيليون وأجبروها على الهبوط في مطار اللد اعتقاداً منهم أنني وأحمد جبريل نستقلها من طرابلس إلى دمشق، وكان على متنها بعض قادة الحركة الوطنية اللبنانية والعربية.

■ في حقبة السبعينيات أقمتم مجموعة من العلاقات مع المجموعات اليسارية والراديكالية في أوروبا واليابان، في أي سياق كانت هذه العلاقات؟

ـ علاقتنا مع تلك المجموعات كانت تقوم على أساس مساعدتنا في توفير الدعم لمستلزمات العمل الخارجي الذي كانت تقوم به الجبهة في تلك الفترة. لم يكن في ذهني أن هذه المنظمات يمكن أن تنمو وتصبح قوى يسارية فاعلة في مجتمعاتها، أو ذات وزن سياسي

مهم في دعم قضيتنا على الصعيد السياسي. والحقيقة أن الرفيق وديع حداد هو الذي كان يتولى أمر الإشراف على تلك العلاقات لأنها كانت ضمن اختصاصه في العمل الخارجي.

■ ما هي قصة علاجك في باريس والضجة التي أثيرت حولها؟

ـ زيارتي للعلاج في فرنسا تحولت قضية سياسية سميت «قضية حبش» وشغلت كل وسائل الإعلام العربية والعالمية على مدى أسبوع كامل. وأثارت تلك الزيارة عاصفة هوجاء من ردود الفعل المتباينة، وهزت أركان الحكومة الفرنسية وأطاحت عدداً من كبار المسؤولين.

استغلّت إسرائيل الضجة الإعلامية المعادية التي تسببت فيها القوى المعادية والمتصهينة داخل فرنسا، وطالبت الحكومة الفرنسية بتسليمي، وحركت عملاءها لتطويق المستشفى استعداداً لخطفي. كل ذلك كان له وقع الصاعقة عليّ وعلى زوجتي إذ إننا لم نكن مهيئين لعملية من هذا النوع، خصوصاً أن الزيارة تمت بناء على ترتيب مسبق مع الجهات المعنية على أعلى المستويات وبموافقة الإليزيه.

وكشفت لنا تلك الزيارة مدى التغلغل الصهيوني في فرنسا خصوصاً داخل أجهزة الدولة كما كشفت زيف الادعاءات الفرنسية في الدفاع عن الحقوق والقيم الإنسانية في بلد «النور والحضارة».

لقد فوجئنا فعلاً لدى وصولنا إلى المطار بوجود وسائل الإعلام والتلفزيون الفرنسي (القناة الثانية) تنتظرنا على أرض المطار، على رغم أن الاتفاق مع السلطة الفرنسية كان يقضي بأن تبقى الزيارة بعيدة عن الأضواء لأسباب أمنية.

ـ عندما قلنا إن الانتفاضة نقلت شعار الدولة الفلسطينية من الإمكانية التاريخية إلى الإمكانية الواقعية، فان هذا الطرح لم يولّد لدينا أوهاماً متسرعة. تحدثنا عن امكانية لا أكثر ولا أقل، وتحقيق الإمكانية مرهون بتوفير شروط تحولها إلى واقع. وقلنا في حينها بوضوح إن هذا الانتقال وهذه الامكانية هما عملية نضالية طويلة تحتاج إلى مراكمة مقدمات كبرى، سياسياً وتنظيمياً وكفاحياً ومادياً، كما تحتاج إلى عمق وبعد عربي قادرين على استجابة مثل هذا الاستحقاق.

بهذا المعنى تحدثنا عن الإمكانية الواقعية للدولة، وكنا ندرك أنه يصعب على الانتفاضة، بواقعها وبظروفها، أن تنجز هدفها المعلن الحرية والاستقلال. إنها تحتاج إلى تضافر جهود كل القوى، وكل طاقات شعبنا في الداخل والخارج. فالحرية والاستقلال هدف ناظم لكل قطاعات شعبنا في الداخل والخارج، ومن دون هذا التلاحم ومن دون توفير مقدمات تطوير الانتفاضة في كل المجالات، وفي سياق نظرة كفاحية طويلة تعمل باتجاه تعزيز الوحدة الوطنية وإعادة ترتيب البيت الفلسطيني على أسس جبهوية ديموقراطية، ومن دون الحماية السياسية للأهداف الوطنية واستثمار قرارات الشرعية الدولية وتوفير الإسناد العربي، ومن دون تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو... من دون كل ذلك فإن الحديث عن تحقيق الدولة الفلسطينية نوع من المغالطة، وهذا ما يفسر خلافنا الحاد مع شعار «الدولة على مرمى حجر».

■ لخليل الوزير (أبو جهاد) دور أساسي في قيادة الانتفاضة، هل أثّر اغتياله في مجرى تطورها؟

ـ كان أبو جهاد الشخصية الفلسطينية الرئيسية المشرفة على قيادة الانتفاضة وتوجيهها، وكان يركز كل جهده ووقته لخدمتها. وأعتقد

بأن العدو الصهيوني كان يعرف جيداً قيمة أبو جهاد وأهميته، لذلك خطط ودبر تصفية هذا المناضل الكبير. وأستطيع الجزم أننا لو خسرنا أي قائد فلسطيني لما تأثرت الانتفاضة كما تأثرت بغياب أبو جهاد. وقد استغل أبو عمار استشهاده وحوّل مجرى الانتفاضة سياسياً لخدمة برنامجه المعروف.

■ تفكك الاتحاد السوفياتي على يد غورباتشوف وانهارت المنظومة الاشتراكية، هل كنتم تدركون أن «بيروسترويكا» ستقود إلى هذا الانهيار الكبير؟

ـ لا، لم أكن أتوقع أن يصل غورباتشوف بالاتحاد السوفياتي إلى حدود التفكك. وأذكر أنني سجلت بعض المحاذير التي يحملها خط غورباتشوف على منظومة الصراع الكوني. ومع ذلك أعترف بأن بعض الرفاق في الجبهة تنبأ باكراً بالنتائج التي سيصل إليها الاتحاد السوفياتي في حال استمرار خط غورباتشوف. وكنا ندرك بالطبع مخاطر الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي إلى إسرائيل التي تضاعفت في عهد غورباتشوف.

■ بعد حرب الخليج الثانية تحققت فعلياً عملية انهيار النظام العربي الرسمي، هل أنتم يائسون من هذه الحالة؟

ـ أنا لا أعرف اليأس مطلقاً في ما يتعلق بقضيتي الوطنية وقضايا أمتي العربية، لأنني مؤمن بعدالة قضيتي ومؤمن بضرورة النضال من أجل تحرير فلسطين، مؤمن بضرورة عودتي إلى بيتي في اللد، مؤمن بطاقات الأمة العربية، وبالتالي مؤمن بانتصار المشروع القومي العربي على المشروع الصهيوني في نهاية الأمر.

■ ما هي محاولات الاغتيال التي تعرضت لها؟

ـ أنت تعرف أن صراعنا مع العدو صراع مفتوح على كل الاتجاهات، ولا يوفر العدو وسيلة إلا ويوظفها لضرب الثورة وقادتها. أعترف بأن العدو وجّه إلينا ضربات موجعة على هذا الصعيد. نجح في اغتيال غسان كنفاني والقادة الثلاثة في منطقة فردان، وبالطبع اغتيال أبو جهاد وغيره من القادة الفلسطينيين. أما محاولات الاغتيال التي تعرضت لها فهي متعددة، لعل أبرزها خطف الطائرات الإسرائيلية الطائرة التي كان يفترض أن أستقلها من بيروت إلى بغداد، لكنني عدلت عن تلك الرحلة لتوافر معلومات لدينا تفيد بأن الطائرات الإسرائيلية ستضرب الطائرة التي سأستقلها أو تخطفها، وكان ذلك عام ١٩٧٣. وكذلك تعرض منزلي في بيروت لقذيفة موجهة انفجرت داخل الصالون وكادت أن تقتلني لولا بعض الإجراءات الأمنية التي وفرت سبل النجاة لي ولمدير مكتبي. ولعلك تذكر كذلك الطائرة الليبية التي خطفها الإسرائيليون وأجبروها على الهبوط في مطار اللد اعتقاداً منهم أنني وأحمد جبريل نستقلها من طرابلس إلى دمشق، وكان على متنها بعض قادة الحركة الوطنية اللبنانية والعربية.

■ في حقبة السبعينيات أقمتم مجموعة من العلاقات مع المجموعات اليسارية والراديكالية في أوروبا واليابان، في أي سياق كانت هذه العلاقات؟

ـ علاقتنا مع تلك المجموعات كانت تقوم على أساس مساعدتنا في توفير الدعم لمستلزمات العمل الخارجي الذي كانت تقوم به الجبهة في تلك الفترة. لم يكن في ذهني أن هذه المنظمات يمكن أن تنمو وتصبح قوى يسارية فاعلة في مجتمعاتها، أو ذات وزن سياسي

مهم في دعم قضيتنا على الصعيد السياسي. والحقيقة أن الرفيق وديع حداد هو الذي كان يتولى أمر الإشراف على تلك العلاقات لأنها كانت ضمن اختصاصه في العمل الخارجي.

■ ما هي قصة علاجك في باريس والضجة التي أثيرت حولها؟

ـ زيارتي للعلاج في فرنسا تحولت قضية سياسية سميت «قضية حبش» وشغلت كل وسائل الإعلام العربية والعالمية على مدى أسبوع كامل. وأثارت تلك الزيارة عاصفة هوجاء من ردود الفعل المتباينة، وهزت أركان الحكومة الفرنسية وأطاحت عدداً من كبار المسؤولين.

استغلّت إسرائيل الضجة الإعلامية المعادية التي تسببت فيها القوى المعادية والمتصهينة داخل فرنسا، وطالبت الحكومة الفرنسية بتسليمي، وحركت عملاءها لتطويق المستشفى استعداداً لخطفي. كل ذلك كان له وقع الصاعقة عليّ وعلى زوجتي إذ إننا لم نكن مهيئين لعملية من هذا النوع، خصوصاً أن الزيارة تمت بناء على ترتيب مسبق مع الجهات المعنية على أعلى المستويات وبموافقة الإليزيه.

وكشفت لنا تلك الزيارة مدى التغلغل الصهيوني في فرنسا خصوصاً داخل أجهزة الدولة كما كشفت زيف الادعاءات الفرنسية في الدفاع عن الحقوق والقيم الإنسانية في بلد «النور والحضارة».

لقد فوجئنا فعلاً لدى وصولنا إلى المطار بوجود وسائل الإعلام والتلفزيون الفرنسي (القناة الثانية) تنتظرنا على أرض المطار، على رغم أن الاتفاق مع السلطة الفرنسية كان يقضي بأن تبقى الزيارة بعيدة عن الأضواء لأسباب أمنية.

وتبين لي لاحقاً من خلال تقويمي لما جرى أن وجود الصحافة لم يكن مصادفة بل خططت له القوى المعادية، ففي ضوء بث خبر وصولي بدأت التظاهرات المعادية في الليلة نفسها وانتشر الخبر كالنار في الهشيم، ما اضطر رئيس الأمن الفرنسي إلى الاعتراف لزوجتي بأن الموضوع خرج عن سيطرتهم وأن تسريب الخبر مصدره تونس. واكتشف لاحقاً الجاسوس الإسرائيلي عدنان ياسين الذي كان يعمل في السفارة الفلسطينية في تونس ويطل من خلال عمله على تحركات القادة الفلسطينيين وينقل أخبارها إلى الموساد الإسرائيلي.

وعن طريق الإعلام المرئي والمقروء والمسموع حاولوا إلصاق تهمة الإرهاب بي شخصياً، عبر تشويه الحقائق لإظهاري أمام الرأي العام الفرنسي على انني أرهابي كبير والمسؤول الأول عن العمليات الإرهابية التي حصلت في فرنسا وخارجها. لكن ردود الفعل الفلسطينية والعربية الشعبية والرسمية، إضافة إلى ردود الفعل العالمية في ذلك الوقت والتي جاءت كلها لتدين موقف الحكومة الفرنسية وتعرب عن استهجانها واستنكارها للموقف الذي اتخذته تجاهي أذهلتهم وأربكتهم، وأظهرت للعالم مدى التأييد والمساندة الكبيرين اللذين تحظى بهما قضيتنا الفلسطينية، مما أجبرهم على اتخاذ قرار سريع بالإفراج عني من دون أن يتمكنوا من إجراء التحقيق.

وهنا، في هذه المناسبة، أريد أن أسجل مدى الاعتزاز الذي سأبقى أشعر به ما حييت للموقف الجريء والشجاع الذي اتخذته زوجتي هيلدا، فقد استطاعت أن تحافظ على رباطة جأش منقطعة النظير، وان تتصدى للهجمة الشرسة التي قامت بها القوات الخاصة (لمكافحة الإرهاب) D.S.T التي أرسلها القاضي بروغيير. فقد

نجحت زوجتي في منعهم من الاقتراب مني أو التحقيق معي على رغم أن القاضي بروغيير جاء بنفسه في اليوم الرابع إلى المستشفى للإشراف على التحقيق معي وصرخت في وجههم بأعلى صوتها: لن أدعكم تحققون معه إلا على جثتي، أن زوجي ليس إرهابياً بل مناضل في سبيل حرية شعبه وقائد يدافع عن قضية عادلة.

ولم تكتف بذلك بل أجبرت قوات الأمن التي كانت تحيط بالمستشفى من كل الجهات وقطعت الاتصال عن المستشفى، على إعادة الاتصال، وبقيت في حال استنفار ويقظة لمدة أربعة أيام، الأمر الذي دعا قوات الأمن إلى نعتها بالنمرة. كذلك اتصلت بابنتينا ميساء ولمى اللتين كانتا في الأردن وطمأنتهما عني، وعندما سمعت صوت لمى المتهدج على التلفون قالت لها: لا تخافي ولا تقلقي لن نمكنهم من النيل منا، وتذكري دائماً يا لمى أن الحياة وقفة عز وليفعلوا ما يشاؤون.

■ ما هي أبرز العمليات العسكرية التي نفذتها «الجبهة الشعبية» داخل الأرض المحتلة وعبر جنوب لبنان؟

ـ تاريخ الجبهة العسكري حافل بالكثير من الأعمال البطولية والتضحيات الجسام، وأدرك أنني لا يمكن أن أجد هنا متسعاً لتعداد العمليات العسكرية التي سجلت بطولات ساطعة في تاريخ الجبهة والقضية. وأخشى إن قمت بعرض سريع لأبرز العمليات العسكرية أن أغبن بعض الرفاق المناضلين الذين ساهموا في هذه العمليات مهما كانت كبيرة أو صغيرة، لذلك أعتذر سلفاً من كل الرفاق الذين لا يتسع المجال لذكر العمليات التي قاموا بها. وهنا سأتذكر أبرز تلك العمليات:

ـ عملية سوق سبسوسل في القدس، وأسفرت عن سقوط نحو ستين شخصاً بين قتيل وجريح، ونفذتها إحدى الرفيقات في الجبهة.

ـ عملية قتل الحاكم العسكري في مدينة رفح في قطاع غزة في شهر كانون الثاني/يناير عام ١٩٦٩.

ـ معركة استشهاد غيفارا غزة (الرفيق محمود الأسود) عضو المكتب السياسي للجبهة ورفيقيه الحايك والعمصي في ٩/٣/١٩٧٣.

ـ عملية سينما حينّ التي نفذها الرفيق مظفر، وألقى خلالها عدداً من القنابل اليدوية داخل السينما، ثم فجّر نفسه بحزام ناسف. وفي المناسبة إن الرفيق مظفر مناضل من إيران وكانت العملية في تاريخ ١٩٧٤/١٢/١١.

ـ عملية مطار اللد في ١٩٧٢/٥/٣٠ والذين نفذوا العملية ثلاثة مناضلين من اليابان.

ـ عملية خطف حافلة من قطاع غزة إلى الأراضي المصرية عام ١٩٨٤.

ـ عملية نهاريا عام ١٩٨٦، استشهد فيها أربعة رفاق وسقط من أفراد العدو ٢١ بين قتيل وجريح... وغيرها من العمليات.

▪ كان لكم دور في دعم الانتفاضة الإيرانية الي أوصلت الإمام الخميني إلى السلطة، ما نوع هذا الدعم؟

ـ نحن بالطبع وقفنا إلى جانب الحركة الشعبية التي تزعمها الخميني

وشاركت فيها مختلف القوى الاجتماعية والسياسية في إيران، وقدمنا كل الدعم السياسي والإعلامي لانتفاضة الشعب الإيراني على نظام الشاه القمعي. لكن بالطبع كانت لنا علاقات خاصة مع بعض الاتجاهات اليسارية الإيرانية ولا سيما منها تنظيم «فدائيي خلق» وقد قدمنا لهم الدعم العسكري ودربناهم في معسكرات الجبهة.

▪ كم أحببت غسان كنفاني وكم بكيته؟

ـ عرفت غسان في الخمسينيات في دمشق. كان شاباً واعداً متحمساً، فقيراً يتعثر في الليالي ليؤمّن خبز أسرته. ومنذ ذلك الحين ربطتني به علاقة صداقة حميمة ودافئة امتدت حتى استشهاده.

كان غسان في إبداعه الأدبي معطاء سيالاً يغرف من بحر التجربة ليبدع الصورة الأروع والأصدق، وهو ما وضعه في مصاف كبار الأدباء الفلسطينيين والعرب، خصوصاً في مجال الرواية والقصة القصيرة اللتين استمد مادتهما من قضية شعبه ومعاناته وتشرده من جراء الغزوة الصهيونية، ونضاله لصد هذه الغزوة واسترداد حقوقه الثابتة المشروعة.

ويعود إليه الفضل الأكبر في تقديم الأدب الفلسطيني والأدباء الفلسطينيين الذين بقوا داخل الأرض المحتلة عام ١٩٤٨. كذلك كان له السبق في التركيز على أهمية دور أهلنا في منطقة الـ ٤٨ في عملية النضال الوطني باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني.

وكانت لغسان باع طويلة في السياسة أيضاً، إذ كان يؤدي دوراً فعالاً في اجتماعات الهيئات القيادية للجبهة، وكان محاوراً

ديموقراطياً حين تتفق معه أو تختلف. واستطاع بعقله الشامل أن يقوم بدور إعلامي بارز في إيصال القضية الفلسطينية إلى الرأي العام العالمي وبالذات الغربي منه. كما أنه كان من المتابعين الجيدين للفكر والفلسفة الغربيين. وأذكر أنه لفت نظري أكثر من مرة إلى الكثير من النظريات والأطروحات اليسارية في الفكر الأوروبي.

أعتقد بأن عظمة غسان وعبقريته تكمنان في قدرته الخارقة على الإحساس باللحظة والتعبير عنها بأجمل صور الإبداع والخلق. وأستطيع القول، من دون مبالغة، إن غسان كان نابغة. كان استشهاده فاجعة أصابتني في القلب، لكن عزائي أنه موجود في قلب كل إنسان حر وضميره.

▪ كيف تنظر إلى فيديل كاسترو؟

ـ اعتقد بأن كاسترو من القادة السياسيين العالميين القلائل في هذا العصر، وأهم سمة لديه أنه رجل صلب وقائد يعرف كيف يواجه الأزمات التي كانت تعصف ببلاده سواء كانت دولية أو داخلية. فقد واجه أزمة الصواريخ بجرأة وجسارة، واستطاع إدارة الصراع على مدار أربعة عقود مع عدوته اللدود الولايات المتحدة الأميركية، تلك الجارة التي ما زالت تصر على كسر كوبا كاسترو، ومع ذلك استطاع كاسترو النفاذ من حصارها الظالم.

▪ ماذا تذكر عن لقاءاتك مع كاسترو؟

ـ التقيت كاسترو ثلاث مرات واستقبلني بحفاوة واحترام ينمّان عن عمق احترامه لقضية الشعب الفلسطيني وتضامنه مع هذه القضية التي يراها قضية عادلة تستحق كل الدعم والتأييد. وكانت لفيدل كاسترو صورة واضحة عني، وأعتقد بأنها إيجابية. لذلك عندما

احتج أبو عمار لدى مندوب كوبا في اجتماع دول عدم الانحياز على استقبال كاسترو لي، كان الجواب أن لا أبو عمار ولا غيره يملك الحق في التدخل في الشؤون الداخلية لكوبا، ولا يستطيع أن يحدد لرئيسها من يستقبل أو لا يستقبل. لقد أخبرني بهذه الحادثة الرفيق كاسترو عندما التقيته في إحدى المرات وأصابني خجل شديد من تصرف أبو عمار هذا، وجعلني أقارن بألم بين القائد الذي يصنع تاريخاً مجيداً لشعبه، والقائد الذي يوظف كل تاريخ شعبه ونضاله ليصنع لنفسه تاريخاً.

▪ تاريخياً كنت متعلقاً بالمثال الجزائري، ماذا تحمل في ذاكرتك عن الرئيس الراحل هواري بومدين؟

ـ الجزائر وثورة الجزائر مثلتا لي نموذجاً في انتصار الثورات، وبالذات النموذج السياسي المتمثل في جبهة التحرير الجزائرية التي استطاع الشعب الجزائري من خلالها حشد كل طاقاته في معركة التحرير. وبعد انتصار الثورة وقفت الجزائر إلى جانب الثورة الفلسطينية وهي من الدول القلائل التي رعت العمل الفلسطيني بصدق وتجرد، وعملت دوماً على توفير المناخات الوحدوية الفلسطينية.

أما الرئيس الراحل بومدين فتعرفت إليه متأخراً بعض الشيء، ذلك أن الجزائر لم تكن تقيم علاقات معنا في «جبهة شعبية»، وكان لها موقف منها. وهذا ما أخبرني به الراحل بومدين في أحد لقاءاتنا إذ قال لي إنه طلب من أبو عمار ذبح جورج حبش لأنه كان يعتقد بأن موقفنا الرافض سياسة أبو عمار يعمق الانقسام في الساحة الفلسطينية ويضرب وحدة النضال الفلسطيني، ولكن عندما اطلع على موقفنا بشكل واضح ومتكامل غيّر موقفه منا. وما أخبرني به بومدين كان جزءاً من شخصيته وشجاعته وجرأته اللامتناهية، وهذا

ما لمسته في اجتماعات «جبهة الصمود والتصدي» التي تأسست بعد كامب ديفيد. كما أذكر موقفه أثناء حرب تشرين والزيارة التي قام بها لموسكو وطالب فيها القيادة السوفياتية بتقديم كل الدعم الممكن للعرب وبالذات للجيش المصري.

▩ تحدثتم طويلاً عن علاقتكم بالرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ماذا تحملون في ذاكرتكم ووجدانكم عن عبد الناصر؟

ـ كان الرئيس عبد الناصر بالنسبة إلي امتداداً لتاريخ مصر وثورات مصر الحديثة والمعاصرة. من ثورة عرابي إلى ثورة سعد زغلول وصولاً إلى ثورة يوليو. ومكانة عبد الناصر تتمثل في وجداني بمكانة زعماء مصر وقادتها السياسيين أمثال عرابي وسعد زغلول، وربما تعداهم في دوره على الصعيد القومي، متخطياً حدود مصر الجغرافية ليطاول بفكره ووعيه الأمة العربية كلها.

وهذا ما جسده عبد الناصر حين أحدث تغييرات كبيرة في الوطن العربي، ففي ظل قيادته القومية لمصر والعالم العربي، انتصرت ثورة الجزائر واليمن وليبيا وتحققت أول وحدة عربية معاصرة. وهذا ما جعل الدوائر المعادية تفقد صوابها، وتندفع لاستنفار حلفائها المحليين لضرب الوحدة.

عندما أتحدث عن عبد الناصر لا أستطيع إلا أن أذكر دوره على الصعيد العالمي في تأسيس حركة عدم الانحياز التي عملت على بلورة هوية العالم الثالث في مرحلة ما بعد الاستقلال.

ولعبد الناصر في وجداني موقع خاص في وقفته التاريخية بعد هزيمة حزيران حين انتصب هذا الرجل متحدياً نتائج الهزيمة، عبر إعادته

بناء الجيش المصري وخوضه حرب الاستنزاف التي أعادت إلى المواطن المصري والعربي ثقته بنفسه. وأنا أعتقد بأن المجد الذي حاول الرئيس السادات أن ينسبه إلى نفسه من خلال حرب تشرين، يعود في الأساس إلى جهود عبد الناصر لا إلى جهوده. فعبد الناصر هو الذي بنى الجيش المصري بعد هزيمة حزيران، ولولا وفاته المفاجئة لشهدت المنطقة تغيرات كبيرة وواسعة على صعيد المشروع العربي القومي والصراع العربي ـ الصهيوني.

أما على الصعيد الشخصي فقد كان الرئيس عبد الناصر يحفظ لي مكانة خاصة، وأذكر أنه بعد أحد اللقاءات دعاني إلى العشاء في منزله، كذلك وجه إلي وإلى الرفيق هاني الهندي دعوة إلى حضور حفلة زفاف ابنته، وكانت هذه لفتة كريمة من رجل كبير.

■ كيف دخل وديع حداد قلب جورج حبش؟ ولماذا كل هذا الإجلال لوديع بالذات؟

ـ الرفيق وديع رفيق درب طويل عرفته منذ أن دخلت معترك العمل السياسي في الجامعة الأميركية، له من الخصائص والسجايا ما لم أرها مجتمعة في شخص واحد، وهو ما جعله موضع تقدير واحترام كل من عرفه وتعامل معه، فصدقية وديع عالية جداً جداً، وانتماؤه وارتباطه بالقضية لا حدود لهما، فهو مندمج كلياً في القضية ويسخر لها ما تيسر له من قدرات وطاقات وإمكانات، لدفعها على طريق النصر. من عرف الرفيق وديع يعرف عمق الألم الذي عاشه هذا الانسان الذي اقتلعته الصهيونية من فلسطين، وشردت شعبه. كان إنساناً ديناميكياً في عمله، صلباً في إرادته، جباراً في متابعته مهماته. ولا مكان للخوف في نفسه. لا يعرف ليله من نهاره، يعمل طوال الوقت من دون كلل أو ملل. كان بحق مبدعاً في

قضايا التكتيك السياسي، ولديه دوماً القدرة على اجتراح الخطوات التكتيكية لسياسة الجبهة، ومتابعة تنفيذ هذا التكتيك.

وكنت أتمنى فعلاً لو أن جميع الذين اتهموا الرفيق وديع حداد بالإرهاب، عرفوه عن قرب إذ كانوا أدركوا كم هو إنسان رائع حنون، صادق وملتزم.

وأنا أتحدث عن الرفيق وديع الانسان والمناضل تدهمني حملات الظلم والافتراء التي تعرض لها رفيقي وديع والكفاح الفلسطيني كله من جانب الدوائر الغربية التي عملت دوماً على تصدير مفاهيمها الخاصة بالإرهاب وتحويلها سلاحاً مسلطاً على رقاب كل من يعمل على دحر الظلم عن شعبه. فالغرب الذي لم يوفر وسيلة ولا حيلة إلا واستخدمها لخدمة مصالحه، جوّع الشعب واحترف صناعة الانقلابات وحمى الديكتاتوريات الحاكمة. ومع ذلك لا تزال ماكينته الإعلامية تعمل ليل نهار لتصوغ كل أفعاله، وتظهرها بالمظهر الحضاري والإنساني. أما عندما يفكر الإنسان المقهور في رفع الظلم عن نفسه وشعبه فإن سيل المفاهيم الغربية المسبقة الصنع تنهال عليه والنعوت تطوق عنقه من كل حدب وصوب بالإرهاب والتطرف والعدوانية.

أسأل هنا الغرب وصناع السياسة فيه كم طائرة خطفتها إسرائيل؟ وكم طائرة مدنية أسقطتها وقتلت كل ركابها؟ كم طفلاً تقتل إسرائيل مطلع كل صباح في الأرض المحتلة ومخيمات الشتات والجنوب اللبناني؟ وكم وكم؟ ومع ذلك فإن مفاهيم الغرب ونظرياته تبرر لإسرائيل كل أفعالها الفاشية والعدوانية.

هذه الازدواجية والاختلاط المفاهيمي يثيران لديّ ألماً فظيعاً

ويدعواني إلى التساؤل هل كان وديع فعلاً إرهابياً؟ كلا لم يكن وديع إرهابياً. كان رجلاً يدافع عن وطنه وشعبه بإرادة صلبة ليحقق العدالة لشعب ظلم.

▪ خبرت وديع حداد طويلاً، هل يحمل الرجل لغزاً؟

ـ ببساطة لغز وديع في عقله وطاقته التي لا حدود لها وروحه الفاعلة والمتحفزة دوماً للعمل. وديع كان يهتم بكل التفاصيل ولا يترك شاردة أو واردة إلا ويتحقق منها ليتأكد من حسن سير عمله. ومع ذلك كان عَقلاً كلياً وشمولياً في رؤيته للصراع. كان يقول: لدى العدو أسلحة فتاكة ومتطورة والمواجهة معه ليست سهلة، ما نريد أن نعرفه هو كيف نؤذيه، نريد أن نختار طريقة معينة، بمعنى أين نضرب وكيف نضرب، ومتى نضرب وفي أي اتجاه نضرب. هذه هي عقلية وديع التي اكتشفت باكراً أهمية سلاح النفط في مواجهة الغرب وضرورة توظيفه في المعركة القومية الشاملة ضد العدو. وفي هذا السياق قام الرفيق وديع حداد بعملية ناقلة النفط العملاقة «الكورال سي» في مضيق البوسفور ليلفت نظر العرب إلى أهمية سلاح النفط، ويؤكد للغرب أن الثورة الفلسطينية قادرة على ضرب المصالح الغربية إذا استمر في موقفه المعادي للشعب الفلسطيني.

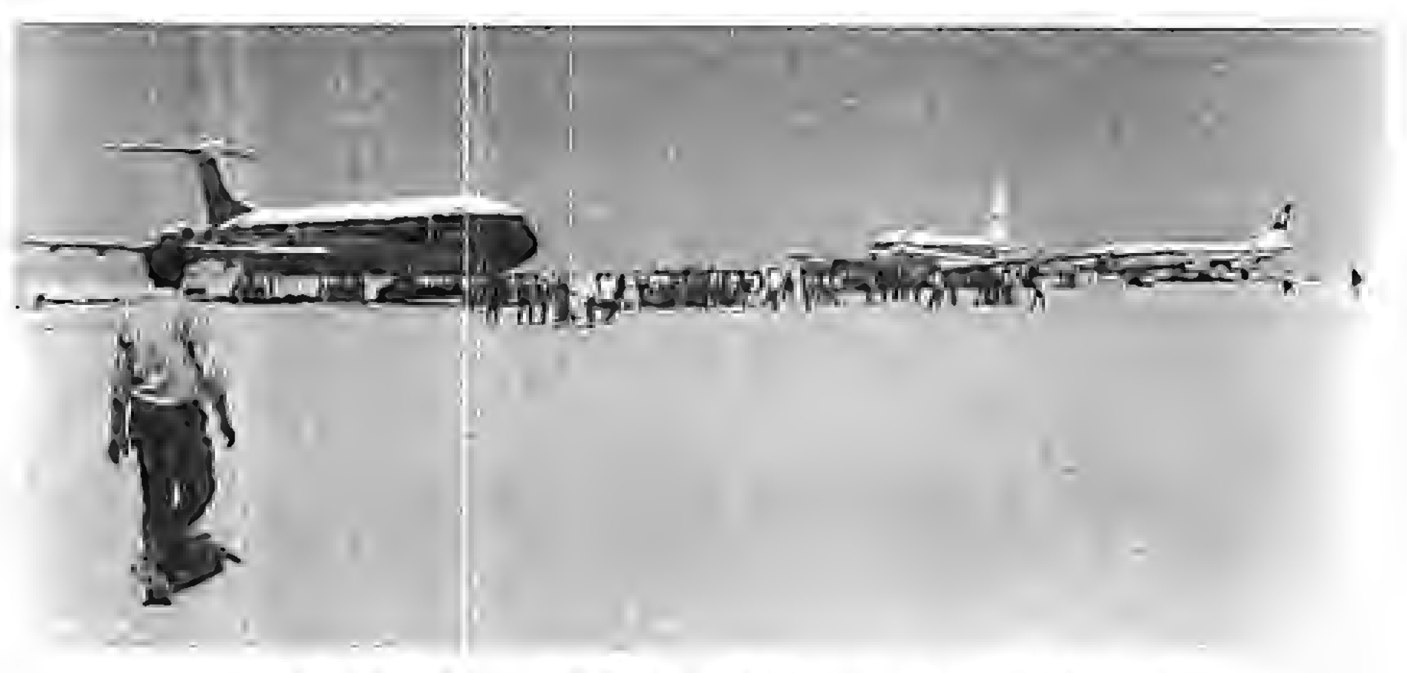
تسألني عن وديع اللغز؟ أقول لك اذهب واسأل جماهير المخيمات في لبنان والأردن، سل جماهير مخيمي الوحدات والبقعة، سل زنازين معتقل الجفر الاردني، سلْ سجانيه عن وديع وصلابته، سل رفاق وديع الذين جازفوا بحياتهم ومصالحهم وذهبوا إلى بغداد ليودعوه في جنازته المهيبة. إنه وديع حداد الذي ترك في القلب دمعة وبارقة أمل ورجاء لا ينكسر. إنه المثال الحي لكل مناضل يريد أن يواصل طريق الكفاح للوصول إلى شواطئ الحرية.



جورج حبش يخطب
في إحدى المناسبات في
بيروت عام ١٩٧٣



ابو اياد وحبش



الطائرات الثلاث التي خطفتها الجبهة الشعبية عام ١٩٧١ رابضة في أحد مطارات الأردن



جورج حبش وكمال جنبلاط



جورج حبش ورئيس اليمن الجنوبي علي ناصر محمد



القادة الفلسطينيون ياسر عرفات وجورج حبش وأبو إياد وأبو جهاد
في ذكرى انطلاقة حركة فتح في بيروت عام ١٩٨٠



جورج حبش مع الرئيس العراقي أحمد حسن البكر



حبش مع كاسترو في هافانا عام ١٩٨٦

فهرس الأعلام

أ

خ

د

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الأماكن

ب

ت

ج

أسرار الصندوق الأسود

غسان شربل

لي في هذا العالم أصدقاء قساة. خطفوا طائرات. احتجزوا رهائن. زرعوا عبوات. زوّروا باسبورات وتحايلوا على المطارات. اختاروا أسماء مستعارة وعاشوا في ظلها. تمردوا على النظام وطاردوا «العدو في كل مكان». وعادوا من الرحلة. هذا أصيب في روحه وقهرته الأيام. وذاك أصيب في جسده ويعيش مع الأدوية والذكريات. وثالث دفن على بعد آلاف الأميال من التراب الذي كان يناديه.

إنهم رفاق الدكتور وديع حداد مسؤول «المجال الخارجي» في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» التي ارتبط اسمها طويلاً باسم قائدها الراحل الدكتور جورج حبش. طالبان فلسطينيان التقيا على مقاعد الجامعة الأميركية في بيروت. أغرقتهما النكبة في أسئلة عن حال الأمة ومستقبلها.

قبل عقود من طائرات أسامة بن لادن انهمكت مجموعة في قيادة «الجبهة الشعبية» في البحث عن وسيلة لهز ضمير العالم وتذكيره بالظلم اللاحق بالفلسطينيين. كان الغرض أيضاً توسيع دائرة المعركة مع اسرائيل الى كل مكان. هكذا أقر مبدأ خطف الطائرات. وسيقع على عاتق وديع حداد مسؤول المجال العسكري الخارجي عبء التخطيط والتنفيذ واستقطاب «الرفاق» الأجانب المعادين للامبريالية الى حد الاستعداد لمقاتلتها على مسارح قريبة وبعيدة.

في هذا السياق ستولد قصة «مريم» اليابانية و«مجاهد» الأرمني و«سالم» الفينزويلي والذي لم يكن غير كارلوس الذي كان أشهر مطلوب في العالم قبل أن يسقط في يد الفرنسيين وينتقل اللقب في بداية القرن الحالي الى أسامة بن لادن.

من مقدمة المؤلف




ISBN 9953-21-376-3
9 789953 213767